

٩٨٧

لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله

الحمد لله

الجزء الثاني

من كتاب غرر الفوائد ودرر القلائد

إملاء السيد الأجل المرتضى علم الهدى ذي المجدين أبي القسم علي بن الحسين بن موسى الموسوي رضي الله عنه

لحبيبه محمد زبيد محمد بن عبد الله الحسيني

٩٨٧

قرأ هذا الجزء الثاني من كتاب غرر الفوائد ودرر القلائد ... السيد الأجل المرتضى علم الهدى ذي المجدين أبي القسم علي بن الحسين بن موسى رضي الله عنه العبد ...

بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين وعليه توكلي

مجلس آخر. تأويل آية. ان سأل سائل عن قوله تعالى
خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون الجواب
قيل له قد ذكر في هذه الآية وجوه من التأويل نحن نذكرها ونرجح الأرجح منها
فأولها ان يكون معنى القول المبالغة في وصف الإنسان بكثرة العجلة وأنه
شديد الاستعجال لما يؤثره من الأمور لهج باستدناء ما يجلب اليه نفعاً او يدفع
عنه ضرراً ولهم عادة في استعمال مثل هذا اللفظ عند المبالغة كقولهم
لمن يصفونه بكثرة النوم ما خلقت الا من نوم وما خلق فلان الا من شر اذا
ارادوا كثرة وقوع الشر وربما قالوا اما انت الا اكل وشرب وما اشبه
ذلك قال الشاعر يصف ناقة

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار

وانما اراد ما ذكرناه من كثرة وقوع الاقبال والادبار منها ويشهد لهذا
التأويل قوله تعالى في موضع آخر وكان الإنسان عجولا ويطابقه ايضاً

قوله تعالى فلا تستعجلون لانه وصفهم بكثرة العجلة وان من
شأنهم فعلها توبيخاً لهم وتقريعاً ثم نهاهم عن الاستعجال باستدعاء
الآيات من حيث كانوا متمكنين من مفارقة طريقتهم في الاستعجال وقادرين
على التثبت والتأني. وثانيها ما اجاب به ابو عبيدة وقطرب
بن المستنير وغيرهما من ان في الكلام قلباً والمعنى خلق العجل من
الإنسان واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى وقد بلغني الكبر أي
قد بلغت الكبر وبقوله تعالى ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة والمعنى
ان العصبة تنوء بها وبقول العرب عرضت الناقة على الحوض وانما
هو عرضت الحوض على الناقة وقولهم اذا طلعت الشعرى استوى العود
على الحرباء يريدون استوى الحرباء على العود وبقول الأعشى

لمحقوقة ان تستجيبي لصوته وان تعلمي ان المعان موفق

يريد ان الموفق معان وبقول الآخر

على العباد ان هداجون قد بلغت نجران او بلغت سوآتهم هجر

والمعنى أن السوآت هي التي بلغت هجر ويقول خداش بن زهير

ونركب خيل لا هوادة بينها وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

يريد تشقى الضياطرة بالرماح ويقول الآخر

تمشي به عوذ النعاج كأنها عذارى ملوك في بياض ثياب

يريد في ثياب بياض ويقول الآخر

حسرت كفي عن السربال آخذه فردا يجر على أيدي المفديينا

يريد حسرت السربال عن كفي ويقول آخر

وجرد طار باطلها نسيلا وأحدث قمها شعرا قصارا

اراد طار نسيلها باطلا ويقول الآخر

وقسورة أكافهم في قسيهم إذا ما مشوا لا يغمزون من النسا

أي قسيهم في أكافهم ويقول الآخر

وهن من الإخلاف والولعان

أي الإخلاف والولعان منهن ويبقى على صاحب هذا الجواب مع التغاضي

له عن حمل كلامه تعالى على القلب أن يقال له وما المعنى والفائدة في
قوله تعالى خلق العجل من الإنسان أتريدون بذلك أن الله تعالى خلق
في الإنسان العجلة وهذا لا يجوز لأن العجلة فعل من أفعال الإنسان
فكيف تكون مخلوقة فيه لغيره ولو كان كذلك لما جاز أن ينهاهم
عن الاستعجال في الآية فيقول سأريكم آياتي فلا تستعجلون لأنه لا
ينهاهم عما خلقه فيهم فإن قالوا لم يرد أنه تعالى خلقها لكنه
أراد كثرة فعل الإنسان لها وأنه لا يزال يستعملها قيل لهم
هذا هو الجواب الذي قدمناه من غير حاجة إلى القلب والتقديم
والتأخير وإذا كان هذا المعنى يتم وينتظم على ما ذكرناه من غير قلب
فلا حاجة بنا إليه وقد ذكر أبو القسم البلخي هذا الجواب في تفسيره
واختاره وقواه وسأل نفسه عليه فقال كيف جاز أن يقول فلا تستعجلون
وهو خلق العجلة فيهم وأجاب بأنه قد أعطاهم قدرة على
مغالبة طباعهم وكفها وقد يكون الإنسان مطبوعا عليها وهو مع ذلك

مأمور بالتثبت قادر على أن يجانب العجلة وذلك كخلقه في البشر شهوة
النكاح وأمرهم في أشرف الأوقات بالامتناع منه وهذا الذي
ذكره البلخي تصريح بأن المراد بالعجل غيره وهو الطبع الداعي إليه
والشهوة المتناولة له ويجب أيضا أن يكون المراد من هاهنا في لأن
شهوة العجل لا تكون مخلوقة من الإنسان وإنما تكون فيه وهذا
تجوز على تجوز وتوسع على توسع لأن القلب أولا مجاز ثم هو من بعيد
المجاز وذكر العجل والمراد به غيره مجاز آخر وإقامة من مقام
في كذلك على أنه تعالى إذا نهاهم عن العجلة بقوله فلا تستعجلون أي معنى
لتقديم قوله إني خلقت شهوة العجلة فيهم أو الطبع الداعي إليها على ما
عبر به البلخي وهذا إلى أن يكون عذرا لهم أقرب منه إلى أن يكون
حجة عليهم وأيسر الأحوال أن لا يكون عذرا ولا احتجاجا فلا يكون
لتقديمه معنى وفي الجواب الأول حسن تقديم ذلك على طريق الذم والتوبيخ
والتقريع من غير إضافة له إليه عز وجل فالجواب الأول أوضح وأصح

وثالثها جواب يروى عن الحسن قال يعني بقوله من عجل أي من ضعف
وهي النطفة المهينة الضعيفة وهذا قريب إن كان في اللغة شاهد على
أن العجل يكون عبارة عن الضعف أو معناه ورابعها ما حكي
أن أبا الحسن الأخفش أجاب به وهو أن يكون المراد أن الإنسان خلق من
تعجيل الأمر لأنه تعالى قال إنما أمرنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن
فيكون فإن قيل كيف يطابق هذا الجواب قوله من بعد فلا تستعجلون
قلنا يمكن أن يكون وجه المطابقة أنهم لما استعجلوا بالآيات واستبطؤها
أعلمهم تعالى أنه ممن لا يعجزه شيء إذا أراده ولا يمتنع عليه وأن من
خلق الإنسان بلا كلفة ولا مؤونة بأن قال له كن فكان مع ما فيه من
بدائع الصنعة وعجائب الحكمة التي يعجز عنها كل قادر ويحار فيها كل
ناظر لا يعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات وخامسها ما أجاب
به بعضهم من أن العجل الطين فكأنه قال تعالى خلق الإنسان من طين كما
قال في موضع آخر وبدأ خلق الإنسان من طين واستشهد بقول الشاعر

والنبع ينبت بين الصخر ضاحية والنخل ينبت بين الماء والعجل
ووجدنا قوما يطعنون في هذا الجواب ويقولون ليس بمعروف ان العجل هو
الطين وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم ان العجل الحمأة ولم يستشهد
عليه الا ان البيت الذي انشدناه يمكن ان يكون شاهدا له وقد رواه
ثعلب عن ابن الاعرابي وخالف شيئا من الفاظه فرواه
والنبع في الصخرة الصماء منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل
واذا صح هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى فلا تستعجلون
على نحو ما ذكرناه وهو ان من خلق الانسان مع الحكم الظاهرة فيه من
الطين المهين لا يعجزه اظهار ما استعجلوه من الآيات او يكون المعنى انه
لا يجب لمن خلق من الطين المهين وكان اصله هذا الاصل الحقير الضعيف
ان يهزأ برسل الله تعالى وآياته وشرائعه لانه تعالى قال قبل هذه الآية واذا
رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر آلهتكم
وسادسها ان يكون المراد بالانسان آدم عليه السلام ومعنى من عجل

اي في سرعة من خلقه لانه لم يخلقه من نطفة ثم من علقة ثم من
مضغة كما خلق غيره وانما ابتدأه الله تعالى وانشأه انشاء فكانه تعالى
نبه بذلك على الآية العجيبة في خلقه له وانه عز وجل يري عباده
من آياته اولا اولا ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه احوالهم وبيناته صح
وسابعها ما روي عن مجاهد وغيره ان الله تعالى خلق آدم بعد
خلق كل شيء آخر نهار يوم الجمعة على سرعة معاجلا به غروب
الشمس وروي ان آدم عليه السلام لما نفخت فيه الروح وبلغت اعالي
جسده ولم تبلغ اسافله قال يا رب استعجل بخلقي قبل غروب الشمس
وثامنها ما روي عن ابن عباس والسدي ان آدم عليه السلام لما
خلق وجعلت الروح في اكثر جسده وثب عجلان مبادرا الى ثمار الجنة
وقال قوم بل هم بالوثوب فهذا معنى قوله خلق الانسان من عجل وهذه
الاجوبة المتاخرة مبنية على ان المراد بالانسان فيها آدم عليه السلام
دون غيره قال سيدنا رضي الله عنه واني لاستحسن لمسكين الدارمي قوله

ربّ أمورٍ قد بريتُ لحاءها وقوّمتُ من أصلابها ثمّ زعتها

خ زعتها / في ديوانه رثثتها

أقيمُ بدار الحرب ما لم أهن بها فإن خفتُ من دارٍ هوانًا تركتها

وأُصلحُ جُلّ المال حتّى تخالني شحيحًا وإن حقٌّ عراني أهنتها

ولستُ بولّاجِ البيوت لفاقةٍ ولكن إذا استغنيتُ عنها ولجتها

أبيتُ عن الإدلاج في الحيّ نائمًا وأرضٍ بإدلاجٍ وهمٍّ قطعتها

ألا أيّها الجاري سنيحًا وبارحًا تعرّض نفسًا لو أشا قد قتلتها

تعارضُ فخر الفاخرين بعصبةٍ ولو وضعت لي في إناءٍ أكلتها

وإنّ لنا من بعية المجد كلّها مواريث آباءٍ كرامٍ ورثتها

إذا قصرت أيدي الرجال عن العلى مددتُ يدي باعًا عليهم فنلتها

وداعٍ دعاني للعلى فأجبته ودعوة باغٍ في الصديق خذلتها

ومكرمةٍ كانت رعاية والدي فعلّمنيها والدي ففعلتها

وعوراء من قيل امرئٍ ذي قرابةٍ تصاممتُ عنها بعدما قد سمعتها

رجاة غدٍ أن تعطف الرحم بيننا ومظلمةٍ منه بجنبي عركتها

خ رجاءً غدٍ أن تعطف الرحم

[illegible]

إذا ما أمور الناس رثّت وضيّعت وجدتُ أموري كلّها قد رممتها

في شعره تأتمني

وإنّي سألقى الله لم أرمِ حرّةً ولم تأتمنّي يوم سرٍّ فخنتها

ولا قاذفٍ نفسي ونفسي بريئةٌ وكيف اعتذاري بعدما قد فرثتها

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو ذرّ القراطيسي قال حدّثنا عبد الله بن محمّد بن أبي الدنيا قال حدّثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي أنّ رجلًا من الأنصار حدّثه قال قال مسكين الدارمي

ولستُ إذا ما سرّني الدهر ضاحكًا ولا خاشعًا ما عشتُ من حادث الدهرِ

ولا جاعلًا عرضي لمالي وقايةً ولكن أقي عرضي فيحرزه وفري

أعفّ لدى عسرتي وأبدي تجمّلًا ولا خير فيمن لا يعفّ لدى العسرِ

(خ صحابي)

وإني لأستحيي إذا كنت معسرًا صديقي وإخواني بأن يعلموا فقري

وأقطع إخواني وما حال عهدهم حياءً وإعراضًا

وما بي من كبر

فإن يك عارًا ما أتيت فربما أتى المرء يوم السوء من

حيث لا يدري

ومن يفتقر يعلم مكان صديقه ومن يحي لا يعدم بلاءً من الدهر

ومن مستحسن قوله

إن أدع مسكينًا فما قصرت قدري بيوت الحي والجدر

قيل إن مسكينًا لُبِّس باسمه وإن اسمه ربيعة وإنما سمي

بذلك لقوله

وسميت مسكينًا وكانت لجاجة وإني لمسكين إلى الله راغب

ومعنى قصرت قدري أي سترت يريد أنها بارزة لا تحجبها السواتر والحيطان

ما مس رحلي العنكبوت ولا جرياته من وضعه غبر

هذه كناية مليحة عن مواصلة السير وهجر الوطن لأن العنكبوت إنما ينسج على ما لا تناله الأيدي ولا يكثر استعماله والجريات جمع جرية وهي باطن دفة الرحل

(خ يعزى)

لا آخذ الصبيان ألثمهم والأمر قد يغرى به الأمر

يقول لا أقبل الصبي وأنا أريد التعريض بأمه ومثله لغيره

ولا ألقي لذي الودعات سوطي لألاعبه وريبته أريد

(خ وزينته)

وأنشد ابن الأعرابي مثله

إذا رأيت صبي القوم يلثمه ضخم المناكب لا عم ولا خال

فاحفظ صبيك منه أن يدنسه ولا يغرنك يومًا قلة المال

(خ كثرة)

رجع إلى تمام القصيدة

ولرب أمر قد تركت وما بيني وبين لقائه ستر

(خ ومقاوم)

ومخاصم قاومت في كبد مثل الدهان فكان لي العذر

ما علتي قومي بنو عدس وهم الملوك وخالي البشر

[illegible]

[illegible]

[illegible]

عمي ذرارة غير منتحل وأبي الذي حدثته عمرو
في المجد غرتنا مبينة للناظرين كأنها البدر
لا يرهب الجيران غدرتنا حتى يوارى ذكرنا القبر
لسنا كأقوام إذا كلحت إحدى السنين فجارهم تمر
أي يستحلي الغدر به كما يستحلي التمر
مولاهم لحم على وضم تنتابه العقبان والنسر
ناري ونار الجار واحدة وإليه قبلي تنزل القدر
يقال إنه كانت له امرأة تماضة فلما قال ذلك قالت له أجل إنما نارك
ونار الجار واحدة لأنه أوقد ولم توقد والقدر تنزل إليه قبلك لأنه
طبخ ولم تطبخ وأنت تستطعمه
ما ضر جاري أن أجاوره أن لا يكون لبيته ستر
قال ويقال إنها قالت له في هذا البيت أيضا أجل إن كان له ستر
هتكته ، أعمى إذا ما جارتي خرجت حتى يواري جارتي الخدر

ويصم عما كان بينهما سمعي وما بي غيره وقر
وأنشد عمر بن شبة لمسكين أيضا
لا تجعلني كأقوام علمتهم لم يظلموا لبة يوما ولا ودجا
إني لأغلاهم باللحم قد علموا نيا وأرخصهم باللحم إذ نضجا
أنا ابن قاتل جوع القوم قد علموا إذا السماء كست آفاقها رهجا
يا رب أمرين قد فرجت بينهما إذا هما نشبا في الصدر واعتلجا
أديم خلقي لمن دامت خليقته وأمزج الحلو أحيانا لمن مزجا
وأقطع الخرق بالخرقاء لاهية إذا الكواكب كانت في الدجى سرجا
ما أنزل الله من أمر فأكرهه إلا سيجعل لي من بعده فرجا
ما مد قوم بأيديهم إلى شرف إلا رأونا فما فوقهم درجا
وأنشد أبو العباس ثعلب له
أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله ويخصب عندي والمكان جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

وروى ثعلب

لحافي لحاف الضيف والبيت بيته ولم يلهني عنه غزال مقنع
أحدثه إن الحديث من القرى وتعلم نفسي أنه سوف يهجع

ومعنى أحدثه إن الحديث من القرى أي أصبر على حديثه وأعلم أنه سوف ينام ولا أغرض بمحادثته فأكون قد محقت قراي والحديث الحسن من تمام القرى ﻫ وقال الأصمعي أحسن ما قيل في الغيرة قول مسكين الدارمي

ألا أيها الغائر المستشيط علام تغار إذا لم تغر
فما خير عرس إذا خفتها وما خير بيت إذا لم يزر
تغار على الناس أن ينظروا وهل يفتن الصالحات النظر
فإني سأخلي لها بيتها فتحفظ لي نفسها أو تذر
إذا الله لم يعطه ودها فلن يعطي الود سوط ممر
ومن ذا يراعي له عرسه إذا ضمه والمطي السفر

وكان مسكين كثير اللهج بالقول في هذا المعنى فمن ذلك قوله

وإني امرؤ لا آلف البيت قاعدا إلى جنب عرسي لا أفرطها شبرا (خ شبرا)
ولا مقسم لا أبرح الدهر بيتها لأجعله قبل الممات لها قبرا
إذا هي لم تحصن أمام فنائها فليس بمنجيها بناء لها قصرا
ولا حاملي ظني ولا قول قائل على غيرة حتى أحيط بها خبرا
فهبني امرأ راعيت ما دمت شاهدا فكيف إذا ما سرت من بيتها شهرا

وأنشد أبو العيناء (خ العباس) عن أبي العالية لمسكين

ما أحسن الغيرة في حينها وأقبح الغيرة في كل حين
من لم يزل متهما عرسه مناصبا فيها لرجم الظنون
يوشك أن يغريها بالذي يخاف أو ينصبها للعيون
حسبك من تحصينها ضمها منك إلى خلق كريم ودين
لا تظهرن منك على عورة فيتبع المقرون حبل القرين

بلغ المعارضة بالأصل
بلغ السماع

مجلس آخر تأويل آية ﻫ إن سأل سائل عن قوله

تعالى في قصة يوسف عليه السلم ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى
برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين
فقال هل يسوغ ما تأول بعضهم هذه الآية عليه من أن يوسف عليه السلم
عزم على المعصية وأرادها وأنه جلس مجلس الرجل من المرأة ثم انصرف
عن ذلك بأن رأى صورة أبيه يعقوب عليه السلم عاضا على إصبعه
متوعدا له على مواقعة المعصية أو بأن نودي بالنهي والزجر في الحال على ما
ورد به الحديث ع الجواب قلنا إذا ثبت بأدلة العقول التي لا
يدخلها الاحتمال والمجاز ووجوه التأويلات أن المعاصي لا تجوز على الأنبياء
عليهم السلم صرفنا كل ما ورد ظاهره بخلاف ذلك عن كتاب أو سنة
إلى ما يطابق الأدلة ويوافقها كما نفعل مثل ذلك فيما يرد ظاهره مخالفا
لما تدل عليه العقول من صفاته تعالى وما يجوز عليه أو لا يجوز ولهذه
الآية وجوه من التأويل كل واحد منها يقتضي براءة نبي الله تعالى من العزم
على الفاحشة وإرادة المعصية ع أولها أن الهم في ظاهر الآية

متعلق بما لا يصح أن يتعلق به العزم والإرادة على الحقيقة لأنه تعالى
قال ولقد همت به وهم بها فعلق الهم بهما وذاتاهما لا يجوز أن تراد
أو يعزم عليهما لأن الموجود الباقي لا يصح ذلك فيه فلا بد من تقدير
محذوف يتعلق العزم به وقد يمكن أن يكون ما تعلق به همه إنما
هو ضربها أو دفعها عن نفسه كما تقول القائل كنت هممت بفلان وقد هم
فلان بفلان أي بأن يوقع به ضربا (خ ضررا) أو مكروها ع فإن قيل فأي معنى
لقوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف
البرهان عنها ع قلنا يمكن أن يكون الوجه في ذلك أنه لما هم بدفعها
وضربها أراه الله برهانا على أنه إن أقدم على ما هم به أهلكه أهلها أو
قتلوه أو أنها تدعي عليه المراودة على القبيح وتقرفه بأنه دعاها إليه
وأن ضربه لها كان لامتناعها فيظن به ذلك من لا تأمل له ولا علم بأن بعض ح
مثله لا يجوز عليه فأخبر الله تعالى بأنه صرف بالبرهان عنه السوء
والفحشاء ويعني بذلك القتل والمكروه اللذين كانا يوقعان به لأنهما

يستحقان الوصف بذلك من حيث القبح او يعني بالسوء والفحشاء ظنهم به ذلك، فان قيل هذا الجواب يقتضي ان جواب لولا يتقدمها ويكون التقدير لولا ان راى برهان ربه لهم بضربها ودفعها وتقدم جواب لولا قبيح غير مستعمل او يقتضي ان تكون لولا بغير جواب، قلنا اما تقدم جواب لولا فجائز وسنذكرها فيه عند الجواب المختص بذلك على انا لا نحتاج اليه في هذا الجواب لان الهم بالضرب قد وقع الا انه انصرف عنه بالبرهان والتقدير ولقد همت به وهم بدفعها لولا ان راى برهان ربه لفعل ذلك فالجواب في الحقيقة محذوف والكلام يقتضيه كما حذف الجواب في قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم معناه ولولا فضل الله عليكم لهلكتم ومثله كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم معناه لو تعلمون علم اليقين لم تنافسوا في الدنيا وتفاخروا بها (خ فيها) وقال امرؤ القيس

فلو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط انفسا

11

اراد فلو انها نفس تموت سوية لانقضت وفنيت فحذف الجواب، على ان من تاول هذه الآية على الوجه الذي لا يليق بنبي الله تعالى واضاف العزم على المعصية اليه لا بد له من تقدير جواب محذوف ويكون التقدير عنده ولقد همت بالزنا وهم به لولا ان راى برهان ربه لفعله، فان قيل قوله وهم بها كقوله همت به فلم جعلتم همها متعلقا بالقبيح وهمه بها متعلقا بما ذكرتم من الضرب وغيره، قلنا اما الظاهر فلا يدل على ما تعلق به الهم والعزم فيهما (خ منهما) جميعا وانما اثبتنا همها به متعلقا بالقبيح لشهادة الكتاب والآثار به وهي ممن يجوز عليه فعل القبيح ولم يؤمن دليل من امتناعه عليها (خ من جوازه عليها) كما امن ذلك عليه السلام والموضع الذي يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى وقال نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه الى قوله انا لنراها في ضلال مبين، وقوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وقوله تعالى الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وفي موضع آخر فالتفتوا الكن

الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم والآثار واردة
باطباق مفسري القرآن ومتأوليه على انها همت بالفاحشة والمعصية
والوجه الثاني في تأويل الآية ان نحمل الكلام على التقديم والتأخير ويكون
التلخيص ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها ويجري ذلك
مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا اني تداركتك وقتلت لولا انني خلصتك
والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا تخليصي لقتلت وان لم يكن وقع هلاك
ولا قتل قال الشاعر

فلا يدعني قومي صريحا لحرة لئن كنت مقتولا ويسلم عامر

وقال الآخر

فلا يدعني قومي صريحا لحرة لئن لم اعجل طعنة او اعجل

(خ ليوم كريهة) (خ ضربة)

فقدم جواب لئن في البيتين جميعا وقد استشهد عليه ايضا بقوله تعالى
ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك والهم
لم يقع لمكان فضل الله تعالى ورحمته ومما يشهد لهذا التاويل ان في الكلام

شرطا وهو قوله تعالى لولا ان رأى برهان ربه فكيف نحمل على الاطلاق
مع حصول الشرط وليس لهم ان يجعلوا جواب لولا محذوفا مقدرا لان
جعل جوابها موجودا اولى ۞ وقد استبعد قوم جواب لولا عليها فقالوا
ولو جاز ذلك لجاز قام زيد لولا عمرو وقصدتك لولا بكر وقد بينا بما
اوردناه من الامثلة والشواهد جواز تقديم جواب لولا والذي ذكروه لا
يشبه ما اجزناه ۞ وقد يجوز ان يقول القائل قد كان زيد قام لولا كذا
وكذا وقد كنت قصدتك لولا ان صدني فلان وان لم يقع قيام ولا قصد
وهذا هو الذي يشبه الآية وليس تقديم جواب لولا بابعد من حذف
جواب لولا جملة من الكلام واذا جاز عندهم الحذف لان لا يلزم تقديم
الجواب حتى لا يلزم الحذف ۞ والجواب الثالث ما اختاره ابو علي
الجبائي وان كان غيره قد تقدمه الى معناه وهو ان يكون معنى هم بها
اشتهاها ومال طبعه الى ما دعته اليه وقد يجوز ان تسمى الشهوة في مجاز
اللغة هما كما يقول القائل فيما يشتهيه ليس هذا من همي وهذا اهم الاشياء

(هامش: تقديم صح)

(هامش: جاز عندنا تقديم الجواب ... صح)

الى ولا قبح في الشهوة لانها من فعل الله تعالى فيه وانما يتعلق القبح بتناول
المشتهى وقد روى هذا التاويل عن الحسن البصري قال اما همها فكان اخبث
الهم واما همه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء ويجب على هذا الوجه
ان يكون قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه متعلقا بمحذوف كانه قال
لولا ان راى برهان ربه لعزم او فعل والجواب الرابع ان من عادة
العرب ان يسموا الشيء باسم ما يقع عنده في الاكثر وعلى هذا لا ينكر ان يكون
هناك هم او عزم فسمى الخطور بالبال هما من حيث كان الهم يقع في الاكثر
عنده والعزم في الاغلب يتبعه وانما انكرنا ما ادعاه جهلة المفسرين
ومخرقوا القصاص وقرفوا به نبي الله عليه السلام من حيث كان منفرا
عنهم وقادحا في الغرض المجرى اليه بارسالهم والقصة تشهد بذلك
لانه قال كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ومن اكبر السوء والفحشاء
العزم على الزنا ثم الاخذ فيه والشروع في مقدماته وقوله تعالى ايضا
انه من عبادنا المخلصين يقتضي تنزيهه عن الهم بالزنا والعزم عليه

وحكايته عن النسوة قولهن حاش لله ما علمنا عليه من سوء يدل
ايضا على براءته من القبيح ۝ فاما البرهان الذي راه فيحتمل ان
يكون لطفا لطفه الله له به في تلك الحال او قبلها اختار عنده
الانصراف عن المعاصي والتنزه عنها ۝ ويحتمل ايضا ما ذكره
ابو علي وهو ان يكون دلالة الله تعالى له على تحريم ذلك عليه وعلى
ان من فعله يستحق العقاب وليس يجوز ان يكون البرهان ما
ظنه الجهال من رؤيته صورة ابيه يعقوب متوعدا له او النداء
بالزجر والتخويف لان ذلك ينافي المحنة وينقض الغرض بالتكليف
ويقتضي ان لا يستحق على امتناعه وانزجاره مدحا ولا ثوابا وهذا
سوء ثناء على الانبياء واقدام على قرفهم بما لم يكن منهم ونحمد الله على
حسن التوفيق ۝ روى احمد بن عبد الله بن العباس الصولي الملقب بطماس
قال كنت يوما عند عمي ابرهيم بن العباس فدخل اليه رجل فرفعه
حتى جلس الى جانبه او قريبا من ذلك ثم حادثه الى ان قال عمي يا ابا تمام

البرهان هو

عليه السلام

قال الشيخ الرضي رضي الله عنه

ممن صح

ومن نفي يعتصم به ويلجأ اليه قال انت لا عدمت وكان ابرهيم طويلا

أنت والله كما قيل

يمد نجاد السيف حتى كأنه باعلى سنامي فالج يتطوح ه

ويدلج في حاجات من هو نايم ويوري كريمات الندي حين يقدح

اذا اعتم بالبرد اليماني خلته هلالا بدا في جانب الافق يلمح

يزيد على فضل الرجال فضيلة ويقصر عنه مدح من يتمدح

[illegible]

فقال له ابرهيم انت تحسن قايلا وراويا ومتمثلا فلما خرج تبعته وقلت

له اكتبني الابيات فقال هي لابي الجويرية العبدي فخذها من شعره وروى

حامرأء

عن يحيى البحتري قال رأيت ابي يذاكر جماعة من اهل الشام بمعان

بن صح

من الشعر فمر فيها ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه فانشدوا انشادات

كثيرة فقال لهم ابي قد فرغ من هذا كاتب كان بالعراق فقال

احسب النوم حكاكا اذ رأى منك جفاكا

مني الصبر ومنك الهجر فابلغ بي مداكا

بعدت همة عين طمعت في ان تراكا

او ما حظ لعيني ان ترى من قد اراكا

ليت حظي منك ان تعلم ما بي من هواكا

قال ابي انه تصرف في معان من الشعر في هذه الابيات قال وكتبها

عنه جماعة من حضر والابيات لابرهيم بن العباس الصولي ه

واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال

لما بايع المامون لعلي بن موسى الرضا عليهما السلم بالعهد وامر الناس

بلبس الخضرة صار اليه دعبل بن علي وابرهيم بن العباس الصولي

وكانا صديقين لا يفترقان فانشد دعبل

مدارس ايات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

وانشد ابرهيم بن العباس على مذهبها قصيدة اولها ه

ازال عزاء القلب بعد التجلد مصارع اولاد النبي محمد

قال فوهب لهما عشرين الف درهم من الدراهم التي عليها اسمه وكان

المأمون أمر بضربها في ذلك الوقت فأما دعبل فصار بالشطر منها (دراهم صح)
إلى قم فاشترى أهلها منه كل درهم بعشرة فباع حصته بمائة ألف
درهم وأما إبرهيم فلم يزل عنده بعضها حتى مات قال الصولي
ولم أقف من قصيدة إبرهيم على غير هذا البيت قال وكان السبب في
ذهاب هذا الفن من شعره ما حدثني به أبو العباس أحمد بن محمد بن
الفرات والحسين بن علي الباقطاني قالا كان إبرهيم بن العباس صديقا
لإسحق بن إبرهيم أخي زيدان الكاتب المعروف بالزمن فأنسخه شعره
في علي بن موسى الرضا عليهما السلم وقد انصرف من خراسان
ودفع إليه شيئا بخطه منه فكانت النسخة عنده إلى أن ولي
المتوكل وولي إبرهيم بن العباس ديوان الضياع وقد كان تباعد ما بينه
وبين أخي زيدان فعزله عن ضياع كانت في يده بحلوان وغيرها (إسحق صح)
وطالبه بمال وألح عليه وأساء مطالبته فدعا بعض من يثق به من
إخوانه وقال له امض إلى إبرهيم بن العباس فأعلمه أن شعره في علي بن

موسى بخطه عندي وبغير خطه ووالله لئن استمر على ظلمي ولم يزل عني
المطالبة لأوصلن الشعر إلى المتوكل قال فصار الرجل إلى إبرهيم بن
العباس فأخبره بذلك فاضطرب اضطرابا شديدا وجعل الأمر في
ذلك إلى الواسطة حتى أسقط جميع ما كان طالبه به وأخذ الشعر منه
وأحلفه أنه لم يبق عنده منه شيء فلما حصل عنده أحرقه بحضرته
وذكر أبو أحمد يحيى بن علي المنجم أن أباه علي بن يحيى كان الواسطة بينهما
قال الصولي وما عرفت من شعر إبرهيم في هذا المعنى شيئا إلا أبياتا
وجدتها بخط أبي في علي بن موسى (الرضا عليهما السلم صح) من قصيدة

كفى بفعال امرئ عالم ... على أهله عادلا شاهدا
أرى لهم طارفا مونقا ... ولا يشبه الطارف التالدا
يمن عليكم بأموالكم ... وتعطون من مائة واحدا
فلا حمد الله مستبصرا (خ سعي امرئ) ... يكون لأعدائكم حامدا
فضلت قسيمك في قعدد ... كما فضل الوالد الوالدا

قال الصولي فنظرت في قوله فضلت قسيمك في قعدد فوجدت علي بن
موسى والمأمون متساويين في قعدد النسب وهاشم التاسع من آبائهما
جميعا ، وروى الصولي أن منشدا أنشد ابرهيم بن العباس وهو في مجلسه
في ديوان الضياع

ربما تكره النفوس من الأمر لها فرجة كحل العقال

قال فنكت بقلمه ساعة ثم قال

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

فعجب من جودة بديهته ، واخبرنا ابو الحسن علي بن محمد قال اخبرني
محمد بن يحيى الصولي قال حدثني القسم بن اسمعيل ابو ذكوان قال كنت بالأهواز
ايام الواثق وابرهيم بن العباس يلي معونتها وخراجها فوصفت له بالأدب
فأمر باحضاري فلما دخلت قرب مجلسي وقال تسلف انس المطاولة فان
الاستمتاع لا يتم الا به فانبسطت وتساءلنا عن الأشعار فما رأيت احدا

قط أعلم بالشعر منه فقال لي ما عندك في قول النابغة

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

فقلت أراد تفضيله على الملوك فقال صدقت ولكن في الشعر خبء
وهو أنه اعتذر الى النعمن من ذهابه الى آل جفنة الى الشام ومدحه
لهم وقال انما فعلت هذا الجفا بك لي فاذا صلحت لي لم أرد غيرك كما أن
من اضاءت له الشمس لم يحتج الى ضوء الكواكب فأتى بمعنيين بهذا وبتفضيله
قال فاستحسنت ذلك منه ، وكان ابرهيم بن العباس من اصدق
الناس لأحمد بن ابي دواد فعتب على ابنه ابي الوليد من شيء فذمه ومدح
اباه وأحسن في التخلص كل الاحسان فقال

عفت مساو تبدت منك واضحة على محاسن بقاها ابوك لكا
لئن تقدمت أبناء الكرام به لقد تقدم آباء اللئام بكا
تمر الصبا صفحا بساكن ذي الغضا ويصدع قلبي ان يهب هبوبها

قريبة عهد بالحبيب وإنما هوى كل نفس حيث كان حبيبها

تطلع من نفسي إليك نوازع عوارف أن اليأس منك نصيبها

وأخذ هذا من قول ذي الرمة

إذا هبت الأرواح من نحو جانب به آل مي هاج شوقي هبوبها

هوى تذرف العينان منه وإنما هوى كل نفس حيث كان حبيبها

دنت بأناس عن تناء زيارة وشط بليلى عن دنو مزارها

وإن مقيمات بمنقطع اللوى لأقرب من ليلى وهاتيك دارها

وروي هذان البيتان لمحمد بن عبد الملك الزيات

وأخذ ذلك من قول النظار الفقعسي

يقولون هذي أم عمرو قريبة دنت بك أرض نحوها وسماء

ألا إنما بعد الحبيب وقربه إذا هو لم يوصل إليه سواء

ووجدت بعض أهل الأدب يظن أن إبراهيم بن العباس سبق إلى هذا المعنى في قوله

كن كيف شئت وأنى تشا وأرعد يمينا وأبرق شمالا

خ وأبرق — خ وأرعد

خ مقاذره

نجا بك لؤمك منجى الذباب حمته مقاذيره أن ينالا

حتى رأيت مسلم بن الوليد قد سبق إلى هذا المعنى وأحسن غاية الإحسان

أما الهجاء فدق عرضك دونه والمدح عنك كما علمت جليل

فاذهب فأنت طليق عرضك إنه عرض عززت به وأنت ذليل

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين فقال إذا كانت المحبة عندكم هي الإرادة فهذا تصريح من يوسف عليه السلام بإرادة المعصية لأن حبسه في السجن وقطعه عن التصرف معصية من فاعله وقبيح من المقدم عليه وهو في القبح يجري مجرى ما دعي إليه من الزنا وقوله من بعد وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن يدل على أن امتناعه من القبيح مشروط بمنعهن وصرفهن عن كيده وهذا خلاف مذهبكم

لأنكم تذهبون إلى أن ذلك لا يقع منه صرف الشهوة عن كيده
أو لم يصرفه فمن الجواب قلنا أما قوله رب السجن أحب
إلي مما يدعونني إليه ففيه وجهان من التأويل أولهما أن المحبة
متعلقة في ظاهر الكلام بما لا يصح في الحقيقة أن يكون محبوبا
مرادا لأن السجن إنما هو الجسم والأجسام لا يجوز أن يريدها وإنما
يريد الفعل فيها أو المتعلق بها والسجن نفسه ليس بطاعة ولا معصية
وإنما الأفعال فيه قد تكون طاعات ومعاصي بحسب الوجوه التي
تقع عليها وإدخال القوم يوسف عليه السلم الحبس وإكراههم له على دخوله
معصية منهم وكونه فيه وصبره على ملازمته والمشاق التي تناله باستطانه
طاعة منه وقربة فقد علمنا أن ظالما لو أكره مؤمنا على ملازمة بعض
المواضع وترك التصرف في غيره لكان فعل المكره حسنا وإن كان فعل المكره
قبيحا وهذه الجملة تبين أنه لا ظاهر في الآية يقتضي ما ظنوه وأنه لا
بد من تقدير محذوف يتعلق بالسجن وليس لهم أن يقدروا ما يرجع إلى

الجائز من الأفعال إلا ولنا أن نقدر ما يرجع إلى المحبوب وإذا احتمل
الكلام الأمرين ودل الدليل على أن النبي عليه السلم لا يجوز أن يريد
المعاصي والقبائح اختص المقدر بما يرجع إليه مما ذكرناه وذلك
طاعة لا لوم على مريده ومحبه فإن قيل كيف يجوز أن يقول
السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وهو لا يحب ما دعوه إليه جملة ومن
شأن هذه اللفظة أن تدخل بين ما وقع فيه اشتراك في معناها وإن
فضل البعض على البعض قلنا قد تستعمل هذه اللفظة في مثل هذا
الموضع وإن لم يكن في معناها اشتراك على الحقيقة ألا ترى أن من خير
بين ما يحبه وما يكرهه جاز أن يقول هذا أحب إلي من هذا إذا كان
لا يحب أحدهما جملة وإنما يسوغ ذلك على أحد الوجهين دون الآخر من
حيث كان المخير بين الشيئين لا يخير بينهما إلا وهما مرادان له أو مما
يصح أن يريدهما فموضوع التخيير يقتضي ذلك وإن حصل فيما ليس هذه
صورته والمجيب عن هذا إذا قال لذا أحب إلي من كذا كان مجيبا على ما

المحذوف صح

مثل صح

وإن [illegible] بعض [illegible]
[illegible]

يقتضيه موضوع التخيير وان لم يكن الأمران يشتركان في تناول
محبته ومما يقارب ذلك قوله تعالى قل أذلك خير ام جنة الخلد
ونحن نعلم أنه لا خير في العقاب وانما احسن ذلك لوقوعه موقع
التوبيخ والتقريع على اختيار المعاصي على الطاعات وانهم ما ركبوا
المعاصي وآثروها على الطاعات الا لاعتقادهم أن فيها خيرا ونفعا
فقيل أذلك خير على ما تظنونه وتعتقدونه ام كذا وكذا ع
وقد قال قوم في قوله تعالى اذلك خير ام جنة الخلد انما احسن ذلك
لاشتراك الحالتين في باب المنزلة وان لم يشتركا في الخير والنفع
كما قال تعالى خير مستقرا واحسن مقيلا ومثل هذا يتأتى في قوله
تعالى رب السجن أحب الي لأن الأمرين يعني المعصية ودخول
السجن مشتركان في أن لكل منهما داعيا وعليه باعثا وان لم يشتركا
في تناول المحبة فجعل اشتراكهما في داعي المحبة اشتراكا في
المحبة نفسها وأجرى اللفظ على ذلك ع ومن قرأ هذه الآية

بفتح السين فالتأويل ايضا ما ذكرناه لأن السجن المصدر فيحتمل أن يريد
أن سجني لهم نفسي وصبري على حبسهم أحب الي من مواقعة المعصية
ولا يرجع بالسجن الى فعلهم بل الى فعله ع والوجه الثاني أن
يكون معنى أحب الي اي أهون عندي وأسهل علي وهذا كما يقال
لأحدنا في الأمرين يكرههما معا ان فعلت كذا والا فعلت بك كذا فيقول
بل الفعل كذا أحب الي بمعنى أسهل وأخف وان كان لا يريد واحدا
منهما وعلى هذا الوجه لا يمتنع أن يكون انما اراد فعلهم به دون فعله
لأنه لم يخبر عن نفسه بالمحبة التي هي الارادة وانما وضع أحب
موضع أخف والمعصية قد تكون أخف وأهون من اخرى ع فاما
قوله والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن فليس المعنى على ما ظنته
الجهال بل المراد متى لم تلطف لي بما يدعوني الى مجانبة المعصية
ويثبتني الى تركها ومفارقتها صبوت وهذا منه عليه السلام على
سبيل الانقطاع الى الله تعالى والتسليم لأمره وانه لولا معونته

ولطفه ما نجا من كيدهن ولا شبهة في ان النبي عليه السلام انما
يكون معصوما من القبائح بعصمة الله تعالى له وبلطفه وتوفيقه ○
فان قيل الظاهر خلاف ذلك لانه قال والا تصرف عني كيدهن اصب
اليهن فيجب ان يكون المراد ما يمنعهم من الكيد ويرفعه والذي ذكرتموه
من انصرافه عن المعصية لا يقتضي ارتفاع الكيد والانصراف عنه ه
قلنا معنى الكلام والا تصرف عني ضرر كيدهن والغرض به لانهن انما
اجرين بكيدهن الى مساعدته لهن على المعصية فاذا عصم منها ولطف
له في الانصراف عنها فكان الكيد قد انصرف عنه ولم ينفع به من حيث
لم ينفع ضرره وما اجري به اليه ولهذا يقال لمن اجرى بكلامه الى غرض
لم يقع ما قلت شيئا ولمن فعل ما لا تاثير له ما فعلت شيئا وهذا بين بحمد
الله ومنه ه **تأويل خبر** ه ان سأل سائل عن تأويل
الخبر الذي يرويه عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال
في خطبة خطبها من تتبع المشمعة يشمع الله به **الجواب**

بلغ المعارضة بالاصل

ان المشمعة هي الضحك والمزاح واللعب يقال شمع الرجل يشمع شموعا وامرأة
شموع اذا كانت كثيرة المزاح والضحك قال ابو ذؤيب يصف الحمير

بقرار قيعان سقاها وابل واه فاثجم برهة لا يقلع
فلبثن حينا يعتلجن بروضة فيجد حينا في العلاج ويشمع

اثجم اي دام وثبت اما الغيث ... يتوى به وضعه والضمير يضيفه او للقرار او للوابل ○

اراد ان هذا الحمار الذي وصف حاله مع الاتن وانه معهن في بعض القيعان
يعارك هذه الاتن ومعنى يعتلجن يعاض بعضها بعضا وذلك من
النشاط فيجد الفحل معهن مرة واخرى ياخذ معهن في اللعب فيشمع وفي
جد لغتان يجد ويجد والمفتوح اوله لغة هذيل ويقال فلان جاد
مجد على اللغتين معا وقيل ان معنى يشمع في بيت الحمار انه يتشمم ثم يرفع راسه
ويكشر عن اسنانه فجعل ذلك بمنزلة الضحك ه قال الشماخ

ولو اني اشا كنت نفسي الى لبات ممكنة شموع

جمع لبة وهي اعلى الصدر والممكنة الغضة ○

وقال المتنخل الهذلي

ولا والله نادى الحي ضيفي هدوا بالمساءة والعلاط

شابذأهم مشمعة وأثني بجمدي من طعام أو بساط
أراد بقوله نادي الحي ضيفي أي لا يبادونه من البذاء وبالسوء والمكروه
ولا يتلقونه بما لا يؤثر والعلاط من أعلطه واعتلط به إذا خاصمه
وشاغبه ووسمه بالشر وأصله من علاط البعير وهو وسم في عنقه
وقيل إن معنى نادي الحي من النادي أي لا يجالسونه بالمكروه
والشر ومعنى شابذأهم مشمعة أي بلعب وضحك لأن من علامات ذال صح
الكرم والسرور بالضيف في القصد إلى إيناسه وبسطه ومنه قول
الآخر ∴ وربّ ضيف طرق الحي سرى صادف زادا وحديثا ما اشتهى
إن الحديث جانب من القرى ∴ وروى الأصمعي عن خلف الأحمر
قال سنة الأعراب إذا حدثوا الرجل الغريب وهشوا إليه ومازحوه
أيقن بالقرى وإذا أعرضوا عنه عرف الحرمان ومعنى أثني بجمدي
من طعام أو بساط أي أتبع ذلك بهذا ومعنى الخبر على هذا أن من من صح
كان شأنه العبث بالناس والاستهزاء بهم والضحك منهم أصاره الله تعالى

إلى حالة يعبث به فيها ويستهزأ منه ∴ ويقارب هذا
الحديث من وجه حديث آخر وهو ما روي عنه صلى الله عليه وآله
من يسمّع الناس بعمله يسمّع الله به والمعنى من راءى بأعماله
ويظهرها تقربا إلى الناس واتخاذا للمنازل عندهم يشهره
الله تعالى بالرياء ويفضحه ويهتكه ∴ ويمكن أيضا في الخبر الأول
وجه آخر لم يذكر فيه وهو أن من عادة العرب أن يسموا الجزاء على
الشيء باسمه ولذلك نظائر في القرآن وأشعار العرب كثيرة مشهورة
فلا ينكر أن يكون المعنى من تتبع اللهو بالناس والاستهزاء بهم
يعاقبه الله على ذلك ويجازيه به فسمى الجزاء على الفعل باسمه وهذا
الوجه أيضا ممكن في الخبر الثاني ∴ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني
قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه
قال إني لفي سوق ضرية وقد نزلت على رجل من بني كلاب كان
متزوجا بالبصرة وكان له ابن بضرية إذ أقبلت عجوز على ناقة لها

حسنة البزة فيها باقي جمال فأناخت وعقلت ناقتها وأقبلت
تتوكأ على محجن لها فجلست قريبا منا وقالت هل من منشد فقلت
للكلابي أيحضرك شيء قال لا قال فأنشدتها شعر البشر بن عبد الرحمن
الأنصاري

وقصيرة الأيام ود جليسها لو باع مجلسها بفقد حميم
من مخذبات أخي الهوى غصص الجوى بدلال غانية ومقلة ريم
صفرا من بقر الجواء كأنما خفر الحياء بها رداع سقيم

قال فجثت على ركبتيها وأقبلت تخرش الأرض بمحجنها وأنشأت تقول

قفي يا أميم القلب نقرأ تحية ونشكو الهوى ثم افعلي ما بدا لك
فلو قلت طأ في النار أعلم أنها هوى لك أو مدن لنا من وصالك
لقدمت رجلي نحوها فوطئتها هدى منك لي أو ضلة من ضلالك
سلي البانة العليا بالأجرع الذي به البان هل كلمت أطلال دارك
وهل قمت في أطلالهن عشية مقام أخي البأساء واخترت ذلك

لئن ساءني أن نلتني بمساءة لقد سرني أني خطرت ببالك
ليهنك إمساكي بكفي على الحشا ورقراق دمعي رهبة من زيالك

قال الأصمعي فأظلمت والله علي الدنيا لحلاوة منطقها وفصاحة
لهجتها فدنوت منها فقلت نشدتك الله لما زودتني من هذا
فرأيت الضحك في عينيها وأنشدت

ومستخفيات ليس يخفين زوننا يسحبن أذيال الصبابة والشكل
جمعن الهوى حتى إذا ما ملكنه نزعن وقد أكثرن فينا من القتل
مريضات رجع القول خرس عن الخنا تألفن أهواء القلوب بلا بذل
موارق من خل المحب عواطف بخل ذوي الألباب بالجد والهزل
يعنفني العذال فيهن والهوى يحذرني من أن أطيع ذوي العذل

قال رحمه الله أما قول الأنصاري وقصيرة الأيام فأراد بذلك أن السرور يتكامل
بحضورها لحسنها وطيب حديثها فتقصر أيام جليسها لأن
أيام السرور موصوفة بالقصر ويمكن أن يريد بقصيرة الأيام أيضا

حداثة سنها وقرب عهد مولدها وإن كان الأول أشبه بما أتى في آخر
البيت ومعنى لو باع مجلسها بفقد حميم أي ابتاعه وهذا اللفظ من الأضداد
لأنه يستعمل في البائع والمشتري معا قال الفراء سمعت أعرابيا يقول
بع لي تمر أبيدهم أي اشتر لي تمر أبيدهم وقال الشاعر

فيا عزّ ليت النأي إذ حال بيننا وبينك باع الودّ لي منك تاجر

أي ابتاع ۝ وقوله من مجذيات أخي الهوى أي من معطيات يقال أجذيت
الرجل من العطية والغنيمة أجذيه إذا أعطيته والاسم الجذية والجذوة (خ الجذية) (أجذاء)
والجذيا كل ذلك العطية ۝ وقوله كأنما خفر الحياء بها رداع سقيم فالرداع
هو الوجع في الجسد فأراد أنها منقبضة منكسرة من الحياء كالسقيم أو يريد
تغيّر لونها وصفرته من الحياء كما يتغير لون السقيم فيجري ذلك مجرى
قول ليلى الأخيلية ۝

ومخرّق عنه القميص تخاله بين البيوت من الحياء سقيما

أخبرنا المرزباني قال حدثنا أبو عبد الله الحكيمي (خ عبيد) قال حدثني ميمون بن هرون الكاتب

قال حدثني ابن أخي الأصمعي عن عمه قال لقيت أعرابيا بالبادية
فاسترشدته إلى مكان فأرشدني وأنشدني

بئس العما طول السؤال وإنما تمام العمى طول السكوت على الجهل

ثم رجعت إلى البصرة فمكثت فيها حينا (خ بها) ثم قدمت البادية فإذا أنا
بالأعرابي جالسا بين ظهراني قوم وهو يقضي بينهم فما رأيت قضية (خ من قضاياه)
أخطأت قضية الصالحين من قضيته فجلست إليه فقلت رحمك
الله أما من رشوة أما من هدية أما من صلة فقال لا إذا جاء هذا
ذهب التوفيق فشكوت إليه ما ألقى من عذل حليلتي لي إياي
في طلب المعيشة فقال لست فيها بأوحد وإني لشريكك ولقد قلت
في ذلك شعرا فقلت أنشدنيه فأنشدني

٥ باتت تعيّرني الإقتار والعدما لما رأت لأخيها المال والخدما
عنف لرأيك ما الأرزاق من جلد ولا من العجز بل مقسومة قسما
يا أمة الله إني لم أدع طلبا للرزق قد تعلمين الشرق والشأما

وكل ذلك بالإجمال في طلبٍ لم أُرْدِ عرضا ولم أسفل لذا الكدما
لو كان من جِدٍّ ذا المال أو أدبٍ لكنت أكثر من مَلّ القِرى نعما
أرضى من العيش ما لم تحوجي معه أن تفتحي لسؤال الأغنياء فما
واستشعري الصبر عل الله خالقنا يوما سيكشف عنا الفقر والعدما
لا تحوجيني الى مال لو بذلت له نفسي لأعقبك التهمام والندما
تالله سرك أن الله خولني ما كان خوله الأعراب والعجما
ما سرني أنني خولت ذاك ولا أن لا أقول لباغي حاجتي نعما
وأنني لم أحز عقلا ولا أدبا ولم أرث والدي مجدا ولا كرما
فعشرة المرء أخرى في معاشك من أمر تجر عليك الهم والألما
قال فوالله ما أنشدتها حتى حلفت ألا تعذلني أبدا حدثنا علي بن
محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي
عن عمه قال رأيت بقباء شابا من بني عامر ما رأيت بدويا أفصح منه
ولا أظرف فوالله لكأنه شواظ يتلظى فاستنشدته فأنشدني

فلم أنسكم يوم اللوى إذ تعرضت لنا أم طفل خاذلا قد تخلت
وقالت سأنسيك العشية ما مضى وأصرف عنك النفس عما أحبت
فما فعلت لا والذي أنا عبده على ما بدا من حسنها إذ أدلت
أبت سابقات الحب إلا مقرها إليك وما تثني إذا ما استقرت
هوى كالذي في النفس أمسى دخيلها عليه انطوت أحشاؤها واستمرت
وأنشدني أيضا
ديار للتي طرقتك وهنا بريا روضة وذكاء زند
تسائلني وأصحابي هجود وتثني عطفها من غير صد
فلما أن شكوت الحب قالت فإني فوق وجدك كان وجدي
ولكن حال دونك ذو شذاة أسر بفقده ويهمه فقدي
وبهذا الإسناد عن الأصمعي قال قعدت إلى أعرابي يقال له إسمعيل بن
عمار وإذا هو يفتل أصابعه ويتلهف فقلت له علام تلهف فأنشأ يقول
عيناي مشؤومتان ويحهما والقلب حيران مبتلى بهما

عرفناه الهوى بظلمهما بالبين قبلها عدمتهما
هما الى الحين قادنا وهما دلا على ما اجن دمعهما
ساعذر القلب في هواه فما سبب هذا البلا غيرهما

وعن الاصمعي بهذا الاسناد قال نزلت ذات ليلة في وادي بني العنبر وهو اذ ذاك معان باهله اي آهل واذا فتية يريدون البصرة فاحببت صحبتهم فاقمت ليلتي تلك عليهم واني لوصب محموم اخاف ان لا استمسك على راحلتي فلما قاموا ليرحلوا ايقظوني فلما راوا حالي رحلوا لي وحملوني وركب احدهم ورائي يمسكني فلما امعن السير تنادوا الا فتى يحدو بنا او ينشدنا فاذا منشد في سواد الليل بصوت ندٍ حزين ينشد

لعمرك اني يوم بانوا فلم امت خفاتا على آثارهم لصبور
غداة المنقى اذ رميت بنظرة ونحن على متن الطريق نسير
فقلت لقلبي حين خفّ به الهوى وكاد من الوجد المبرح يطير
فهذا ولما تمض للبين ليلة فكيف اذا مرت عليه شهور
واصبح اعلام الاحبة دونها من الارض غول نازح ومسير
واصبحت تحدى الهوى متهم النوى ازيد اشتياقا ان تحن بعير
عسى الله بعد النأي ان يسعف النوى ويجمع شمل بعدها وسرور

قال فسكنت والله الحمى حتى ما احس بها فقلت لرديفي انزل رحمك الله الى راحلتك فاني متماسك وجزاك الله عن الصحبة خيرا ه

اخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثني بعض اصحابنا عن الاصمعي قال كان بالبصرة اعرابي من بني تميم يطفل على الناس فعاتبته على ذلك فقال والله ما بنيت المنازل الا لتدخل ولا وضع الطعام الا ليؤكل وما قدمت هدية فاتوقع رسولا وما اكره ان اكون ثقلا ثقيلا على من اراه شحيحا بخيلا اقتحم عليه مستانسا واضحك ان رايته عابسا فآكل برغمه وادعه بغمه وما اخترق اللهوات طعام اطيب من طعام لا ينفق فيه درهم ولا يعنى اليه خادم

ثم أنشد

كل يوم أدور في عرصة الحي أشم القتار شم الذباب

فإذا ما رأيت آثار عرس أو ختان أو مجمع الأصحاب

لم أروع دون التقحم لا أرهب دفعا ولكزة البواب

مستهينا بما هجمت عليه غير مستأذن ولا هياب

فتراني ألف بالرغم منهم كل ما قدموه لف العقاب

ذاك أدنى من التكلف والغرم وغيظ البقال والقصاب

مجلس آخر تأويل آية. إن سأل سائل عن قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين فقال ظاهر قوله تعالى إنه ليس من أهلك يقتضي تكذيب قوله إن ابني من أهلي والنبي لا يجوز عليه الكذب فما الوجه في ذلك وكيف

يصح أن يخبر عن ابنه بأنه عمل غير صالح وما المراد بذلك

الجواب قلنا في هذه الآية وجوه أولها أن يكون نفيه لأن يكون من أهله لم يتناول نفي النسب وإنما نفي أن يكون من أهله الذين وعده الله بنجاتهم لأنه عز وجل كان وعد نوحا بأن ينجي أهله ألا ترى إلى قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول فاستثنى من أهله من أراد إهلاكه بالغرق ويدل عليه أيضا قول نوح إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وعلى هذا الوجه يتطابق الأمران ولا يتنافيان وقد روي هذا التأويل بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين والجواب الثاني أن يكون المراد بقوله تعالى ليس من أهلك أي أنه ليس على دينك وأراد أنه كان كافرا مخالفا لأبيه فكأن كفره أخرجه عن أن تكون له أحكام أهله ويشهد لهذا التأويل قوله عز وجل على طريق التعليل إنه عمل غير صالح فبين أنه إنما خرج عن أحكام

خ الذباب — خ ممن — خ الخبران

أيضا صح

أهله لكفره وسيئ عمله وقد روي هذا الوجه عن جماعة من المفسرين
وحكي عن ابن جريج أنه سئل عن ابن نوح فسبح طويلا ثم قال
لا إله إلا الله يقول الله ونادى نوح ابنه وتقول ليس منه ولكنه
خالفه في العمل فليس منه من لم يؤمن ه وروي عن عكرمة أنه قال
كان ابنه ولكن كان مخالفا له في النية والعمل فمن ثم قيل إنه ليس
من أهلك ع والوجه الثالث أنه لم يكن ابنه على الحقيقة وإنما
ولد على فراشه فقال عليه السلام إنه ابني على ظاهر الأمر فأعلمه الله تعالى
أن الأمر بخلاف الظاهر ونبهه على خيانة امرأته وليس في ذلك
تكذيب لخبره لأنه إنما أخبر عن ظنه وعما يقتضيه الحكم الشرعي
وأخبره الله تعالى بالغيب الذي لا يعلمه غيره وقد روي هذا الوجه
عن الحسن وغيره وروى قتادة عن الحسن قال كنت عنده فقال ونادى
نوح ابنه لعمر والله ما هو ابنه قال قلت يا أبا سعيد يقول الله ونادى
نوح ابنه وتقول ليس بابنه قال أفرأيت قوله ليس من أهلك قال قلت

معناه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم معك ع ولا يختلف أهل
الكتاب أنه ابنه فقال أهل الكتاب يكذبون ه وروي عن مجاهد
وابن جريج مثل ذلك وهذا الوجه يبعد إذ فيه منافاة للقرآن لأنه
تعالى قال ونادى نوح ابنه فأطلق عليه اسم البنوة ولأنه أيضا استثناه
من جملة أهله بقوله تعالى وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولأن
الأنبياء يجب أن ينزهوا عن مثل هذه الحال لأنها تعر وتشين وتغض من
القدر وقد جنب الله تعالى أنبياءه عليهم السلام ما هو دون ذلك تعظيما
لهم وتوقيرا ونفيا لكل ما ينفر عن القبول منهم ه وقد حمل ابن أن ع
عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة (خ الأدلة) على تأول قوله تعالى في امرأة نوح
وامرأة لوط فخانتاهما على أن الخيانة لم تكن منهما بالزنا بل كانت
إحداهما تخبر الناس بأنه مجنون والأخرى تدل على الأضياف
والمعتمد في تأويل الآية هو الوجهان المتقدمان ه فأما قوله
تعالى إنه عمل غير صالح فالقراءة المعروفة بالرفع وقد روي عن
خ المشهورة

جماعة من المتقدمين أنهم قرؤوا إنه عمل غير صالح بنصب اللام وكسر
الميم ونصب غير ولكل وجه ﻫ فأما الوجه في الرفع فيكون على تقدير
أن ابنك ذو عمل غير صالح فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه

وصاحبه عمل غير صالح

وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء

ما أم سقب على بو تطيف به قد ساعدتها على التحنان أظآر
ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار

أراد فإنما هي ذات إقبال وإدبار وقد قال قوم إن المعنى أصل ابنك هذا
الذي ولد على فراشك وليس ابنك في الحقيقة عمل غير صالح يعني
الخيانة من امرأته وهذا جواب من ذهب إلى أنه لم يكن ابنه على
الحقيقة والذي اخترناه خلاف ذلك وقال آخرون إن الهاء في
قوله إنه عمل غير صالح راجعة على السؤال والمعنى أن سؤالك
إياي ما ليس لك به علم عمل غير صالح لأنه قد وقع من نوح دليل
السؤال والرغبة في قوله رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق ومعنى

ذلك أي نجه كما نجيتهم ومن يجيب بهذا الجواب يقول إن ذلك
صغيرة من النبي لأن الصغائر تجوز عليهم ومن يمنع أن يقع من الأنبياء
شيء من القبائح يدفع هذا الجواب ولا يجعل الهاء راجعة إلى السؤال
بل إلى الابن ويكون تقدير الكلام ما تقدم فإذا قيل له فلم قال فلا
تسألني ما ليس لك به علم وكيف قال نوح عليه السلم من بعد رب إني أعوذ
بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين
قال لا يمتنع أن يكون نهي عن سؤال ما ليس له به علم وإن لم يقع منه تعالى
وأن يكون تعوذ من ذلك وإن لم يواقعه ألا ترى أن الله قد نهى نبيه عن
الشرك والكفر وإن لم يكن ذلك قد وقع منه فقال لئن أشركت ليحبطن
عملك كذلك لا يمتنع أن يكون نهاه في هذا الموضع عما لم يقع منه ويكون
عليه السلم إنما سأل نجاة ابنه باشتراط المصلحة لا على سبيل القطع
وهكذا يجب في مثل هذا الدعاء ﻫ فأما القراءة بنصب اللام فقد ضعفها
قوم وقالوا كان يجب أن يقال إنه عمل عملا غير صالح لأن العرب لا تكاد تقول

هو يعمل غير حسن حتى تقولوا عملا غير حسن وليس وجهها بضعيف في
العربية لأن من مذهبهم الظاهر إقامة الصفة مقام الموصوف
عند انكشاف المعنى وزوال اللبس فيقول القايل قد فعلت صوابا وقلت
حسنا بمعنى فعلت فعلا صوابا وقلت قولا حسنا وقال عمر بن أبي ربيعة
المخزومي

أيها القايل غير الصواب   أخّر النصح وأقلل عتابي

وقال أيضا

وكم من قتيل ما يباء به دم   ومن غلق رهن إذا لفّه منى
ومن مالئ عينيه من شيء غيره   إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

أراد وكم إنسان قتيل وأنشد أبو عبيدة لرجل من بجيلة

كم من ضعيف العقل منتكث القوى   ما إن له نقض ولا إبرام
مالت له الدنيا عليه بأسرها   فعليه من رزق الإله ركام
ومشيّع جلد أمين حازم   مرس له فيما يروم مرام
أعيى عليه سبيله فكأنه   فيما يحاوله عليه حرام

خ أبي صح — خ رهنا — خ ضمه — نصب على التمييز — خ أعيى عليه سبيله — خبر كأن

أراد كم من إنسان ضعيف القوى ه أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني
قال أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا ميمون بن هرون قال حدثنا
إسحق بن إبرهيم الموصلي قال كان محمد بن منصور بن زياد الملقب بفتى العسكر
يميل إلى الأصمعي ويفضله ويقوم بأمره قال فجئته يوما بعد موت محمد
وعنده عبد كان لمحمد أسود وقد ترك الناس وأقبل عليه وسايله وتحفّى
به وحادثه فلما خرج لمته على ذلك وقلت من هذا حتى أقبلت عليه وتحفيت
به فقال هذا غلام ابن منصور ثم أنشدني

وقالوا يا جميل أتى أخوها   فقلت أتى الحبيب أخو الحبيب
أحبك والقريب بنا بعيد   لأن ناسبت بثنة من قريب

فقلت له وكنت أفعل هذا كثيرا به لأستخرج كلامه وعلمه يا أبا سعيد
ذا أخوها وهذا غلامها فضحك وقال أنشدنا أبو عمرو وقال غيره

أرى كل أرض أوطنتها وإن خلت   لها حجج تندى بمسك ترابها
وأقسم لو أني أرى نسبا لها   ذياب الغضا حبّبت إليّ ذيابها

خ أحبك أن نزلت جبال حسمى وأن ناسبت — خ غلامه — خ دار — خ حبّت

قال فجعلت أعجب من قرب لسانه من قلبه وإجابته حفظه له متى أراده ه

وبهذا الإسناد عن إسحق الموصلي قال قرأت على الأصمعي شعر امرئ القيس

فلما بلغت إلى هذا البيت

أمن أجل أعرابية حل أهلها ... بروض الشرا عيناك تبتدران

فقال لي أتعرف في هذا البيت خبأً باطنا غير ظاهر قلت لا فسكت عني فقلت

إن كان فيه شيء فأفدنيه فقال نعم أما يدلك البيت على أنه لفظ ملك

مستهين ذي قدرة على ما يريد قال إسحق وما رأيت أحفظ مثل الأصمعي في العلم

بالشعر ه وروي عن إسحق أيضا أنه قال قال لي الأصمعي ما يعني امرؤ القيس بقوله

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع ... فألهيتها عن ذي تمائم محول

فقلت تخبرني فقال كان مفركا فيقول ألهيت هؤلاء على كرههن للرجال

فكيف أنا عند المحبات لهم ه وروي أن السبب الذي هاج التنافر بين

الأصمعي وابن الأعرابي أن الأصمعي دخل ذات يوم على سعيد بن سلم

وابن الأعرابي حينئذ يؤدب ولده فقال لبعضهم أنشد أبا سعيد فأنشد الغلام

أبياتا لرجل من بني كلاب رواه إياها ابن الأعرابي وهي

رأت نضو أسفار أميمة قاعدا ... على نضو أسفار فجن جنونها

فقالت من أي الناس أنت ومن تكن ... فإنك راعي صرمة لا يزينها

فقلت لها ليس الشحوب على الفتى ... بعار ولا خير الرجال سمينها

عليك براعي ثلة مسلحبة ... يروح عليها (عليه صح) محضها وحقينها

سمين الضواحي لم تورقه ليلة ... وأنعم أبكار الهموم وعونها

ورفع ليلة فقال له الأصمعي من رواك هذا فقال مؤدبي فأحضر فاستنشده

فأنشده ورفع ليلة فأخذ ذلك عليه وفسر البيت فقال إنما أراد لم

تورقه ليلة أبكار الهموم وعونها وأنعم أي زاد على هذه الصفة وقوله

سمين الضواحي أي ظاهره منه وبدا سمين ثم قال الأصمعي لابن سلم من لم

يحسن هذا المقدار فليس موضعا لتأديب ولد الملوك ه وأخبرنا

المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا أبو العيناء قال حدثنا

الأصمعي قال ولد بشار بن برد أكمه لم ينظر إلى الدنيا قط وكان ذا

فطنة وذكاء فقلت له يوما من اين لك هذا الذكاء قال من فقد العمى [خ هذه الفطنة]
وعدم النواظر يمنع من كثير من الخواطر المذهلة فيكسب فراغ الذهن [خ المناظر]
وصحة الذكاء وانشد لنفسه يفخر بالعمى

عميت جنينا والذكاء من العمى فجئت عجيب الظن للعلم موئلا
وغاض ضياء العين للعقل رافدا لقلب اذا ما ضيع الناس حصلا [خ بقلب]
وشعر كنور الروض لاءمت بينه بقول اذا ما احزن الشعر اسهلا

واخبرنا المرزباني قال اخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا
ابو العيناء قال حدثنا الاصمعي قال انشد رجل وانا حاضر بشارا قول الشاعر

وقد جعل الاعداء ينتقصوننا وتطمع فينا السن وعيون [خ فيهما]
الا انما ليلى عصا خيزرانة اذا المسوها بالاكف تلين [خ غمزوها]

فقال بشار والله لو جعلها عصا مخ او زبد لما كان الا مخطئا مع ذكر العصا
الا قال كما قلت

وحوراء المدامع من معد كان حديثها قطع الجنان [خ ثمر]
اذا قامت لسبحتها تثنت كان قوامها من خيزران
وينسيك المنى نظر اليها ويصرف وجهها وجه الزمان

واخبرنا المرزباني قال حدثنا علي بن ابي عبد الله الفارسي قال حدثني
ابي عن عمر بن شبة قال قال لي ابو عبيدة رحل بشار الى الشام فمدح سليمن
بن هشام بن عبد الملك وكان مقيما بحران فقال قصيدة طويلة اولها [فيه ع]

نأتك على طول التجاور زينب وما علمت ان النوى سوف تشعب

وكان سليمن بخيلا فاعطاه خمسة الف درهم لم يصب غيرها بعد ان
طال مقامه فقال

ان امس منتشح البنين عن الندى وعن العدو مخيس الشيطان [خ مخبس]
فلقد اروح على اللئام مسلطا ثلج المقيل منعم الندمان
في ظل عيش عشيرة مذمومة تسري يدي ويخاف فرط لساني [خ محمودة]
ازمان سربال الشباب مذيل واذا الامير علي من جيراني
ريم باجوبة العراق اذا بدا برقت عليه اكلة المرجان

فاكحل بعبدة مقلتيك من القذى وبوشك دونها من الهملان

فلقرب من تهوى وانت متيم اشفى لدائك من بني مروان

فلما رجع الى العراق برّه ابن هبيرة ووصله وكان ابن هبيرة يقدمه ويوثره لمدحه قيسا وافتخاره بها فلما جاءت دولة خراسان عظم شانه ه واخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن احمد الكاتب قال حدثنا احمد بن يحيى النحوي قال قال الاصمعي ما وصف احد الثغر الا احتاج الى قول بشر بن ابي خازم

يفلجن الشفاه عن اقحوان جلاه غب سارية قطار

ولا وصف احد اللون باحسن من قول عمر بن ابي ربيعة

وهي مكنونة تحيّر منها في اديم الخدين ماء الشباب

شف عنها محقق جندي فهو كالشمس من خلال السحاب

ولا وصف احد عيني امراة الا احتاج الى قول عدي بن الرقاع

لولا الحيا وان راسي قد بدا فيه المشيب لزرت ام القاسم

وكانها وسط النساء اعارها عينيه احور من جآذر جاسم

وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم

ولا وصف احد نجيبا الا احتاج الى قول حميد بن ثور

محلى باطواق عتاق يبينها على الضر راعي الضان لو يتقوف

ولا وصف احد ظليما الا احتاج الى قول علقمة بن عبدة

هيق كان جناحيه وجؤجؤه بيت اطافت به خرقاء مهجوم

ولا اعتذر احد الا احتاج الى قول النابغة

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأى عنك واسع

قال سيدنا رضي الله عنه اما قول حميد بن ثور باطواق عتاق فانه يريد ان عليه آثار الكرم والعتق دلالتهما وسماتهما حلية له من حيث كان موسوما بهما ومعنى يبينهما على الضر اي يبينها ويعرفها هذا الراعي فيعلم انه كريم والتقوف من القيافة ه فاما قول علقمة هيق فالهيق ذكر النعام ومعنى اطافت به خرقاء اي عملته وابتنته

التي ابنيت بصناع ومهجوم مصروع ساقط يقول ان البيت هذه الخرقاء لتطليه فلم تحسن فاسترخت عيدانه واطنابه فشبه الظليم به لاسترخاء جناحيه ونشره اياهما وقال الهذلي اذا ابنت الخرقاء بيتا انهدم [illegible] وقال غيره خرقاء هاهنا نخ لا تدوم على جهة واحدة ه

وقيل ان خرقاء هاهنا هي الحاذقة وان هذه اللفظة تستعمل على طريق
الأضداد في الحاذقة وغير الحاذقة ومعنى مهجوم اي مهدوم وقال
الأصمعي معنى اطافت به اي عملته فرقت في عمله يقول قد ارسل جانبيه
كانه خباء امرأة خرقاء كلما ذهبت ناحية استرخت اخرى والوجه
الاول اشبه وأملح فاما قول بشر في وصف الثغر فأحسن منه
وأكشف وأشد استيفاء للمعنى قول النابغة

كالأقحوان غداة غب سمائه جفت أعاليه وأسفله ند

فانما وصف أعاليه بالجفوف ليكون متفرقا متفصدا غير متلبد ولا مجتمع
فيشبه حينئذ الثغور ثم قال وأسفله ند حتى لا يكون قحلا يابسا بل
تكون فيه الغضاضة والصقالة فيشبه غروب الاسنان التي تلمع وتبرق
وروى الرياشي قال سمعت الاصمعي يقول أحسن ما قيل في وصف
الثغر قول ذي الرمة

وتجلو بفرع من أراك كأنه من العنبر الهندي والمسك يصبح

ذرى أقحوان واجه الليل وارتقى اليه الندى من رامة المتروح

هجان الثنايا مغربا لو تبسمت لأخرس عنه كاد بالقول يفصح

مجلس آخر

تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة
الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون فقال كيف يعذبهم بالاموال
والاولاد ومعلوم ان لهم فيها سرورا ولذة وما تأويل قوله وهم
كافرون وظاهره يقتضي انه اراد ان تزهق انفسهم في حال كفرهم
لأن القائل اذا قال اريد ان يلقاني فلان وهو لابس او على صفة
كذى وكذا فالظاهر انه اذا اراد كونه على تلك الصفة **الجواب**
قلنا أما التعذيب بالاموال والاولاد ففيه وجوه أولها ما روي عن
ابن عباس رحمه الله وقتادة وهو ان يكون في الكلام تقديم وتأخير
ويكون التقدير فلا تعجبك يا محمد ولا تعجب المؤمنين معك اموال
هؤلاء الكفار والمنافقين ولا اولادهم في الحيوة الدنيا انما يريد

الله ليعذبهم بها في الآخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها واستشهد
على ذلك بقوله تعالى فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون
والمعنى فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم وأنشد في
ذلك قول الشاعر

عشية أبدت جيد أدماء مغزل وطرفا يريك الإثمد الجون أحورا

يريد وطرفا أحور يريك الإثمد الجون وقد اعتمد هذا الوجه أيضا أبو علي
قطرب وذكره أبو القسم البلخي والزجاج ه وثانيها أن يكون معنى
التعذيب بالأموال والأولاد في الدنيا هو ما جعله للمؤمنين من قتالهم
وغنيمة أموالهم وسبي أولادهم واسترقاقهم وفي ذلك لا محالة إيلام
لهم واستخفاف بهم وإنما أراد تعالى بذلك إعلام نبيه عليه السلم
والمؤمنين أنه لم يرزق الكفار الأولاد والأموال ولم يبقها في أيديهم كرامة
لهم ورضى عنهم بل للمصلحة الداعية إلى ذلك وأنهم مع هذه الحال [بها صح]
معذبون بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه فلا يجب أن يغبطوا أو يحسدوا

عليها إذا كانت عاجلتهم [هذه صح] والعقاب الأليم في النار آجلتهم وهذا جواب
أبي علي الجبائي وقد طعن عليه بعض من لا تأمل له فقال كيف يصح هذا
التأويل مع أنا نجد كثيرا من الكفار لا تنالهم أيدي المسلمين ولا يقدرون
على غنيمة أموالهم ونجد أهل الكتاب أيضا خارجين عن هذه الجملة
لمكان الذمة والعهد وليس هذا الاعتراض بشيء لأنه لا يمتنع أن يخص
الآية بالكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد ممن أوجب الله تعالى محاربته
فأما الذين لم تنلهم الأيدي أو من القوة على حد لا يتم معه غنيمة أموالهم [يجب صح]
فلا يقدح الاعتراض بهم في هذا الجواب لأنهم ممن أراد الله تعالى أن يسبى
ويغنم ويجاهد ويغلب وإن لم يقع ذلك وليس في ارتفاعه بالتعذيب [بتعذيبهم صح]
دلالة على أنه غير مراد وثالثها أن يكون المراد بذلك ما يدخله
في الدنيا من الغموم والمصائب بأموالهم وأولادهم التي هي لهؤلاء [عليهم صح]
الكفار المنافقين عقاب وجزاء وللمؤمنين محنة وجالبة للعوض والنفع
ويجوز أيضا أن يراد به ما ينذر به الكافر قبل موته وعند احتضاره

وانقطاع التكليف عنه مع أنه حي من العذاب الدائم الذي قد
أعدّ له وإعلامه أنه صائر إليه ومنتقل إلى قراره وهذا الجواب
قد روي معنى أكثره عن قوم من متقدمي المفسرين وذكره أبو علي الجبائي
أيضا ورابعها يحكى عن الحسن البصري واختاره الطبري
وقدّمه على غيره وهو أن يكون المراد بذلك ما ألزمه هؤلاء الكفار
من الفرائض والحقوق في أموالهم لأن ذلك يؤخذ منهم على كره وهم إذا
أنفقوا منه أنفقوا بغير نية ولا عزيمة فتصير نفقتهم غرامة
وعذابا من حيث لا يستحقون عليها أجرا وهذا وجه غير صحيح
لأن الوجه في تكليف الكافر إخراج الحقوق من ماله كالوجه في
تكليف المؤمن ذلك ومحال أن يكون إنما كلف إخراج هذه الحقوق
على سبيل العذاب والجزاء لأن ذلك لا يقتضي وجوبه عليه والوجه في
تكليف الجميع هذه الأمور هي المصلحة واللطف في التكليف ولا يجري
ذلك مجرى ما قلناه في الجواب الذي قبل هذا من أن المصائب والغموم

[illegible] رحمه الله

ممّا تكون للمؤمنين محنة وللكفار عقوبة لأن تلك الأمور مما يجوز
أن يكون وجه حسنها العقوبة والمحنة معا ولا يجوز في هذه الفرائض
أن يكون وجوبها على المكلف إلا وجه واحد وهو المصلحة في الدين
فافترق الأمران وليس لهم أن يقولوا ليس التعذيب في إيجاب الفرائض
عليهم وإنما هو لإخراجهم أموالهم على وجه الكره والاستثقال
(خ في إخراجهم)
وذلك أنه إذا كان الأمر على ما ذكروه وخرج من أن يكون مراد الله
تعالى لأنه عز وجل ما أراد منهم إخراج المال على هذا الوجه بل على
الوجه الذي هو طاعة وقربة فإذا أخرجوها متكرهين مستثقلين
لم يرد ذلك فكيف يقول إنما يريد الله ليعذبهم بها ويجب أن يكون
ما يعذبون به شيئا يصح أن يريده الله تعالى وجميع هذه الوجوه
التي حكيناها في الآية الأجوبة التقديم والتأخير مبنية على أن الحياة
الدنيا ظرف للعذاب فيحمل كل منا ولضربا من التأويل يطابق ذلك ولا يحتاج
عندنا إلى جميع ما تكلفوه ولا إلى التقديم والتأخير إذا لم نجعل الحياة ظرفا

قال السيد الأجل المرتضى رضي الله عنه

[illegible]

للعذاب بل جعلناها ظرفا للفعل الواقع بالاموال والاولاد والمتعلق
بهما لانا قد علمنا اولا ان قوله ليعذبهم بها لا بد من الانصراف عن ظاهره
لان الاموال والاولاد انفسها لا تكون عذابا والعذاب على سائر
وجوه التاويل الفعل المتعلق بها والمضاف اليها سواء كان انفاقها
والمصيبة بها والغم عليها او اباحة غنيمتها واخراجها عن ايدي
مالكيها فكان تقدير الاية (نخ الكلام) انما يريد الله ليعذبهم بكذا وكذا مما يتعلق
باموالهم واولادهم ويتصل بها واذا صح هذا جاز ان تكون الحيوة ظرفا الدنيا صح
لافعالهم القبيحة في اموالهم واولادهم التي تغضب الله تعالى وتسخطه
كانفاقهم الاموال في وجوه المعاصي وحملهم الاولاد على الكفر والزامهم
الموافقة لهم في النحلة ويكون تقدير الكلام انما يريد الله ليعذبهم بفعلهم
في اموالهم واولادهم الواقع ذلك منهم في الحيوة الدنيا وهذا وجه
ظاهر يغني عن التقديم والتاخير وسائر ما ذكروه من الوجوه
فاما قوله تعالى وتزهق انفسهم فمعناه تبطل وتخرج اي انهم يموتون

على الكفر وليس يجب اذا كان مريدا لان تزهق انفسهم وهم على هذه الحال
ان يكون مريدا للحال نفسها على ما ظنوه لان الواحد منا قد يامر غيره
له صح ويريد منه ان يقاتل اهل البغي وهم محاربون ولا يقاتلهم وهم منهزمون
ولا يكون مريدا لحرب اهل البغي للمومنين وان اراد قتالهم على هذه
الحال وكذلك قد يقول لغلامه اريد ان تواظب على المصير الي في
السجن وانا محبوس وللطبيب صر الي ولازمني وانا مريض ولا يريد
المرض ولا الحبس وان كان قد اراد ما هو متعلق بهاتين الحالتين
ابي صح وقد ذكر في ذلك وجه اخر على ان لا يكون قوله وهم كافرون
حالا لزهوق انفسهم بل يكون كانه كلام مستانف والتقدير
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في
الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم مع ذلك كله كافرون
صايرون الى النار وتكون الفايدة انهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع
عليهم عذاب الاخرة ويكون معنى تزهق انفسهم على هذا الجواب

غير الموت وخروج النفس على الحقيقة بل المشقة الشديدة والكلف
الصعبة كما يقال ضربت فلانا حتى مات وتلفت نفسه وخرجت
روحه وما أشبه ذلك ه **قال سيدنا** رضي الله عنه ذاكرني
قوم من أهل الأدب بأشعار المحدثين وطبقاتهم وانتهوا الى مروان
ابن يحيى بن أبي حفصة فأفرط بعضهم في وصفه وتقريظه وتفضيله صح وآخرون
في ذمه وتهجينه والإزراء على شعره وطريقته واستخبروا عما
أعتقده فيه فقلت لهم كان مروان متساوي الكلام متشابه الألفاظ
غير متصرف في المعاني ولا غواص عليها ولا مدقق فيها فلذلك قلت
النظائر في شعره ومدائحه مكررة الألفاظ والمعاني وهو غزير
الشعر قليل العيب إلا أنه مع ذلك شاعر له تجويد وحذق وهو
أشعر من كثير من أهل زمانه وطبقته وأشعر شعراء أهله
ويجب أن يكون دون مسلم بن الوليد في تنقيح الألفاظ وتدقيق المعاني
وحسن الألفاظ ووقوع التشبيهات ودون بشار في الأبيات النادرة

السائرة فكأنه طبقة بينهما وليس بمقصر دونهما شديدا ولا منحط
عنهما بعيدا وكان إسحق بن إبرهيم الموصلي يقدمه على بشار ومسلم
وكذلك أبو عمرو الشيباني وكان الأصمعي يقول مروان مولد
وليس له علم باللغة واختلاف الناس في اختيار الشعر بحسب اختلافهم
في التنبه على معانيه وبحسب ما يشترطونه من مذاهبه
وطرائفه فسئلت عند ذلك أن أذكر مختار ما وقع إلي من
شعره وأنبه على سرقاته ونظائر شعره وأن أملي ذلك في
خلال المجالس وأثنائها فمما نختار من شعره قوله من قصيدة يمدح
بها المهدي أولها

أعلاك من ذكر الأحبة عائد أجل واستخفتك الرسوم البوائد

يقول فيها

تذكرت من تهوى فأبكاك ذكره فلا الذكر منسي ولا الدمع جامد
تحن ويأبى أن يساعدك الهوى وللموت خير من هوى لا يساعد

قال [illegible] ختم [illegible] المولدون ⊙

ألا طالما انهلت دموعك طائعًا وجارت عليك الآنسات النواهد

تذكرنا أبصارها مقل المها وأعناقها أدم الظباء العواقد

تساقط منهن الأحاديث غضة تساقط در أسلمته المعاقد

السلوك

إليك أمير المؤمنين تجاذبت بنا الليل خوص كالقسي شوارد

يمانية ينأى القريب محله بهن ويدنو الشاحط المتباعد

تجلى السرى عنها وللعيس أعين سوام وأعناق إليك قواصد

إلى ملك تندى إذا يبس الثرى نائل كفيه الأكف الجوامد

له فوق مجد الناس مجدان منهما طريف وعادي الجراثيم تالد

وأحواض عز جمة الموت دونها وأحواض عرف ليس عنهن ذائد

أيادي بني العباس بيض سوابغ على كل قوم بادئات عوائد

هم يعدلون السمك من قبة الهدى كما تعدل البيت الحرام القواعد

سواعد عز المسلمين وإنما تنوء بصولات الأكف السواعد

يكون غرار نومه من حذاره على قبة الإسلام والخلق راقد

قال رحمه الله

كان أمير المؤمنين محمد لرأفته بالناس للناس والد

أما قوله تساقط منهن الأحاديث غضة تساقط در أسلمته المعاقد فكثير في الشعر وأظن أن الأصل فيه أبو حية النميري في قوله

إذا هن ساقطن الأحاديث للفتى سقوط حصى المرجان من كف ناظم

وإنما عنى بالمرجان صغار اللؤلؤ وعلى هذا تناول قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ومثله قول الآخر

هو الدر منثورًا إذا ما تكلمت وكالدر مجموعًا إذا لم تكلم

خ منظومًا

ومثله

من ثغرها الدر النظيم ولفظها الدر النثير

ونظيره قول البحتري وأحسن غاية الإحسان

ولما التقينا والنقا موعد لنا تعجب رائي الدر حسنًا ولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

ومنه قول الأخيطل

خ الأخطل

خلوت بها وسجف الليل ملقى وقد أصغت إلى الغرب النجوم
كأن كلامها در نثير ورونق ثغرها در نظيم

ولغيره

تبسمن فرأيت الدر منتظما وحدثت فرأيت الدر منتثرا

ولآخر

وتحفظ لا من ريبة تحذرونها ولكنها من أعين الناس تحفظ
وتلفظ درا في الحديث إذا جرى ولم تر درا قبل ذلك يلفظ

ولبعض من تأخر زمانه من الشعراء وقرب من عصرنا هذا

أظهرن وصلا إذ رحمن متيما وأرين هجرا إذ خشين مراقبا
فنظمن من در المباسم جامدا ونثرن من در المدامع ذائبا

وليس قول أبي دهبل في صفة الحديث

كتساقط الرطب الجني من الأقناء لا نثرا ولا نزرا

في شيء صح

من هذا الباب لأن جميع ما تقدم إنما هو في وصف الثغر وهذا في وصف

خ في وصف حسن الحديث والثغر وأبو دهبل إنما وصف الحديث وأنه

حسن الحديث وأنه متوسط في القلة والكثرة لازم للقصد كانتثار الرطب من الأقناء ويشبه أن يكون أراد أيضا مع ذلك وصفه بالحلاوة والغضاضة لتشبيهه له بالرطب ثم إنه غض طري غير مكرر ولا معاد لقوله الرطب الجني فتجتمع له أغراض الوصف كله بالاقتصاد في القلة والكثرة ثم وصفه بالحلاوة ثم بالفصاحة

ثم بالغضاضة صح

ونظير قول أبي دهبل قول ذي الرمة

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

وأما قول مروان

إلى ملك تندى إذا يبس الثرى بنائل كفيه الأكف الجوامد

فمثل قول أبي حنش النميري في يحيى بن خالد البرمكي

لا تراني مصافحا كف يحيى إنني إن فعلت أتلفت مالي
لو تمس البخيل راحة يحيى لسخت نفسه ببذل النوال

ومثله قول ابن الخياط المدني في المهدي

هو عبد الله بن محمد بن سالم يعرف بابن الخياط ذكر ذلك أبو الفرج الأصفهاني رحمه الله

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدت وأعداني فأتلفت ما عندي

وقد قيل إن هذا الشاعر كأنه مصرح بالهجاء لأنه زعم أن الذي لمس كفه لم يفده شيئا بل أعداه جوده فأتلف ماله ولم يرد الشاعر إلا المدح ولقوله وجه وهو أن ذوي الغنى هم الذين تستقر الأموال في أيديهم وتلبث تحت أيمانهم ومن أخرج ما يملكه حالا بحال لم يوصف بأنه ذو غنى فأراد الشاعر أني لم أفد منه ما يبقى في يدي واستقر تحت ملكي فلهذا قال لم أفد ما أفاد ذوو الغنى ومن هذا المعنى قول مسلم

إلى ملك لو صافح الناس كلهم لما كان حي في البرية يبخل

ومثله قول العكوك

لو لمس الناس راحتيه ما بخل الناس بالعطاء

وأحسن من هذا كله وأشبه بالمدح وأدخل في طريقته قول البحتري

من شاكر عني الخليفة بالذي أولاه من طول ومن إحسان

ملأت يداه يدي وشرد جوده بخلي فأفقرني كما أغناني

حتى لقد أفضلت من إفضاله ورأيت نهج الجود حيث أراني

ووثقت بالخلف الجميل معجلا منه فأعطيت الذي أعطاني

المعنى صح

ومن هذا قول الآخر

رأيت الندى في آل عوف خليقة إذا كان في قوم سواهم تخلقا

ولو جزت في أبياتهم لتعلمت بذاك الندى منهم فأصبحت مملقا

ولابن الرومي

يجود البخيل إذا ما رآك ويسطو الجبان إذا عاينك

فأما قوله وخواض غمر حومة الموت دونها وخواض غمر ليس عنهن ذائد

فيشبه أن يكون إبراهيم بن العباس الصولي أخذه في قوله صح

لنا إبل كوم يضيق بها الفضا وتفتر عنها أرضها وسماؤها صح

فمن دونها أن تستباح دماؤنا ومن دوننا أن تستذم دماؤها

استقدم الزجر إلى الناس إذا [illegible] عليه بقول من [illegible] دماؤنا بالاستباح [illegible] دوننا دماؤها بالاستذمام فهو من باب الجدل

حمى وقرى فالموت دون مرامها   وأيسر خطب عند حق فناؤها

وقد أحسن إبراهيم بن العباس في أبياته كل الإحسان   فأما قوله

يكون غرارا نومه من حذاره   على قبة الإسلام والخلق راقد

فكثير متداول لمن حسنه قول محمد بن عبد الملك الزيات

نعم الخليفة للرعية من إذا   أرقت وطاب لها الكرى لم يرقد

ومثله   ويظل يحفظنا ونحن بغفلة   ويبيت يكلأونا ونحن نيام

ومثله للبحتري

أربيعة الفرس اشكري يد منعم   وهب الإساءة للمسيء الجاني

رد غنم جاراته فبعثتم   منه حمية آنف غيران

لم تكر عن قاصي الرعية عينه   فينام عن وتر القريب الداني

فأما قوله

كان أمير المؤمنين محمد   لرأفته بالناس للناس والدا

فنظيره قول بعض الشعراء في يحيى بن خالد البرمكي

أحيا لنا يحيى فعال خالد   فأصبح اليوم كثير الحامد

يسخو بكل طارف وتالد   على بعيد غائب وشاهد

الناس في إحسانه كواحد   وهو لهم أجمعهم كالوالد

ومن جيد قول مروان من قصيدة أولها

خلت من بعدنا آل ليلى المصانع   وهاجت لنا الشوق الديار البلاقع

يقول فيها

وما لي إلى المهدي لو كنت مذنبا   سوى حلمه الضافي على الناس شافع

وما هو عند السخط منه ولا الرضى   بغير التي يرضى بها الله قانع   خ واقع

تغض له الطرف العيون وطرفه   على عزه (خ على غيره) من خشية الله خاشع

أما قوله ولا هو عند السخط منه ولا الرضى البيت   فمثل قول أشجع

ولست بخائف لأبي علي   ومن خاف الإله فلن يخافا

آمنني منه ومن خوفه   خيفته من خشية الباري

ولأبي نواس   قد كنت خفتك ثم آمنني   من أن أخافك خوفك الله

وبشبه هذا المعنى ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه دعا
غلاما له مرارا فلم يجبه فخرج فوجده على الباب فقال له ما حملك
على ترك اجابتي قال كسلت عن اجابتك وأمنت عقوبتك فقال عليه
السلام الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه ۝ فأما قوله تغض
له الطرف العيون فيشبه أن يكون مأخوذا من قول الفرزدق
أو ممن تنسب إليه هذه الأبيات

يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم

مجلس آخر تأويل آية

۝ إن سأل سائل عن قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا
أن الله يحول بين المرء وقلبه ۝ فقال ما معنى يحول بين المرء وقلبه وهل
يصح ما تأوله قوم من أنه يحول بين الكافر وبين الإيمان وما معنى
قوله لما يحييكم وكيف تكون الحياة في إجابته **الجواب**
قلنا أما قوله تعالى يحول بين المرء وقلبه ففيه وجوه أولها أن يريد

بذلك أنه تعالى يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بالموت وهذا
حث منه عز وجل على الطاعات والمبادرة بها قبل الفوت
وانقطاع التكليف وتعذر ما يستوفي به المكلف نفسه من التوبة والإقلاع
فكأنه تعالى قال بادروا إلى الاستجابة لله وللرسول من قبل أن يأتيكم
الموت فيحول بينكم وبين الانتفاع بنفوسكم وقلوبكم ويتعذر عليكم
ما تستوفون به نفوسكم من التوبة بقلوبكم ويقوي ذلك قوله تعالى
وأنه إليه تحشرون ۝ وثانيها أنه يحول بين المرء وقلبه بإزالة
عقله وإبطال تمييزه وإن كان حيا وقد يقال لمن فقد عقله وسلب
تمييزه إنه بغير قلب قال الله تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
وقال الشاعر

ولي ألف وجه قد عرفت مكانه ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

وهذا الجواب يقرب من الأول لأنه تعالى أخرج هذا الكلام مخرج
الإنذار لهم والحث لهم على الطاعات قبل فوتها لأنه لا فرق بين تعذر

التوبة وانقطاع التكليف بالموت وبين تعذيبه لها بإزالة العقل وثالثها
أن يكون المعنى المبالغة في الإخبار عن قربه من عباده وعلمه بما
يبطنون ويخفون وأن الضمائر المكنونة له ظاهرة والخفايا المستورة [خ والخفيات]
لعلمه بادية ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ونحن أقرب إليه من حبل
الوريد ونحن نعلم أنه لم يرد تعالى بذلك قرب المسافة بل المعنى
الذي ذكرناه وإذا كان عز وجل هو أعلم بما في قلوبنا منا وكان
ما نعلمه أيضا يجوز أن ننساه ونسهو عنه ونضل عن علمه وكل ذلك
لا يجوز عليه جاز أن يقول إنه يحول بيننا وبين قلوبنا لأنه معلوم في
الشاهد أن كل شيء يحول بين شيئين فهو أقرب إليهما ولما أراد تعالى
المبالغة في وصف القرب خاطبنا بما نعرف ونألفه وإن كان القرب
الذي عناه جلت عظمته لم يرد به المسافة والعرب تضع كثيرا
لفظة القرب على غير معنى المسافة فيقولون فلان أقرب إلى قلبي من
فلان وزيد مني قريب وعمرو بعيد ولا يريدون المسافة ورابعها [منه صح]

ما أجاب به بعضهم من أن المؤمنين كانوا يفكرون في كثرة عدوهم
وقلة عددهم فيدخل في قلوبهم الخوف فأعلمهم تعالى أنه يحول بين
المرء وقلبه بأن يبدله بالخوف الأمن ويبدل عدوهم بظنهم أنهم
قادرون عليهم وغالبون لهم الجبن والخور ويمكن في الآية وجه [بين المرء صح]
خامس وهو أن يكون المراد أنه تعالى يحول بين ما يدعوه إليه قلبه
من القبائح بالأمر والنهي والوعد والوعيد لأنا نعلم أنه تعالى
لو لم يكلف العاقل مع ما فيه من الشهوات والنفار لم يكن له عن القبيح
مانع ولا عن مواقعته رادع فكأن التكليف حائل بينه وبينه من
حيث زجر عن فعله وصرف عن مواقعته وليس يجب في الحائل أن
يكون في كل موضع مما يمتنع معه الفعل لأنا نعلم أن المشير منا
على غيره في أمر قد كان هم به وعزم على فعله أن يجتنبه والمنبه
له على أن الحظ في الانصراف عنه يصح أن يقال منعه منه وحال بينه
وبين فعله م قال عبد الله بن قيس الرقيات

حال دون الهوى ودون سرى الليل مصعب

وسياط على أكف رجال تقلب

ونحن نعلم أنه لم يخل إلا بالتخويف والترهيب دون غيرهما فإن قيل
كيف يطابق هذا الوجه صدر الآية قلنا وجه المطابقة ظاهر
لأنه تعالى أمرهم بالاستجابة لله تعالى ولرسوله فيما يدعوان إليه من
فعل الطاعات والامتناع من المقبحات وأعلمهم أنه بهذا الدعاء والإنذار
(خ جرى) وما يجري مجراهما يحول بين المرء وبين ما تدعوه إليه نفسه من المعاصي
ثم إن المآب بعد هذا كله إليه والمنقلب إلى ما عنده فيجازي كلا
باستحقاقه فأما قوله تعالى إذا دعاكم لما يحييكم ففيه وجوه
أولها أن يريد بذلك الحيوة في النعيم والثواب لأن تلك هي الحيوة
الطيبة الدائمة التي يؤمن تغيرها ولا يخاف انقطاعها فكأنه تعالى
حث على إجابته التي تكسب هذه الحال ه وثانيها أن تختص
ذلك بالدعاء إلى الجهاد وقتال العدو فكأنه تعالى أمرهم بالاستجابة

(خ الأعداء) للرسول عليه السلام فيما يأمرهم به من قتال عدوهم ودفعهم عن حوزة
الإسلام وأعلمهم أن ذلك يحييهم من حيث كان فيه قمع للمشركين
وتقليل لعددهم وفل لحدهم وحسم لأطماعهم لأنهم متى كثروا
وقووا استلانوا جانب المؤمنين وأقدموا عليهم بالقتل وصنوف
المكاره فمن هاهنا كانت الاستجابة له عليه السلام في القتال تقتضي
الحيوة والبقاء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة
وثالثها ما قاله قوم من أن كل طاعة حيوة ويوصف فاعلها
بأنه حي كما أن المعاصي يوصف فاعلها بأنه ميت والوجه في ذلك
(خ إذا) أن الطائع لما كان منتفعا بحياته وكانت تؤديه إلى الثواب الدائم
قيل إن الطاعة حياة ولما كان الكافر العاصي لا ينتفع بحياته
حيث كان مصيره إلى العقاب الدائم كان في حكم الميت ولهذا يقال
لمن كان منغص الحيوة غير منتفع بها فلان بلا عيش ولا حيوة وما
يجري مجرى ذلك من حيث لم ينتفع بحياته ه ويمكن في الآية وجه آخر

وهو ان يكون المراد بالكلام الحيوة في الحكم لا في الفعل لانا قد علمنا
انه عليه السلم كان مكلفا مامورا بجهاد جميع المشركين (كلفه صح)
المخالفين لملته وقتلهم وان كان فيما بعد ذلك فيمن عدا اهل
الذمة على شرطها فكانه تعالى قال استجيبوا للرسول ولا تخالفوه
فانكم اذا خالفتم كنتم غير احياء من حيث تعبدنا بقتالكم وقتلكم
فاذا اطعتم كنتم في الحكم احياء ويجري ذلك مجرى قوله تعالى
ومن دخله كان امنا وانما اراد تعالى انه يجب ان يكون
امنا وهذا حكم ولم يخبر بان ذلك لا محالة واقع فاما المجبرة
فلا شبهة لهم في الاية ولا متعلق بها لانه تعالى لم يقل (انه صح) يحول
بين المرء وبين الايمان ولا (خ بل) ظاهر الاية يقتضي ان يحول بينه وبين
افعاله وانما يقتضي ظاهرها انه يحول بينه وبين قلبه وليس
للايمان ولا للكفر ذكر ولو كان للاية ظاهر يقتضي ما ظنوه
ولبس لها ذلك لانصرفنا عنه بادلة العقل (خ العقول) الموجبة انه تعالى

لا يحول بين المرء وبين ما امره به واراده منه وكلفه فعله لان ذلك قبيح
والقبائح عنه منفية ه اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال
حدثني احمد بن محمد الجوهري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثنا
احمد بن عمر بن اسمعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف قال حدثني
عمي خالد بن عبد الله عن الحجاج السلمي قال لما اشتد بحصن بن حذيفة (خ كرز بن)
ابن بدر وجعه من طعنة كرز بن عامر اياه يوم بني عقيل دعا ولده فقال
ان الموت اهون مما اجد فايكم يطيعني قالوا كلنا نطيعك فبدا باكبرهم
فقال قم فخذ سيفي واطعن به حيث امرك ولا تعجل قال يا ابتاه
ايقتل المرء (خ الرجل) اباه فاتى على القوم كلهم فاجابوه جواب الاول حتى انتهى
الى عيينة فقال يا ابتاه اليس لك فيما تامرني به راحة ولي بذلك
طاعة وهو هواك قال بلى قال فمرني كيف اصنع قال قم فخذ
سيفي فضعه حيث امرك ولا تعجل فقام فاخذ سيفه ووضعه
على قلبه ثم قال يا ابتاه كيف اصنع قال الق السيف انما اردت ان

أعلم أيكم أمضى لما آمر به فأنت خليفتي ورئيس قومك من بعدي فقال
القوم إنه سيقول فيما بيننا فاحضروه ع فلما أمسى قال

ولّوا عيينة من بعدي أموركم ... واستيقنوا أنه بعدي لكم حامِ
إمّا هلكتُ فإني قد بنيت لكم ... عزّ الحياة بما قدّمتُ قُدّامي
واستوسقوا للتي فيها مروّتكم ... قود الجياد وضرب القوم في الهامِ
والقرب من قومكم والقرب ينفعكم ... والبعد إن باعدوا والرمي للرامي
ولي حذيفة إذ ولّى وخلّفني ... يوم الهباءة يتيمًا وسط أيتامِ
لا أرفع الطرف ذلًّا عند مهلكه ... ألقى العدوّ بوجهٍ خدّه دامِ
حتى اعتقدت لوا قومي فقمت به ... ثم ارتحلت إلى الجفني بالشامِ
لما قضى ما قضى من حق زائره ... عجت المطيّ إلى النعمان من عامِ
أسمو لما كانت الآباء تطلبه ... عند الملوك فطرفي عندهم سامِ
والدهر آخره شبه لأوله ... قومٌ كقومٍ وأيامٌ كأيامِ
فابنوا ولا تهدموا فالناس كلهم ... من بين بانٍ إلى العليا وهدّامِ

[illegible]

قال ثم أصبح ودعا بني بدر فقال لوائي ورياستي لعيينة واسمعوا
مني ما أوصيكم به لا يتّكل آخركم على أولكم فإنما يدرك الآخر
ما أدرك الأول وأنكحوا الكفيء الغريب فإنه عزٌّ حادث وإذا حضركم
أمرٌ فخذوا بخبرهما صدّا فإنّ كلّ موردٍ معروف واصحبوا
قومكم بأجمل أخلاقكم ولا تخالفوا فيما اجتمعوا عليه فإن الخلاف
يزري بالرئيس المطاع وإذا حزبتم فأوقعوا ثم قولوا فإنه لا خير
في الكذب وصونوا الخيول فإنها حصون الرجال وأطيلوا الرماح
فإنها قرون الخيل وأعزّوا الكبير بالكبر فإني بذلك كنت أغلب
الناس ولا تغزوا إلا بالعيون ولا تسرحوا حتى تأمنوا الصباح وأعطوا
على حسب المال وأعجلوا الضيف بالقرى فإن خيره أعجله واتقوا فضحات
البغي وفلتات المزاح ولا تجترئوا على الملوك فإن أيديهم أطول من أيديكم
وقتله كرز بن عامر ومات حصن فأخذ عيينة الرياسة وقال

أطعت أبا عيينة في هواه ... فلم تخلج صريمتي الظنون

خ الأخير
صدقا صح
خ وأعزوا الكبير ع بالكبير
خ للضيف
أراد بالعيون الجواسيس
ولا تسرحوا أي المال
خ فضيحات
خ ولم
خ يمني عن عمي ورأيي

وقد عرض الرئيس على بنيه فقال القوم هذا لا يكون
سبيا أو نموت فطاولوه وقتل المرء والده جنون
فلم أقتل بحمل الله حصنا وكل فتى ستدركه المنون
ولم أنكل عليه وكل أمر إذا هوّنته يوما يهون
فإن يك بدو هذا الأمر غثا فآخره بني بدر سمين

وحكى عمرو بن بحر الجاحظ أن اسم عيينة حصن بن حذيفة وإنما أصابته لقوة فجحظت عينه وزال فكه فسمي لذلك عيينة وإذا عظمت عين الإنسان لقبوه إما عيينة وإما عيناء وروى قيس بن أبي حازم أن عيينة بن حصن دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال هذا أحمق مطاع وروي أيضا أنه كان يدلع لسانه للحسين بن علي عليهما السلام وهو صبي فيرى لسانه فيهش له فقال له عيينة ألا أراك تصنع هذا بهذا فوالله إنه ليكون لي الابن رجلا قد خرج وجهه ما قبلته قط فقال رسول الله صلى الله عليه وآله إنه من لم يرحم لم يرحم

بن صح

الصبي صح

خ لا يرحم لا يرحم

ونعود إلى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان فمما نختار من شعره قوله من قصيدة أولها

٥ صحا بعد جهل فاستراحت عواذله وأقصر عنه حين أقصر باطله
ومن مد في أيامه فتأخرت منيته فالشيب لا شك شامله

يقول في المديح فيها

هو المرء أما دينه فهو مانع مصون وأما ماله فهو باذله
أمر وأحلى ما بلى الناس طعمه عقاب أمير المؤمنين ونائله
أبى لما يأبى ذوو الحزم والتقى فعول إذا جد بالأمر فاعله
تزول الهوى لا السخط منه ولا الرضى لديه بموطن إلا على الحق حامله
يرى أن مر الحق أحلى مغبة وأنجى ولو كانت ذعافا مناهله
فإن طليق الله من هو مطلق وإن قتيل الله من هو قاتله
وإنك بعد الله للحكم الذي يصاب به من كل حق مفاصله

ماء صح

أما قوله ومن مد في أيامه فتأخرت منيته فالشيب لا شك شامله فمأخوذ

من قول طريح بن اسمعيل الثقفي

والشيب غاية من تأخر حينه لا يستطيع دفاعه من يجزع

والاصل في هذا قول امية بن ابي الصلت

من لم يمت عبطة يمت هرما للموت (خ الموت) كاس فالمرء (خ والمرء) ذائقها

ويشبه ذلك قول الآخر

قل للعريب ليس شيبي بعجب من يعش يا ام عمار يشب

ومثله قول ابي العتاهية

من يعش يكبر ومن يكبر يمت والمنايا لا تبالي من اتت

ويشبهه قول البحتري

ولا بد من ترك احدى اثنتين اما الشباب واما العمر

ويقاربه قوله ايضا

والشيب مهرب من جاري منيته ولا نجاة له من ذلك الهرب

وقريب منه قول ابن المعتز

وقالت كبرت وانتصبت من الصبي فقلت لها ما عشت الا لاكبرا

ولبعضهم

ولا بد من موت فاما شبيبة واما مشيب والشبيبة اصلح

معنى قوله والشبيبة اصلح لان الانسان اذا مات شابا كان

اكثر للحزن عليه والاسف على مفارقته واذا اسن برم به (وهرم صح)

اهله وهان عليهم فقده فاما قوله

هو المرء اما دينه فهو مانع مصون واما ماله فهو باذله

فمعناه متكرر في الشعر كثير جدا واحسن شعر جمع بين وصف

الممدوح بمنع ما يجب بذله قول مسلم بن الوليد الانصاري

يذكرنيك الجود والبخل والنهى وقول الخنا والحلم والعلم والجهل

فالقاك عن مذمومها متنزها والقاك في محمودها ولك الفضل

واحمد من اخلاقك البخل انه بعرضك لا بالمال حاشي لك البخل

وقد احسن البحتري في قوله

بلونا ضرائب (خ خلايق) من قد نرى فما إن وجدنا (خ رأينا) لفتح ضريبا (خ خُلُقي)

تنقّل في سلفي سؤدد سماحا مرجّى وبأسا مهيبا

فكالسيف إن جئته صارخا وكالبحر إن جئته مستثيبا

فأما قوله

تزول الهوى لا السخط منه ولا الرضى لدى موطن إلا على الحق حامله

فمعنى متداول (خ مبتذل) مطروق في الشعر وقد كرره هو في قوله

إذا هن ألقين الرجال ببابه حططن بها (به) أثقالا وأدركن (خ وادركن) مغنما

إلى طاهر الأخلاق (خ الاثواب) ما نال في رضا ولا غضب ما لا أجرما ولا دما

وأحسن من هذا قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك

ثبت الخطاب إذا اصطكت بمظلمة في رحله ألسن الأقوام والركب

لا المنطق اللغو يزكو في مقاومه يوما ولا حجة الملهوف تستلب

كأنما هو في نادي قبيلته لا القلب يهفو ولا الأحشاء تضطرب

وتحت ذاك قضاء حز شفرته كما يعض بظهر الغارب القتب

لا سورة تتقى منه ولا بله ولا يخاف رضى منه ولا غضب

ومنه قول البحتري في ابن الزيات أيضا

وجه الحق بين أخذ وإعطاء وقصد في الجمع والتبديد

واستوى الناس فالقريب قريب عنده والبعيد غير بعيد

لا يميل الهوى به حيث تمضي الأم بين المقلي والمودود

وسواء لديه أبناء إبراهيم في حمده وأبناء هود

مستريح الأحشاء من كل ضغن بارد الصدر من غليل الحقود

فأما قوله وإن قتيل الله من هو قاتله فيشبه أن يكون مأخوذا

من قول يزيد بن مفرغ في عبيد الله بن زياد لعنه الله

إن الذي عاش ختارا بذمته ومات عبدا قتيل الله بالزاب

فأما قوله

وإنك عبد الله للحكم الذي تصاب به من كل حق مفاصله

فيشبه قول أبي تمام يصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات وأجمع

العلما أن هذه الأبيات أحسن وأفخم من جميع ما قيل في القلم

لك القلم الأعلى الذي بشباته تصاب من الأمر الكلى والمفاصل

له الخلوات اللاء لولا نجيها لما احتفلت للملك تلك المحافل

لعاب الأفاعي القاتلات لعابه وأري الجنى اشتارته أيد عواسل

له ريقة طل ولكن وقعها بآثاره في الشرق والغرب وابل

فصيح إذا استنطقته وهو راكب وأعجم إن خاطبته وهو راجل

إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأفرغت عليه شعاب الفكر وهي حوافل

أطاعته أطراف القنا وتقوضت لنجواه تقويض الخيام الجحافل

إذا استغزر الذهن الذكي وأقبلت أعاليه في القرطاس وهي أسافل

وقد رفدته الخنصران وشددت ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل — خ وشددت

رأيت جليلا شأنه وهو مرهف ضنى وسمينا خطبه وهو ناحل

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم وما

تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين فقال ما تأويل هذه الآية أوليس ظاهرها يقتضي أننا لا نشاء شيئا إلا والله تعالى شاء له ولم يخص إيمانا من كفر ولا طاعة من معصية

الجواب

قلنا الوجه المذكور في هذه الآية أن الكلام متعلق بما تقدمه من ذكر الاستقامة لأنه تعالى قال لمن شاء منكم أن يستقيم ثم قال وما تشاؤون إلا أن يشاء الله أي لا تشاؤون الاستقامة إلا والله تعالى مريد لها ونحن لا ننكر أن يريد الله تعالى الطاعات وإنما أنكرنا إرادته المعاصي وليس لهم أن يقولوا إن تقدم ذكر الاستقامة لا يوجب قصر الكلام عليها ولا يمنع من عمومه كما أن السبب لا يوجب قصر ما يخرج من الكلام عليه حتى لا يتعداه وذلك أن الذي ذكروه إنما يجب فيما يستقل بنفسه من الكلام دون ما لا يستقل وقوله وما تشاؤون إلا أن يشاء الله لا ذكر للمراد فيه فهو غير مستقل بنفسه وإذا علق بما تقدم من ذكر الاستقامة استقل على أنه لو كان للآية ظاهر

مثل أن يقول القائل [illegible] حتى يعني [illegible] وخرج البغداديون [illegible] [illegible] في متعلق [illegible]

يقتضي ما ظنوه وليس لها ذلك لوجب الانصراف عنه بالأدلة الثابتة
على أن الله تعالى لا يريد المعاصي والقبائح على أن مخالفينا في هذه
المسألة لا يمكنهم حمل الآية على العموم لأن العباد قد يشاؤن عندهم الله صح
ما لا يشاؤه تعالى بأن يريدوا الشيء ويعزموا عليه ولا يقع لمنع أو غيره
وكذلك فقد يريد النبي عليه السلام من الكفار الإيمان وتعبدنا بأن
نريد من المقدم على القبيح تركه وإن كان تعالى عندهم لا يريد ذلك
إذا كان المعلوم أنه لا يقع فلا بد لهم من تخصيص الآية فإذا جاز لهم
ذلك بالشبهة جاز لنا مثله بالحجة وتجري هذه الآية مجرى قوله تعالى
إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا وما تشاؤن إلا
أن يشاء الله وقوله تعالى وما يذكرون إلا أن يشاء الله في تعلق الكلام
بما قبله فإن قالوا فالآية تدل على مذهبنا وبطلان مذهبكم من وجه
آخر وهو أنه عز وجل قال وما يشاؤن إلا أن يشاء الله وذلك يقتضي أن صح
أنه يشاء الاستقامة في حال مشيئتنا لها لأن الخفيفة إذا دخلت على

الفعل المضارع اقتضت الاستقبال وهذا يوجب أنه يشاء أفعال
العباد في كل حال ويبطل ما تذهبون إليه من أنه يريد الطاعات الله صح
في حال الأمر قلنا ليس في ظاهر الآية أنا لا نشاء إلا ما شاءه تعالى
في حال مشيئتنا كما ظننتم وإنما يقتضي حصول مشيئته لما نشاؤه
من الاستقامة من غير ذكر لتقدم ولا تأخر ويجري ذلك مجرى
قول القائل ما يدخل زيد هذه الدار إلا أن يدخلها عمرو ونحن نعلم لا صح
أنه غير واجب بهذا الكلام أن يكون دخولهما في حال واحدة بل يمتنع أن
يتقدم دخول عمرو ويتلوه دخول زيد وأن الخفيفة وإن كانت للاستقبال
على ما ذكروه فلم يبطل على تأويلنا معنى الاستقبال فيها لأن تقدير الطاعات صح
الكلام وما تشاؤن إلا بعد أن يشاءها الله تعالى ومشيئة الله لها قد
كانت لها حال الاستقبال وقد ذهب أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي الله صح
إلى أنه لا يمتنع أن يريد تعالى الطاعات حالا بعد حال وإن كان قد
أرادها في حال الأمر كما يصح أن يأمر بها أمرا بعد أمر فلا أنه قد يصح

أن تتعلق بإرادته ذلك منا بعد الأمر وفي حال الفعل مصلحة ويعلم
تعالى أن نكون متى علمنا ذلك كنا إلى فعل الطاعات أقرب
وعلى هذا المذهب لا معترض بما ذكروه والجواب الأول أوضح إذا
لم نذهب إلى مذهب أبي علي في هذا الباب على أن اقتضاء الآية
للاستقبال من أوضح دليل على فساد قولهم لأن الكلام إذا
اقتضى حدوث المشيئة واستقبالها بطل قول من قال منهم إنه مريد
لنفسه أو مريد بإرادة قديمة وصح ما نقوله من أن إرادته متجددة
محدثة ويمكن في تأويل الآية وجه آخر مع حملنا إياها على العموم
ومن غير أن نخصها بما تقدم ذكره من الاستقامة ويكون المعنى ما تشاؤن عليها صح
شيئا من أفعالكم إلا أن يشاء الله تمكينكم من مشيئته وإقداركم والتخلية
بينكم وبينها وتكون الفائدة في ذلك الإخبار عن الافتقار إلى الله تعالى
وأنه لا قدرة للعبد على ما لا يقدره الله عليه وليس يجب أن يستبعد
هذا الوجه لأن ما تعلق به المشيئة في الآية محذوف غير مذكور وليس لهم

أن يعلقوا قوله إلا أن يشاء الله بالأفعال دون أن يعلقه بالقدرة لأن كل
واحد من الأمرين غير مذكور وهذا واضح بحمد الله ونعود إلى ما كنا
وعدنا به من الكلام على شعر مروان فمما نختار له قوله من قصيدة
أولها طرقتك زائرة فحي خيالها بيضاء تخلط بالحياء دلالها
يقول فيها

مالت بقلبك فاستقاد ومثلها قاد القلوب إلى الصبى فأمالها
وكأنما طرقت بنفحة روضة سحت بها ديم الربيع ظلالها
باتت تسائل في المنام معرسا بالبيد أشعث لا يمل سؤالها
في فتية هجعوا غرارا بعد ما سئموا مراعسة السرى ومطالها
وكأن حشو ثيابهم هندية نحلت وأغفل القيون صقالها

أما ذكره في أول القصيدة طروق الطيف فإنه لم يأت فيه بمعنى غريب ولا
لفظ مستعذب وقد قال الناس في الطيف والخيال فأكثروا وقد سبق
في ذلك قيس بن الخطيم إلى معنى كل الناس فيه عيال عليه وهو قوله

قال السيد رضي الله عنه [illegible] ... المراعسة ... [illegible]

أني سربت وكنت غير سروب وتقرب الأحلام غير قريب
ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه في النوم غير مصرد محسوب
كان المنى بلقائها فلقيتها فلهوت من لهو امرئ مكذوب

وقد أحسن جرير في قوله

أتنسى إذ تودعنا سليمى بفرع بشامة سقي البشام
بنفسي من تجنبه عزيز علي ومن زيارته لمام
ومن أمسي وأصبح لا أراه ويطرقني إذا هجع النيام

وهذه الأبيات وإن خلت من معنى في ذكر الطيف غريب فلم تخل من لفظ مستعذب مقبول ه ولأبي عبادة البحتري في وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر فإنه تغلغل في أوصافه واهتدى من معانيه إلى ما لا يوجد لغيره وكان مشغوفا بتكرار القول فيه لهجا بابتدائه وإعادته وإن كان لأبي تمام في ذلك مواضع لا يجهل فضلها ومحاسن لا يبلغ شأوها فمما لأبي تمام قوله

زار الخيال لها لا بل أزاركه فكر إذا نام فكر الخلق لم ينم
ظبي تقنصته لما نصبت له من آخر الليل أشراكا من الحلم
ثم اغتدى وبنا من ذكره سقم باق وإن كان معسولا من السقم (خ مشغولا)

وقوله

عادك الزور ليلة الرمل من رملة بين الحمى وبين المطالي
ثم ما زارك الخيال ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال

وقوله

الليالي أحفى بقلبي إذا ما جرحته النوى من الأيام
يا لها لذة تنزهت الأرواح فيها سرا من الأجسام

فأما البحتري فقوله في هذا المعنى أكثر من أن نذكر جميعه هاهنا غير أنا نشير إلى نادره فمن ذلك قوله

فلا وصل إلا أن يطيف خيالها بنا تحت جوشوش من الليل أسفع
ألمت بنا بعد الهدو فسامحت بوصل متى نطلبه في الجد تمنع

وما برحت حتى مضى الليل فانقضى وأعجلها داعي الصباح الملمع
فولت كأن البين يخلج شخصها أوان تولت من حشاي وأضلعي
ورب لقاء لم يؤمل وفرقة لأسماء لم تحذر ولم تتوقع
أراني لا أنفك في كل ليلة تعاود فيها المالكية مضجعي
أسر بقرب من ملم مسلم وأشجى ببين من حبيب مودع
فكائن لنا بعد النوى من تفرق تزجيه أحلام الكرى وتجمع

وقوله

وإني وإن ضنت علي بودها لأرتاح منها للخيال المورق
يعز على الواشين لو يعلمونها ليال لنا نزداد فيها ونلتقي
فكم غلة للشوق أطفأت حرها بطيف متى يطرق دجى الليل يطرق
أضم عليه جفن عيني تعلقا به عند إجلاء النعاس المرنق

وقوله

يقال أجلى القوم عن البلد وأجلوا عنهم والإجلاء الانفراج ه

بلى وخيال من أثيلة كلما تأوهت من وجد تعرض يطمع

إذا زورة منه تقضت مع الكرى تنبهت من وجد له أتفزع
ترى مقلتي ما لا ترى في لقائه وتسمع أذني رجع ما ليس تسمع
ويكفيك من حق تخيل باطل تردد به نفس اللهيف فترجع

وقوله

إذا ما الكرى أهدى إلي خياله شفى قربه التبريح أو نقع الصدى
إذا انتزعته من يدي انتباهة عددت حبيبا راح مني أو غدا
ولم أر مثلينا ولا مثل شأننا نعذب أيقاظا وننعم هجدا

وقوله

فما نلتقي إلا على حلم هاجد يحل لنا الأجر وأكل وهي حرام
إذا ما تباذلنا النفائس خلتنا من الجد أيقاظا ونحن نيام

وقوله

وليلة هومنا على العيس أرسلت بطيف خيال يشبه الحق باطله
فلولا بياض الصبح طال تشبثي بعطفي غزال بت وهنا أغازله

وقوله أمنك تأويب الطيف الطروب حبيب جاء يهدي من حبيب

تخطى رقبة الواشين كرها وبعد مسافة الخرق المجوب

يكاذبني وأصدقه ودادا ومن كلف مصادقة الكذوب

من حبيب

وقوله

ما تقضّى لبانة عند لبنى والمعنى بالغانيات معنى

هجرتنا يقظى وكادت على مذهبها في الصدود تهجر وسنا

بعد لأي وقد تعرض منها طائف عرجت على الركب وهنا

قال السيد الأجل المرتضى رضي الله عنه ووجدت أبا القسم الحسن بن بشر الآمدي مع ميله إلى البحتري وانحطاطه في شعبه واجتهاده في تأول ما أخذ عليه من خطأ وذلك يزعم أن البحتري أخطأ في قوله

هجرتنا يقظى وكادت على مذهبها في الصدود تهجر وسنا

قال لأن خيالها يتمثل له في كل أحوالها يقظى كانت أو وسنا قال ولكن الجيد في هذا المعنى قوله

أردد دونك يقظانا ويأذن لي عليك سكر الكرى إن جئت وسنانا

قال والذي أوقع البحتري في هذا الغلط قول قيس بن الخطيم

ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه في النوم غير مصرد محسوب

وكان الأجود أن يقول ما تمنعي في اليقظة فقد تؤتينه في النوم أي ما تمنعينه في يقظتي فقد تؤتينه في حال نومي حتى يكون النوم واليقظة منسوبين إليه لأن خيال المحبوب يتمثل في حال نومه ويقظته جميعا قال إلا أنه يتسع من التأويل في هذا لقيس ما لا يتسع للبحتري لأن قيسا قال فقد تؤتينه في النوم ولم يقل فقد تؤتينه نائمة وقد يجوز أن يحمل على أنه أراد ما تمنعي يقظى وأنا يقظان فقد تؤتينه في النوم أي في نومي ولا يسوغ مثل هذا في بيت البحتري لأنه قال وسنى ولم يقل في الوسن ه قال سيدنا رضي الله عنه وقد يمكن من التأويل للبحتري ما أمكن مثله لقيس لكن الآمدي ذهب عن ذلك لأن البحتري لما قال وسنى دل على حال الوسن والحال المعهودة للوسن حال

يشترك الناس فيها في النوم بالعادة كما أن الحال المعهودة لليقظة
حال مشتركة بالعادة فقوله وسني ينبئ عن كونه هو أيضا نائما
وإنما أراد المقابلة في زنة اللفظ بين يقظي ووسني وقوله يقظي
متى لم يحمل أيضا على هذه الحال لم يصح لأنه لا بد أن يريد بذلك هجرتنا (خ هذا المعنى)
في أحوال اليقظة ويكون معنى يقظي يتعدى إليه ألا ترى أن
الآمدي حمل قول قيس يقظي على معنى وأنا يقظان وإن لم يبين الوجه فيه
فكيف ذهب عليه مثل ذلك في قول البحتري وقوله وسني ويقظي
مثل قول قيس يقظي ولو مكن قياسا وزن الشعر من أن يقول وسنى
في مقابلة يقظي لعله ما عدل عنه إلى النوم لأنه لم يكن عليه في
وسني إلا ما عليه في يقظي وما بينا أول له في أحد الأمرين تأول له
في الآخر قال سيدنا رضي الله عنه ولي في الخيال وطروقه
معنى ما علمت أنه سبق إليه وهو من جملة قصيدة

وزور تخطى جنوب الملا فناديت أهلا بذا الزائر
أتاني هدوا وعين الرقيب مطروفة بالكرى الغامر
فأعجب به يسعف الهاجرين وتحرمه مقلة الساهر
وعهدي بتمويه عين المحب ينم على قلبه الطائر
فلما التقينا برغم الرقاد هوى قلبي على ما طرى

ومعنى البيت الأخير أن الأحلام إنما هي اعتقادات تحصل في القلب
لا حقيقة لأكثرها لأن الإنسان يعتقد أنه رأى ما لا يراه على
الحقيقة ومدرك لما ليس بمدرك له على الحقيقة فالقلب يخيل في النوم
للعين ما لا حقيقة له كما أن العين تخيل في كثير من الأحوال للقلب ما
لا حقيقة له فأما قول مروان فكأنما طرقت بنفحة روضة
البيت فيشبه أن يكون مأخوذا من قول نهشل بن حري

طرقت أسيماء الرحال ودونها نقيان من رمل الثمام الأسود
ومفاوز وصل الفلاة جنوبها بجنوب أخرى غبر أن لم تعقد
رمل إذا أيدي الركاب قطعنه قرعت مناسمها بقف قردد
خ قرعت مناسمها

وكأنّ ريح لطيمة هندية وذكيّ جادي بنضح مجسد
وندى خزامى الجوّ سوّيقة طرق الخيال به بعيد المرقد

أو من قول الآخر

طرقتك زينب والمزار بعيد بمنى ونحن معرّسون هجود
فكأنما طرقت بريّا روضة أنف يسحسح مزنها فجود

وهذا المعنى كثير في الشعر المتقدم والمتأخر جدًّا ه . فأما قوله

بأنت تسائل في المنام معرّسًا

البيت والبيتان اللذان بعده فقد قال الناس في وصف قلة النوم ومواصلة السرى والإدلاج وشعث السائرين فأكثروا فمن أحسن ما قيل في ذلك قول الكبير

ومجود من صبابات الكرى عاطف النمرق صدق المبتذل
قال هجّدنا فقد طال السرى وقدرنا إن خنا الدهر غفل
فلما عرّس حتى هجته بالتباشير من الصبح الأول
يلمس الأحلاس في منزله بيديه كاليهودي المصل

بما أرى في الذي قلت له ولقد يسمع قولي حيّهل

ومن ذلك قول ذي الرمة

وليل كأثناء الرويزيّ جبته بأربعة والشخص في العين واحد

والرويزيّ هو الطيلسان وقد يروى أيضًا كجلباب العروس ادّرعته وكل ذلك وصف له بالسواد لأن الطيلسان أسود وجلباب العروس أخضر والعرب تجمع بين الخضرة والسواد

أحمّ علافيّ وأبيض صارم وأعيس مهريّ وأشعث ماجد
أخو شقة جاب الفلاة بنفسه على الهول حتى لوّحته المطارد
وأشعث مثل السيف قد لاح جسمه وجيف المهاري والهموم الأباعد
سقاه الكرى كأس النعاس فرأسه لدين الكرى في آخر الليل ساجد
أقمت له صدر المطيّ فما درى أجائرة أعناقها أم قواصد
ترى الناشئ الغرّيد يضحي كأنه على الرحل مما منّه السير عاصد

ومن ذلك قول أبي حيّة النميري

وأغيد من طول السرى برحت به ... أفانين نهاض على الليل مرجم
سريت به حتى إذا ما تمزقت ... توالي الدجى عن واضح اللون معلم
أنخنا فلما أن جرت في دماغه ... وعينيه كأس النوم قلت له قم
فما قام إلا بين أيد تقيمه ... كما عطفت ريح الصبا خوط سأسم
خطى الكرى مغلوبا كأن لسانه ... لما رد من رجع لسان المبلسم [خ المبرسم]
وود بوسطى الخمس منه لو أننا ... رحلنا وقلنا في المناخ له نم

[أي يقطع الوسطى]

[بلغ المعارضة بالأصل]
[بلغ سماع]

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى: أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون. فقال أي معنى لاختصاص الأرض بالذكر وهم لا يفوتون الله تعالى ولا يعجزونه ولا يخرجون عن قبضته على كل حال وفي كل مكان ولم نفى الأولياء عنهم وقد نجد أهل الكفر يتولى بعضهم بعضا وينصرونهم ويحمونهم من المكاره وكيف نفى

استطاعتهم للسمع والأبصار وأكثرهم قد كان يسمع بأذنه ويرى بعينيه.

الجواب قلنا أما الوجه في اختصاص الأرض باللفظ [خ بالزجر] فلأن عادة العرب جارية بقولهم للمتوعد لا مهرب لك مني ولا وزر ولا نفق والوزر الجبل والنفق السرب وكل ذلك مما يلتجأ إليه الخائف المطلوب فكأنه تعالى نفى أن يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه ومانع من عذابه وأن جبال الأرض وسهولها لا تحجز بينهم وبين ما يريد إيقاعه بهم كما أنها تحجز عن كثير من أفعال البشر ولأن معاقل الأرض هي التي يهرب إليها البشر من المكاره ويلجؤون إلى الاعتصام بها عند المخاوف فإذا نفى تعالى أن يكون لهم في الأرض معقل فقد نفى المعقل من كل وجه.

فأما قوله تعالى وما كان لهم من دون الله من أولياء فمعناه أنه لا ولي لهم ولا ناصر من عذاب الله تعالى وعقابه لهم في الآخرة ولا مما يريد أيضا إيقاعه بهم في الدنيا وإن كان لهم من

منهم صح

تحميهم من مكروه البشر وينصرهم ممن أرادهم بسوء وقد يجوز أن
يكون ذلك أيضاً بمعنى الأمر وإن كان مخرجه مخرج الخبر ويكون
التقدير وليس لهم أن يتخذوا أولياء من دون الله بل الواجب أن
يرجعوا في معونتهم ونصرهم ولا يعولوا على غيره فأما قوله
عز وجل ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ففيه
وجوه أحدها أن يكون المعنى يضاعف لهم العذاب بما كانوا
يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الإبصار
فلا يبصرون عناداً للحق وذهاباً عن سبيله فأسقطت الباء من
الكلام وهذا جائز كما جاز في قولهم لأجزينك ما عملت
ولأجزينك بما عملت ولأحدثنك بما عملت ولأحدثنك ما عملت
وكما قال الشاعر

نغالي اللحم للأضياف نيئاً ونبذله إذا نضج القدور

فأراد نغالي باللحم والوجه الثاني أنهم لاستثقالهم استماع

إليه صح

آيات الله تعالى وكراهيتهم تذكرها وتفهمها جروا مجرى من لا يستطيع
السمع كما يقول القائل ما يستطيع فلان أن ينظر لشدة عداوته
إلى فلان وما يقدر على أن يكلمه وكما نقول لمن عهدنا منه العناد
والاستثقال لاستماع الحجج والبينات ما تستطيع أن تسمع الحق
وما تطيق أن تذكر لك وكما قال الأعشى

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعاً أيها الرجل

ونحن نعلم أنه قادر على الوداع وإنما نفى قدرته عليه من حيث
الكراهة والاستثقال ومعنى وما كانوا يبصرون أي أن أبصارهم
لم يك نافعاً لهم ولا مجدياً عليهم مع الإعراض عن تأمل آيات الله تعالى
وتدبرها فلما انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفي عنهم الإبصار
نفسه كما يقال للمعرض عن الحق العادل عن تأمله ما لك لا تبصر ولا
تسمع ولا تعقل وما أشبه ذلك والوجه الثالث أن يكون معنى
نفي السمع والبصر راجعاً إلى آلهتهم لا إليهم وتقدير الكلام أولئك

أن ينظر إلى فلان لشدة عداوته

وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض يضاعف لهم العذاب ثم قال مخبرا
عن الآلهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وهذا الوجه
يروى عن ابن عباس رحمه الله وفيه أدنى بعد ويمكن في الآية وجه
رابع وهو أن تكون ما في قوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع ليست للنفي بل
تجري مجرى قولهم لا أواصلك ما لاح نجم ولأقيمن على مودتك ما طلعت
شمس ويكون المعنى أن العذاب يضاعف لهم في الآخرة ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون أي أنهم معذبون ما كانوا أحياء فإن قيل كيف
يعبر عن كونهم أحياء باستطاعة السمع والإبصار وقد يكون حيا
من لا يكون كذلك قلنا للعرب في مثل هذا عادة لأنهم يقولون والله لا
كلمت فلانا ما نظرت عيني ومشت قدمي وهم يريدون ما بقيت وحييت
لأن الأغلب من أحوال الحي أن تنظر عينه وتمشي قدمه فجعلوا الأغلب
كالواجب ومن ذلك قول الشاعر

وما الناس من شيء تقادم عهده فلست بناس ما هدت قدمي نعلي

عشية قالت والدموع بعينها هنيئا لقلب عنك لم يسل مثلي
وإنما أراد أني لا أنسى ذلك ما حييت وكذلك لا يمتنع أن يعلق على هذا
المذهب دوام العذاب بكونهم مستطيعين للسمع والإبصار ويعود
المعنى إلى تعلقه ببقائهم وكونهم أحياء والمرجع في ذلك إلى التأبيد
لأنه إذا علق العذاب ببقائهم وإحيائهم وعلمنا أن الآخرة لا موت
فيها ولا خروج عن الحيوة علمنا تأبيد العذاب ونعود إلى ما كنا
فيه من الكلام على شعر مروان فمما تختار له من القصيدة التي [قوله رحمه]
مضى أولها وتكلمنا عليها

وضعوا الخدود لدى سواهم جنح تشكو الكلوم صفاحها وكلالها
طلبت أمير المؤمنين فواصلت بعد السرى بغدوها آصالها
نزعت إليك صوادياً فتقاذفت تطوي الفلاة حزونها ورمالها
هوجا تدرع الربى وتشقها شق الشموس إذا تراع جلالها
يتبعن ناجية يهز مراحها بعد الكلول تليلها وقذالها

نجوا اذا رفع القطيع كما نجت خرجا بادرت الظلام رئالها
كالقوس ساهمة اتتك وقد ترى كالبرج تملأ رحلها وجبالها

هذه الابيات في وصف الرواحل بالسرعة والنحول جيدة اللفظ مطردة النسج وقد سبق الناس في هذا المعنى الى ضروب من الاحسان فمن ذلك قول الاخطل

خوص كاعطال القسي تقلقلت اجنتها من شقة ودؤوب
اذا معجل غادرنه عند منزل اتيح لجواب الفلاة كسوب

المعجل الملقى من الاجنة لغير تمام وجواب الفلاة الذيب

وهن بنا عوج كان عيونها بقايا قلات قلصت لنضوب
مسانيف نطويها مع القيظ والسرى تكاليف طلاع النجاد ركوب
فلم ترى الاصوات فيه كانها رجال قيام عصبوا بسبوب
يعمن بنا عوم السفين اذا انجلت سحابة وضاح السراب خبوب

وقال مسلم بن الوليد الانصاري

الى الامام نهادانا باذرعنا خلوق من النسج في اشباح ظلمان
كان افلاتها والفجر ياخذها افلات صادرة عن قوس حسبان

وقال البشار بن برد

واذا المطي سبحن في اعطافه فات المطي بكاهل وتليل
وكانه والناعجات يردنه قدح تطلع من قداح مجيل

ولبعض الحارثيين

نهس الهواجر والظهائر لحمها حتى تخدد لحمها المتظاهر
حرف تشابهها النجا فلائص مما تنخل شدقم او داعر
صبر اذا عطفت سوالفها البرى سمعت لهن كانكسر جراجر
ونخال من عز النفوس وجدها احنا وهن اذا اختبرن اباعر
اما اذا ما اقبلت فكانها ذعر نهادنها الفلاة نوافر
اما اذا ما ادبرت فكانها صرح مشيدة وهن ضوامر

قال السيد الاجل المرتضى رضي الله عنه واني لاستحسن قول شاعر

الغدير في وصف الناقة بالسرعة

كأن يديها إذا أرقلت وقد جرن ثم اهتدين السبيلا
يدا سابح خر في غمرة وقد شارف الموت إلا قليلا
إذا أقبلت قلت مشحونة أطاعت لها الريح قلعا جفولا
وإن أدبرت قلت مذعورة من الربد تتبع هيقا ذمولا

ومعنى قوله وقد جرن ثم اهتدين السبيلا يعني المطايا يقول كن نشيطات يمرحن فلا يلزمن لقم الطريق بل يأخذن يمينا وشمالا فلما عضهن الكلال استقمن على المحجة فكأنه وصف ناقته ببقاء النشاط مع كلال المطي وكنى عن الكلال بلزوم جادة الطريق بعد تنكبها وهذه كناية فصيحة مليحة ومثله قول الآخر

كأن يديها حين جد نجاؤها يدا سابح في غمرة يتذرع

ومما يشاكل هذا المعنى ويقاربه قول الشماخ

كأن ذراعيها ذراعا مدلة بعيد السباب حاولت أن تعذرا

مجدة الأعراق قال ابن ضرة عليها كلاما جار فيه وأهجرا

شبه ذراعيها وهي تتذرع في مشيها بذراعي امرأة مدلة على أهلها ببراءة ساحتها وقد حكى عنها ابن ضرتها كلاما أهجر فيه أي أفحش فهي ترفع يديها وتضعهما تعتذر وتحلف وتنضح عن نفسها وقد قيل إن معنى قوله مدلة أي أنها تدل بحسن ذراعيها فهي تريد إظهارهما ليرى حسنهما وقوله بعيد السباب أي في عقيب المسابة قامت تعتذر إلى الناس وقوم يروونه بعيد الشباب ومعنى هذه الرواية أنها نصف من النساء فهي أقوم بحجتها من الحدثة الغرة ويشهد لهذه الرواية الأخيرة قول الآخر

كأن يديها حين يقلق ضفرها يدا نصف غيري تعذر من جرم

وقوله حين يقلق ضفرها فيه سر وفائدة لأن الضفر هو الأنساع وإنما يقلق إذا أجهدها السير فضمرت فكأنه وصفها بالتذرع والنشاط مع الجهد والكلال ومثله

كأن ذراعيها ذراعا بذية مفجعة لاقت ضرائر عن عفر
سمعن لها واستعجلت في كلامها فلا شيء يفري باليدين كما تفري

خ بكلامها

ويقاربه قول الآخر

ألا هل تبلغنيهم على اللأواء والظنه
وآة لحصى المعزاء من أخفافها رنه
إذا ما عسفت قلنا حمامة فاضحت كنه

وممن شبه سرعة أيدي الإبل بأيدي النوائح كعب بن زهير فقال

خ عرفت

كأن أوب ذراعيها إذا عرقت وقد تلفع بالقور العساقيل
وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ورق الجنادب يركضن الحصى قيلوا
شد النهار ذراعا عيطل نصف قامت فجاوبها نكد مثاكيل
نواحة رخوة الضبعين ليس لها لما نعى بكرها الناعون معقول

العساقيل أوائل السراب ولا واحد لها من لفظها وأخبر أن ناقته في شدة الحر وانقاد الظهيرة تمرح في سيرها وتتذرع بيديها وشبه

ذراعيها بذراعي امرأة نصف تنوح على ابنها وقد نعي إليها فهي تشير بيديها وتوالي تحريكهما والعيطل الطويلة العنق وجعلها نصفا لأنها قد كادت تيأس من الولد فهو أشد لحزنها على ابنها وتفجعها عليه والقور جمع قارة وهي ما ارتفع واستدار من الرمل وأراد أن يقول كما تلفعت القور بالعساقيل فلم يمكنه فقلب ومثله

وكأنما تقعت يدي نواحة شمطا أقامت غير ذات خمار

وإنما خص الشمطا لما ذكرناه من اليأس من الولد كما قال عمرو بن كلثوم

ولا شمطا لم يترك شقاها لها من تسعة إلا جنينا

وقد قيل إن في بيت عمرو بل شبه الناقة بشمطا لما على رأسها من اللغام ومثل ما تقدم من المعاني قول الشاعر

يا ليت شعري والمنى لا تنفع ... هل أغدون يوما وأمري مجمع
وتحت رحلي زفيان ميلع ... كأنها نائحة تفجع
تبكي لميت وسواها الموجع

الزفيان الناقة الخفيفة والميلع

السريعة وشبه رجع يديها في السير لنشاطها بيدي نائحة تنوح لقوم على
ميتهم بأجرة فهي تزيد في الإشارة بيديها اليسرى كأنها ومثله بعينه
قول ذي الرمة

مخانيق تضحي وهي عوج كأنها بجوز الفلا مستأجرات نوائح

(خ اللواتي ضمرن)

المخانيق التي ضمرت بعد سمن وخص المستأجرات من النوائح للمعنى الذي
ذكرناه وقال الشماخ فيما يقارب هذا المعنى من وصف السرعة

كأن أوب يديها حين أعجلها أوب المراح وقد نادوا بترحال

مقط الكرين على مكنوسة زلق في ظهر حنانة البيرين مغوال

معنى أوب ذراعيها أي رجعهما وأوب المراح إذا أراح القوم على رب أموالهم
لين حلوا وقد روي أوب المزاح بالكسر ومعناه رجع المزاح والنشاط
والمقط اللعب بالكرة والكرين جمع كرة والمكنوسة الأرض البراح التي
لا شيء فيها والزلق المستوية من الأرض والحنانة الريح والبيران جانبا هذه
الأرض ومغوال قيل إنه من صفات الريح وقيل من صفات الأرض فإن كان للريح

فمعناه أن الريح تغول الأرض بأسرها أي تملأها وإذا كان للأرض فالمعنى
أنها تغول من سلكها أي تهلكه وتلخيص معنى البيت أنه شبه يدي ناقته
بيدي ضارب بكرتين في أرض واسعة في يوم عاصف وهذا من دقيق
المعاني وحسن التشبيه والمبالغة ومثل بيتي الشماخ قول المسيب بن علس

مرحت يداها للنجاء كأنما تكرو بكفي ماقط في قاع

فعل السريعة بادرت جدادها قبل المساء تهم بالإسراع

معنى تكرو كأنها لاعب بكرة والسريعة يعني نساجة والجداد الغزل
الضعيف فأراد أنها تسرع الضرب بالحف والنسج قبل المساء وما دامت
تبصر فشبه يدي ناقته في تذرعها بيدي هذه النساجة وقال الأصمعي
الجداد هدب الثوب فيعني أن هذه النساجة قد قاربت الفراغ من
الثوب وبلغت إلى هدبته فهي تبادر لتفرغ منه قبل المساء وقريب
منه قول الآخر

كأن أيديهن بالقاع القرق أيدي جوار يتعاطين الورق

قال أبو محمد [illegible] بخط القاضي [illegible] عبد الله محمد [illegible] القضاعي [illegible] [illegible] والعلس حب كالعدس [illegible]

فالفرق الخشن الذي فيه الحصى وشبّه حذف مناسمهنّ له بحذف جوارٍ
يلعبن بداهم وخصّ الجواري لأنهنّ أخفّ يدًا من النساء وقال
آخرون الفرق هاهنا المستوي من الأرض الواسع وإنما خصّ
بالوصف لأن أيدي الإبل إذا أسرعت في المستوي فهو أحمد لها وإذا
أبطأت في غيره فهو أحمد لها ومن أحسن ما قيل في الإسراع قول
المرّار بن سعيد
فتناولوا شعب الرحال فقلّصت سود البطون كفضلة المتنمّس
ذكر قومًا سفرًا هبّوا من رقدتهم إلى رحالهم ليسيروا فيعني بسود
البطون الإبل والمتنمّس الصائد الذي يتّخذ ناموسًا وهو ما يستتر به
ليختل الصيد فشبّه المطايا في سرعتها بقطا قد صاد الصائد بعضها
وأفلت بعضًا فهنّ يطرن طيرانًا شديدًا ومثل هذا وإن كان في صفة الخيل
قول النابغة   كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البرد
فأما قول مروان   يهز مراحها بعد النحول تليلها وقذالها

فقد مضى من وصف المطايا بالنشاط بعد السآمة والجهد ما مضى وأحسن
من قول مروان وأشدّ إفصاحًا بالمعنى وإعرابًا عنه قول الهذلي
ومن سيرها العنق المسبطرّ والعجرفيّة بعد الكلال
وإنما كان هذا أحسن لأنه صرّح بنشاطها بعد كلالها وقول مروان
بعد النحول لا يجري هذا المجرى لأنّ النحول قد يكون عن جهد السفر
والتعب ويكون عن غيره فأما قوله   كالقوس ساهمة أتتك   فقد أكثر
العرب في وصف المطايا بالنحول وتشبيهها بالقسيّ وغيرها وقد أحسن
كثيّر في قوله
نفى السير عنها كلّ داء إقامة فهنّ رذايا في الطريق ترائك
وحمّلت الحاجات خوصًا كأنها وقد ضمرت صفر القسيّ العواتك
وقال سلم بن عمرو الخاسر
وكأنهنّ من الكلال أهلّة أو مثلهنّ عطائف الأقواس
توذطوها ما طوت من همة نأي الصوى ومناهج أدراس

وقال ابو تمام يصف ناقة

أتينا القادسية وهي ترنو الى بعين شيطان رجيم

فما بلغت بنا عسفان حتى رنت بلحاظ لقمن الحكيم

وبدّلها السرى بالجهل حلما وقدّ اديمها قدّ الاديم

اذاب سنامها قطع الفيافي ومزّق جلدها نضح العصيم

بدت كالبدر وافى ليل سعد وآبت مثل عرجون قديم

وقال البحتري

جمع اجول

وخدان القلاص حولا اذا قابلن حولا من انجم الاسحار

يترقرقن كالسراب وقد خضن غمارا من السراب الجاري

ح المعطفات

كالقسي المعطلات بل الاسهم مبرية بل الاوتار

وله ايضا

وهي العيس دهرها في ارتحال من حلول او فرقة من جميع

ربّ مرت تجاذب قطره سرابا كالمنهل المشروع

وسرى تنتحيه بالوخد حتى تصدع الليل عن بياض الصديع

كالبرى في البرى ويحسبن احيانا نسوعا مجدولة في نسوع

بلغ المعارضة بالاصل

مجلس آخر تأويل آية

ان سال سايل عن قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي الآية فقال كيف اضاف الى نفسه اليد وهو ممن يتعالى عن الجوارح **الجواب** قلنا في هذه الآية وجوه اولها ان يكون قوله لما خلقت بيدي جاريا مجرى قوله لما خلقت انا وذلك مشهور في لغة العرب يقول احدهم هذا ما كسبت يداك وما جرت عليك يداك واذا ارادوا نفي الفعل عن الفاعل استعملوا فيه هذا الضرب من الكلام فيقولون فلان لا تمشي قدمه ولا ينطق لسانه ولا تكتب يده وكذلك في الاثبات ولا يكون للفعل رجوع الى الجوارح في الحقيقة بل الفايدة فيه النفي عن الفاعل وثانيها ان يكون معنى اليد هاهنا النعمة ولا اشكال في ان احد محتملات لفظة اليد النعمة فاما الوجه في تثنيتها فقد قيل فيه ان المراد به نعمة الدنيا ونعمة الآخرة فكانه تعالى

قال ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي وأراد بالباء اللام ه وثالثها

أن يكون معنى اليد هاهنا القدرة وذلك أيضا من محتملات اللفظة يقول

القائل ما لي بهذا الأمر يد ولا يدان وما يجري مجرى ذلك والمعنى أني لا أقدر

عليه ولا أطيقه وليس المراد بذلك إثبات قدرة على الحقيقة بل إثبات

كون القادر قادرا ونفي كونه قادرا فكأنه تعالى قال ما منعك أن تسجد لما

خلقت وأنا قادر على خلقه فعبر عن كونه قادرا بلفظ اليد الذي هو

عبارة عن القدرة وكل ذلك واضح في تأويل الآية ه ونعود إلى ما

كنا ابتدأناه من الكلام على شعر مروان فمن ذلك قصيدته التي

تقدم بعضها ووقع الكلام عليها قوله

أحيا أمير المؤمنين محمد سنن النبي حرامها وحلالها

ملك تفرع نبعة من هاشم مد الإله على الأنام ظلالها

جبل الأئمة تلوذ بركنه رادى جبال عدوها فأزالها

لم تغشها مما تخاف عظيمة إلا أجال لها الأمور مجالها

معروف صح

خ ابني

حتى يفرجها أغر مبارك ألفى أباه مفرجا أمثالها

ثبت على زلل الحوادث راكب من صرفهن لكل حال حالها

كلتا يديك جعلت فضل نوالها في المسلمين وفي العدو وبالها

وقعت مواقعها بعفوك أنفس أذهبت بعد مخافة أوجالها

آمنت غير معاقب طرادها وفككت عن أسرائها أغلالها

ونصبت نفسك خير نفس دونها وجعلت مالك واقيا أموالها

أما قوله أحيا أمير المؤمنين محمد سنن النبي حرامها وحلالها

فقد عابه عليه بعض من لا معرفة له بنقد الشعر فقال كيف يكون في

سنن النبي عليه السلام حرام وما ذلك بعيب لأنه أراد بقوله حرامها

وحلالها التحريم والتحليل من سنته تحريم الحرام وتحليل الحلال وإنما

المعيب من هذا قول ابن الرقاع العاملي

ولقد أراد الله إذ ولاكها من أمة إصلاحها وفسادها

ومثل قول مروان قول سلم الخاسر

خ وللعدو

المعنى صح

ومما وليت ذكرت النبي بتحليله وتحريمه

فاما قوله حتى يفرجها أغر مبارك البيت فكثير جدا للمتقدمين والمحدثين والأصل فيه قول زهير

وما كان من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطي إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل

ومثله لآخر

وحمزة والعباس منهم ومنهم عقيل وما العود من حيث يعصر

ومثله للربيع بن أبي الحقيق اليهودي

إذا مات منا سيد قام بعده له خلف يكفي السيادة بارع
من ابنائه والعرق ينصر فرعه على أصله والعرق للعرق نازع

ومثله له أيضا

ترجو الغلام وقد أعياك والده وفي أرومته ما ينبت العود

وأخذ هذا المعنى وبعض اللفظ الكميت فقال

تجري أصاغرهم مجرى أكابرهم وفي أرومته ما ينبت الشجر

ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرقيات

تخلف البيض من بنيك كما تخلف عود النضار في شعبه

ومنه قول نهشل بن حري

أرى كل عود نابتا في أرومة أبى منبت العيدان أن يتغيرا
بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لآباء سوء يلقه حيث سيرا

ومثله لمسلم بن الوليد الأنصاري

أجر على الأيام يفري خطوبها على منهج ألفى أباه به قبل

وللبشار على أعراقها تجري الجياد ومثله

وما بي من خير وشر فإنها سجية آبائي وفعل جدودي
هم القوم فرعي منهم متفرع وعودهم عند الحوادث عودي

وللبحتري

وإذا أبو الفضل استعار سجية للمكرمات فمن أبي يعقوب (خ أيوب)

شرف تتابع كابراً عن كابرٍ كالرمح أنبوباً على أنبوبِ
وأرى النجابة لا يكون تمامها لنجيب قومٍ ليس بابن نجيبِ

وله أيضاً

ما سعوا يخلفون أبيهم كلّ ساعٍ منا يريد نصابه (غير)

وله أيضاً وما تابع في المجد نهج عدوه كمتبع في المجد نهج أبيه

وفي هذه القصيدة يقول مروان

هل تعلمون خليفة من قبله أجرى لغايته التي أجرى لها
طلع الدروب مشمراً عن ساقه بالخيل منصلتاً يجذ نعالها (خ يجد)
قوداً تربع إلى أغر لوجهه نور يضيء أمامها وخلالها
قصرت حمائله عليه فقلصت ولقد تحفظ قينها فأطالها
حتى إذا وردت أوائل خيله جيحان بث على العدو رعالها
أحمى بلاد المسلمين عليهم وأباح سهل بلادهم وجبالها
أدمت دوابر خيله وشكيمها غاراتهن وألحفت آطالها
(الحفت ضمرت)

لم يبق بعد مقادها وطرادها إلا نجائبها وإلا آلها (خ يبق بعد) (الآل الشخص)
رفع الخليفة ناظريه وأشنى بيد مباركة شكرت نوالها
وحسدت حتى قيل أصبح باغياً في المشي مترفة شيمة مختالها
ولقد حذوت لمن أطاع ومن عصى نعلاً وردت عن النبي مثالها (يعني أنه اقتدى بالنبي عليه السلام في إنعامه)

أما قوله قصرت حمائله فالأصل فيه قول عنترة

بطلٍ كأن ثيابه في سرحةٍ يحذى نعال السبت ليس بتوأم

أو قول الأعشى

إلى ماجدٍ كهلال السماء أزكى وفاءً ومجداً وخيرا
طويل النجاد رفيع العماد يحمي المضاف ويغني الفقيرا
طويل نجاد السيف عارٍ جبينه كنصل اليماني أخلصته صياقله (ومثله)
إذا همّ بالمعروف لم تجر طيره نحوساً ولم تسبق نداه عواذله

ومثله قول طريح بن إسمعيل الثقفي

وأشعث طلاع الثنايا مبارك يقول نجاد السيف وهو طويل
(خ يطول)

ولأبي الجويرية العبدي

يمد نجاد السيف حتى كأنه بأعلى سنامي فالج يتطوح

إذا اهتز في البرد اليماني خلته هلالاً بدا في جانب الأفق يلمح

ولأبي عطاء السندي

وأزهر من بني عمرو بن عمرو حمائله وإن طالت قصار

ولبعضهم في آل المهلب

رأيتكم أعز الناس جاراً وأمنعهم إذا عدوا ذمارا

حمائلكم وإن كانت طوالاً نراها عن شمائلكم قصارا

ولبعض بني العنبر في معنى الطول

فجاءت به عبل العظام كأنما عمامته بين الرجال لواء

أشم طويل الساعدين كأنما تناط إلى جذع طويل حمائله

ولابن هرمة تناط حمائل الهندي منه بعاتق لا ألف ولا ضئيل

ولكن تستقل به قواه على ماضٍ بقائمه نبيل

وللسلم الخاسر يقوم مع الرمح الرديني قامة ويقصر عنه طول كل نجاد

وللخثعمي يوازي الرديني في طوله ويقصر عنه نجاد الحسام

وللوابلي طول وطول فتى كفه تنهل بالطول انهلال الغمام

وطوله يغنان يوم الوغى وغيره فضل نجاد الحسام

فأما قوله ولقد حذوت لمن أطاع ومن عصى نعلاً ورثت عن النبي مثالها

فقد ردده مروان معناه في مواضع من شعره فقال

شبيه أبيه منظراً وخليقة كما حذيت يوماً على أختها النعل

وقال في موضع آخر

خ قرنت

لحبا لنا سنن النبي سميه قد الشراك به قريت شراكا

صحيح الضمير سره مثل جهره قياس الشراك بالشراك يقابله

وقال أيضاً

تشابهتما حلماً وعدلاً ونائلاً وحزماً إذا أمر أقام وأقعدا

تنازعتما نفسين هذي كهذه على أصل عرق كان أفخر متلدا

كما قاس نعلا حضرمي فقدها على أختها لم يأل أن تجودا

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال

تنازع الأحمدان الشبه فاتفقا خلقا وخلقا كما قد الشراكان

والأصل في هذا قول ابن أبي ربيعة

فلما توافقنا عرفت الذي بها كمثل الذي بي حذوك النعل بالنعل

ومثله للسيد بن محمد الحميري

يتلون أخلاق النبي وفعله كالنعل تشبه في المثال طرافها

وقد تقدم إلى هذا المعنى يزيد بن المكسر ثعلبة بن سيار العجلي بقوله

في يوم ذي قار يحرض قومه على القتال

من فر منكم فر عن حريمه وجاره وفر عن نديمه

أنا ابن سيار على شكيمه مثل الشراك قد من أديمه

وكلهم يجري على قديمه

فأما قوله وحسدتني قبل أصبح باغيا البيت ففي معناه قول البحتري

ألانت لي الأيام من بعد قسوة وعاتبني لي دهري المسيء فأعتبا

وألبستني النعمى التي غيرت أخي علي فأمسى نازح الود أجنبا

ومما يختار لمروان قوله

موفق لسبيل الرشد متبع يزينه كل ما يأتي ويجتنب

تسمو العيون إليه كلما انفرجت للناس عن وجهه الأبواب والحجب

له خلائق بيض لا يغيرها صرف الزمان كما لا يصدأ الذهب

خ ينقد

لبس صح

ووجدت بعض من ينتقد الشعر يقول في شعر مروان بيت يتمثل به غير هذا البيت الأخير من الثلاثة الأبيات وكان ابن مناذر إياه أراد وقد سأل وهو مجاور بمكة عمن ببغداد من الشعراء فقيل له العباس بن الأحنف فقال أنشدوني له فأنشدوه

لو كنت عاتبة لسكن عبرتي أملي رضاك وزرت غير مراقب

لكن مللت فلم تكن لي حيلة صد الملول خلاف صد العاتب

فقال ابن مناذر اخلق بمن أدام تحت التراب أن يصيب خرزة

قال سيدنا رضي الله عنه ولا شك في قلة الأمثال في شعر مروان ولكن ليس إلى هذا الحد وهذا المعنى الذي تضمنه البيت قد سبق إليه أيضا قال طريح بن إسمعيل

جواد إذا جئته راجيا كفاك السؤال وإن عدت عادا
خلائقه كسبيكة النضار لا يعمل الدهر فيها فسادا

ومثله للخريمي

رأيتك يا زيد زيد الندى وزيد الفخار وزيد الكرم
تزيد على نائبات الخطوب بذلا وفي سابغات النعم
كذا الخمر والذهب المعدني يجود هذا وذال القدم

وفي قوله الذهب المعدني فائدة لأنه إذا خلص الذهب وصفا لم يفسد وإذا امتزج بغيره لم يكن هذا حكمه ومثله للأموي

يأوي إلى الخلق لم يصد مطبع كأن جوهره من جوهر الذهب

ولبعضهم ملك له خلق خليق بالعلى كسبيكة الذهب التي لا تكلف

وقد أخذ الخبزأرزي هذا المعنى في قوله

فلا تعجبن لتحذيف تكلفه لصورة حسنها الأصلي يكفيها
إن الدنانير لا تجلى وإن عتقت ولا تزاد على النقش الذي فيها

وللحظة مثله

صديق لي له أدب صداقة مثله حسب
رعى لي فوق ما يرعى وأوجب فوق ما يجب
ولو نقدت خلائقه لبهرج عنده الذهب

بلغ

٥٦ **مجلس آخر تأويل آية** إن سأل سائل عن قوله تعالى نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا فقال لم وحد نجوى وهو خبر عن جميع (خ جمع) وما معنى مسحور وما جرت عادة مشركي العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك بل عادتهم جارية بقرفه بأنه ساحر **الجواب** قلنا أما قوله تعالى وإذ هم نجوى فإن نجوى مصدر يوصف به الواحد والاثنان

والجمع والمؤنث والمذكر وهو مقصور على لفظه ويجري ذلك
مجرى قولهم الرجال صوم والمنازل حمد يعني بصوم صائمون
وبحمد محمودة وقال قوم إن معناه وإذ هم أصحاب نجوى فحذف
المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ويقال القوم نجي والقوم
أنجية فمن وحد بنى على مذهب المصدر ومن جمعه جعله منقولا عن جمع صح
المصادر ملحقا برغيف وأرغفة وما أشبه ذلك وقد قال
الشاعر في التوحيد

أتاني نجي بعد هدء ورقدة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب

وأنشد الفراء في الجمع

ظلت نساؤهم والقوم أنجية يعدى عليها كما يعدى على الغنم

فأما قوله تعالى إلا رجلا مسحورا ففيه وجوه أولها أن يكون المراد
إن تتبعون إلا رجلا متغير العقل لأن المشركين كان من مذهبهم عيب
النبي صلى الله عليه وآله وتضعيف أمره وتوهين رأيه فكانوا في وقت ينسبونه

إلى أنه ساحر وفي آخر يرمونه بالجنون وأنه مسحور متغير العقل وربما
قذفوه بأنه شاعر حوشي من ذلك وقد جرت عادة الناس أن كله صح
يصفوا من يضيفونه إلى البله والغفلة وقلة التحصيل بأنه مسحور
وثانيها أن يريدوا بالمسحور المخدوع المعلل لأن ذلك أحد ما
تستعمل فيه هذه اللفظة قال امرؤ القيس

أرانا موضعين لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراب

وقال أمية بن أبي الصلت

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر

وثالثها أن السحر في لغة العرب الرئة وما تعلق بها وفيها ثلاث
لغات سحر وسحر وسحر وقيل السحر ما لصق بالحلقوم والمريء
من أعلى الجوف وقيل إنه الكبد فكان المعنى على هذا إن تتبعون إلا
رجلا ذا سحر خلقه الله بشرا كخلقكم ورابعها أن يكون
معنى مسحور أي ساحر وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل قال الله تعالى

وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة
حجابا مستورا أي ساترا والعرب تقول للعطشان ملفج ومعناه
ملفج لأن ماضيه ألفج فجاء بلفظ المفعول وهو الفاعل ه
ومن ذلك قولهم فلان مشؤوم على فلان وميمون وهم يريدون
شائم له ويامن لأنه من شأمهم ويمنهم ورأيت بعض العلماء يطعن
على هذا الاستشهاد الآخر فيقول العرب لا تعرف فلان مشؤوم
على فلان وإنما هذا من كلام أهل الأمصار وإنما تسمي العرب
من لحقه الشؤم مشؤوما قال علقمة بن عبدة

ومن تعرض للغربان يزجرها على سلامته لا بد مشؤوم

والوجوه الثلاثة الأول أشبه وأوضح ه ومما تختار لمروان
ابن أبي حفصة قوله من قصيدة يمدح بها معن بن زائدة
الشيباني أولها

أرى القلب أمسى بالأوانس مولعا وإن كان من عهد الصبي قد تمنعا

قال رحمه الله

يقول فيها

ولما سرى الهم الغريب قريته قرى من أزال الشك عنه وأزمعا
عزمت فعجلت الرحيل ولم أكن كذي لوثة لا يطلع الهم مطلعا
فأمت ركابي أرض معن ولم تزل إلى أرض معن حيث ما كان نزعا
نجائب لولا أنها سخرت لنا أبت عزة من جهلها أن توزعا
كسونا رحال الميس منها غواربا تدارك فيها الني صيفا ومربعا
فما بلغت صنعا حتى تواضعت ذراها وزال الجهل عنها وأقلعا

يقول فيها

وما الغيث إذ عم البلاد بصوبه على الناس من معروف معن بأوسعا
تدارك معن قبة الدين بعدما خشينا على أوتادها أن تنزعا
أقام على الثغر المخوف وهاشم تساقي سماما بالأسنة منقعا
مقام امرئ يأبى سوى الخطة التي تكون لذي غب الأحاديث أرفعا
وما أحجم الأعداء عنك بقية عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
رأوا مخدرا قد جربوه وعاينوا الذي غاله منهم مجرا ومصرعا

اللوثة الضعف وقيل الاختلاط في العقل ه

أي تقسم بين ملاكها ومن جهلها أي من نفحها وتسلمها ه

الني الشحم ه

خ تقلعا

وليس بثانيه اذا شد ان يرى لدى نجره زرق الأسنة شرعا

له راختار الحتف والعيش فيهما أبى الله الا أن تضر او تنفعا

لقد دوخ الأعدا امعن فاصبحوا وأمنعهم لا يدفع الذل مدفعا

نجيب مناجيب وسيد سادة ذرى المجد من فرعى نزار تفرعا

لبانت خصال الخير فيه وأكملت وما كملت خمسا سنوه واربعا

لقد اصبحت في كل شرق ومغرب بسيفك اعناق المريبين خضعا

وطئت خدود الخضرميين وطاة لها هد ركنا عزهم فتضعضعا

فاقعوا على الاذناب اقعا معشر يرون لزوم السلم ابقى واودعا

فلو مدت الأيدي الى الحرب كلها لكفوا وما مدوا الى الحرب اصبعا

أما قوله — فما بلغت صنعا اخي تواضعت ذراها وزال الجهل عنها واقلعا

فقد رده في موضع آخر فقال

فما بلغت حتى حماها كلالها اذا عريت أصلابها ان تقيدا

وهذا المعنى كثير في الشعر القديم والمحدث فمنه قول جرير

اذا بلغوا المنازل لم تقيد وفي طول الكلال لها قيود

وروي أنه قيل لنصيب لك بيت نازعك فيه جرير أيهما فيه أشعر فقال

ما هو فقيل قولك

اضر بها التهجير حتى كأنها بقايا سلال لم يدعها سلالها

وانشد بنت جرير الذي تقدم فقال قاتل الله ابن الخطفى فقيل

له فقد فضله عليك فقال هو ذاك وأخذ هذا المعنى المؤمل بن أميل

المحاربي فقال

كانت تقيد حين تنزل منزلا فاليوم صار لها الكلال قيودا

ولأبي نخيلة

قيدها الجهد ولم تقيد فهي سوام كالقنى المسند

وما لها معلل من مرقد منها ولا من شاحط مستبعد

ومعنى قوله سوام أي رافعة رؤوسها وشبهها بالقنى لان القنى اذا

ركز مال قليلا مع الريح فيقول في أعناقها ميل من الضعف كما قال الشماخ

[illegible]

بمثوى حرام والمطي كانه قنا مسند هبت لهن خريق

فالخريق ريح شديدة تخترق من كل جهة ومعنى قول ابي نخيلة من مروه

اي من مهلة تجترها من الاجترار واراد انه لا شي في اجوافها فتعلل به

والمستبعد ما بعد من المرعى وانشد ابو العباس ثعلب

اذا بلغوا المنازل لم تقيد ركابهم ولم تشدد بعقل

فمن مقيدات مطلقات تقضم ما تشذب في المحل

والاصل في هذا قول امرئ القيس

ومجر كغلان الانيعم بالغ ديار العدو ذي زهاء واركان

مطوت بهم حتى تكل مطيهم وحتى الجياد ما يقدن بارسان

ولعباد بن انف الكلب الصيداوي

فنمسي لا اقيدها بحبل بها طول الهزاوة والكلال

ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الابل

بدانا بها من سيف رمل كهيلة وفيها نشاط من مراح وعجرف

فما بلغت حتى تقارب خطوها وبادت ذراها والمناسم رعف

وحتى قتلنا الجهل عنها وغودرت اذا ما اينخت والمدامع ذرف

وحتى مشى الحادي البطي يسوقها لها بخص دام وداي مجلف

البخص لحم الخف الذي تطا عليه والداي فقار الظهر والمجلف المقشور

وحتى نعشاها وما في يدلها اذا حل عنها رمة وهي رسف

الرمة الحبل واراد انها ترسف كما يرسف المقيد وان لم يكن في يديها قيد

اذا ما نزلنا فاتلت عن ظهورها جراجيح امثال الاهلة تشسف

الجراجيح الطوال من الابل والتشسف اليابسة من الجهد والكلال

ومعنى قتالها للغربان لانها اذا عريت ظهورها تقع الغربان عليها

لتاكل دبرها فالابل تدفع الغربان بافواهها عن ظهورها وذلك قتالها

اذا ما اريناها الازمة اقبلت الينا بحراب الخدود تصدف

فافني مراح الداعرية خوضها بنا الليل اذ نام الدثور الملفف

ومن احسن ما قيل في وصف الابل بالنحول والجهد بعد السمن قول الشاعر

وذات مآبين قد غبضت جمتهما بحيث تستمسك الأرواح بالحجر

ردت عواري غيطان الفلا وحنت بمثل إبالة من حابل العشر

قوله ذات مآبين يعني سمنا على سمن وقيل يعني أنها رعت كلأ عامين وقوله قد غبضت جمتهما يعني أنه أتعبها بالسير حتى ردها هزيلا بعد سمن فكأنه غيض بذلك أعامهما ومعنى بحيث تستمسك الأرواح بالحجر يعني الفلاة حيث لا يكون ماء فيقسم الركب الماء الذي معهم بالحجر الذي يقال له المقلة فيمسك أرماقهم وقوله ردت عواري غيطان الفلا أي ما رعت من كلأ هذه الأماكن وسمنت عنه كان كعارية عندها فردته حيث جهدها السير وأهزلها والإبالة الحزمة من الحطب اليابس وأخذ هذا المعنى بعينه أبو تمام فقال

رعته الفيافي بعد ما كان حقبة رعاها وماء المزن ينهل ساكبه

فكم جزع واد جب ذروة غارب ومن قبل كانت أتمكته مذانبه

فأما قوله فما أحجم الأعداء عنك بقية عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا

فمأخوذ من قول الأول (خ الآخر)

فما بقيا علي تركتماني ولكن خفتما صرد النبال

هذا البيت للعين المنقري يخاطب جريرا والفرزدق يقال صرد السهم يصرد صردا إذا نفذ وإذا نكل فهو من الأضداد فيكون المعنى على النفوذ إلا خفتما نفوذ سهامي فيكما أي هجائي وعلى معنى النكول خفتما أن لا تنفذ سهامها مكافي فتحجر تم عني والبقيا الشفقة والرحمة

وقريب منه قول الآخر

لعمرك ما الناس أثنوا عليك ولا قرظوك ولا عظموا

ولو أنهم وجدوا مطعنا إلى أن يعيبوك ما أحجموا

فأنت بفضلك ألجأتهم إلى أن يجلوا وأن يعظموا

ومثله صح
أما لو رأى فيك العدو نقيصة لخب بتصريف العيوب وأوضعا

ولكنه لما رأى المبرأ من العيب غطى رأسه وتقنعا

ومثله قد طلب العاذل عيبا فما أصاب عيبا فانثنى عاذرا

وللبحتري في معنى قول مروان فما أحجم الأعداء عنك بقية من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاءه الأسد

غداة لقيت الليث والليث خادر يحدد نابا للقاء ومخلبا

شهدت لقد أنصفته يوم تنبري له مصلتا عضبا من البيض مقضبا

خ نكبا

فلم أر ضرغاماً أصدق منكما عراكاً إذا الهيابة النكس كذبا

أي كذب نفسه فيما كان ادعى أو كذب الظن فيه ه

هزبر مشى يبغي هزبراً وأغلب من القوم يغشى باسل الوجه أغلبا

أدل بشغب ثم هالته صولة رآك لها أمضى جناناً وأشغبا

فأحجم لما لم يجد فيك مطمعاً وأقدم لما لم يجد عنك مهربا

فلم يغنه أن كر نحوك مقبلاً ولم ينجه أن حاد عنك منكبا

حملت عليه السيف لا عزمك انثنى ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

وكنت متى تجمع يمينك تهتك الضريبة أو لا تبق للسيف مضربا

ومن صافي كلام مروان ورائقه ومما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ واطراد النسج قوله

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم أسود لها في غيل خفان أشبل

هم يمنعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السماكين منزل

لهاميم في الإسلام سادوا ولم يكن كأولهم في الجاهلية أول

هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

وما يستطيع الفاعلون فعالهم وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا

ثلاث بأمثال الجبال حباهم وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل

ومن جيد قوله من قصيدة يمدح بها معناً

ما من عدو يرى معناً بساحته إلا يظن المنايا تسبق القدرا

يلفى إذا الخيل لم تقدم فوارسها كالليث يزداد إقداماً إذا زجرا

أغر تحسب يوم الروع ذا لبد ورداً وتحسب فوق المنبر القمرا

وله من قصيدة يصف يوماً حاراً

ويوم عسول الآل حام كأنما لظى شمسه مشبوب نار تلهب

خ وكنها

نصبنا له منا الوجوه وكأنها عصائب أسمال بها نتعصب

ويشبه أن يكون أخذ ذلك من قول الشنفرى

ويوم من الشعرى يذوب لعابه أفاعيه في رمضائه تتململ

نصبت له وجهي ولا كن دونه ولا ستر إلا الأتحمي المرعبل

ولمروان من أبيات يصف فيها حليفة وهبها له المهدي في بكر

نخلها وشجرها أجاد فيها

نواضر عليا قد تدانت رؤوسها من النبت حتى ما يطير غرابها

ترى الباسقات الكم فيها كأنها ظعائن مضروب عليها قبابها

ترى بابها سهلا لكل مرفع اذا أينعت نخل فأغلق بابها

يكون لنا ما نجتني من ثمارها ربيعا اذا الآفاق قل سحابها

حظا بن لم يخلط بأثمانها الربى ولم يك من أخذ الربات اكتسابها

أي الخلفاء

ولكن عطا الله من كل مدحة جزيل من المستخلفين ثوابها

ومن ركضنا بالخيل في كل غارة خ بالخيل

جلال بأرض المشركين نهابها

حوت غنمها آباؤنا وجدودنا بصم العوالي والدماء خضابها

اما قوله حظا بن لم يخلط بأثمانها الربى ولم يك من اخذ الربات اكتسابها

فكان ابن المعتز نظر اليه في قوله

لنا ابل ما وفرتها دماؤنا ولا ذعرتها في الصباح الصوائح

خ الصوائح

وفي ضد هذا قول أبي تمام

كثرت فيهم المواشي الا أنها من مناكح وديات

خ المسارح

ومثل الأول قول حسان يحجوا قوما من قريش

وما لكم لا من طراد فوارس ولكن من الترقيح بآل مالك

اذا سكنت الياء من المواشي كان البيت مشعث العروض والتشعيث في العروض غير مألوف انما هو في الضرب الاول من الخفيف والتشعيث ان تقطع وتد فاعلاتن فتحذف الفه وتسكن لامه فيصير فاعلن فيصير مفعولن

بلغ المعارضه بالاصل

بلغ

مصر

مجلس آخر تأويل آية

ان سأل سائل عن معنى قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله وقوله تعالى ويبقى وجه ربك وما شاكل ذلك من الآي المتضمنة لذكر الوجه

الجواب قلنا الوجه في اللغة العربية ينقسم الى اقسام فالوجه المعروف المركب فيه العينان من كل حيوان والوجه أيضا أول الشيء وصدره ومن ذلك قوله تعالى وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره أي أول النهار ومنه قول الربيع بن زياد

من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

خ نسا حسر

أي غداة كل يوم وقال قوم وجه نهار موضع والوجه القصد بالفعل

من ذلك قوله تعالى ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن معناه من قصد
بامره وفعله الى الله سبحانه واراده بهما وكذلك قوله تعالى ومن احسن
دينا ممن اسلم وجهه لله وقال الفرزدق

واسلمت وجهي حين شدت ركائبي الى آل مروان بناة المكارم

اي جعلت قصدي واراداتي لهم وانشد الفراء

استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل

اي القصد ومنه قولهم في الصلوة وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض اي قصدت قصدي بصلوتي وعملي وكذلك قوله تعالى فاقم وجهك
للدين والوجه الاحتيال للامر من قولهم كيف الوجه لهذا الامر وما
الوجه فيه اي ما الحيلة والوجه المذهب والجهة والناحية قال
حمزة بن بيض الحنفي

اي الوجوه انتجعت قلت لها لاي وجه الا الى الحكم
متى يقل صاحبا سرادقه هذا ابن بيض بالباب يبتسم

والوجه القدر والمنزلة ومنه قولهم لفلان وجه عريض وفلان اوجه
من فلان اي اعظم قدرا وجاها ويقال اوجهه السلطان اذا جعل له
جاها فقال امرؤ القيس

ونادمت قيصر في ملكه فاوجهني وركبت البريدا

والوجه الرئيس المنظور اليه يقال فلان وجه القوم وهو وجه عشيرته
ووجه الشيء ايضا نفسه وذاته قال ابن احمر بن جندل السعدي

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة فافلت منها وجهه عند نهد

اراد افلته ونجاه ومنه قولهم انما افعل ذلك لوجهك وفي يدل ايضا على
ان الوجه يعبر به عن الذات قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة وقوله تعالى
وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية لان جميع ما اضيف الى الوجوه
في ظاهر الاي من النظر والظن والرضى لا يصح اضافته في الحقيقة
اليها وانما يضاف الى الجملة فمعنى قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه

أي كل شيء هالك الا هو وكذلك قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى
وجه ربك ذو الجلال والاكرام لما كان المراد بالوجه نفسه لم يقل
ذي الجلال كما قال تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام لما كان اسمه
غيره ويمكن في قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وجه آخر قد روي
عن بعض المتقدمين وهو ان يكون المراد بالوجه ما يقصد به الى الله تعالى
ويتوجه نحو القربة اليه جلت عظمته فيقول لا تشرك بالله ولا تدع
الها غيره فان كل فعل يتقرب به الى غيره ويقصد به سواه فهو هالك
باطل وكيف يجوز للمشبهة ان تحمل هذه الآية والتي قبلها على الظاهر
أوليس ذلك يوجب انه تعالى يفنى ويبقى وجهه وهذا كفر وجهل من
قائله فاما قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله وقوله الا ابتغاء وجه
ربه الاعلى وقوله وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فمحصوله ان هذه
الافعال مفعولة له ومقصودها ثوابه والقربة اليه والزلفة عنده
فاما قوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله فيحتمل ان يراد به فثم الله لا

على معنى الحلول لكن على معنى التدبير والعلم ويحتمل ان يراد به
فثم رضا الله وثوابه والقربة اليه ويحتمل ان يراد بالوجه الجهة
وتكون الاضافة بمعنى الملك والخلق والانشاء والاحداث لانه
عز وجل قال ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله
أي ان الجهات كلها لله تعالى وتحت ملكه وهذا واضح بين بحمد الله
أخبرني ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي
قال كنا مع المكتفي بالله في آخر سفرة سافرها للصيد من
الموضع المعروف بخنة الى تكريت في حراقة فكانت تجنح كثيرا
فيشتد فزع من معه من الجلساء لذلك وكنت اشدهم فزعا وكان
في الحراقة سوى من الجلساء يحيى بن علي المنجم ومنوح بن محمود بن
مروان والقسم المعروف بابن حبابة فكان يضحك لفزعنا ويقول
لقد قسم الله لكم حظا من الشجاعة جزيلا فقلت له ان البحتري
يقول شعرا يصف فيه مثل حالنا ويمدح به احمد بن دينار بن عبد الله

وقد غزا الروم في مراكب أوله

ألم تر تغليس الربيع المبكر وما حاك من وشي الرياض المنشر

فقال أنشدني الموضع الذي ذكر هذا فيه منها وكان جيد العلم
بالأشعار حافظاً للأخبار فأنشدته

غدون على الميمون صبحاً وإنما غدا المركب الميمون تحت المظفر
إذا زمجر النوتي فوق علاته رأيت خطيباً في ذؤابة منبر
يغضون دون الاشتيام عيونهم وفوق السماط للعظيم المؤمر
إذا ما علت فيه الجنوب اعتلى له جناحا عقاب في السماء مهجر
إذا ما انكفا في هبوة الماء خلته تلفع في أثناء برد محبر
وحولك ركابون للهول عاقروا كؤوس الردى من دارعين وحسر
تميل المنايا حيث مالت أكفهم إذا أصلتوا حد الحديد المذكر
إذا رشقوا بالنار لم يك رشقهم ليقلع إلا عن شواء مقتر
صدمت بهم صهب العثانين دونهم ضراب كإيقاد اللظى المتسعر

يسوقون أسطولاً كأن سفينه سحائب صيف من جهام وممطر
كأن ضجيج البحر بين رماحهم إذا اختلفت ترجيع عود مجرجر
تقارب من زحفيهم فكأنما تؤلف من أعناق وحش منفر
فما رمت حتى أجلت الحرب عن طلى مقصصة فيهم وهام مطير
على حين لا نقع تطوحه الصبا ولا أرض تلفى للصريع المقطر
وكنت ابن كسرى قبل ذاك وبعده ملياً بأن توهي صفاة ابن قيصر
جرحت له الموت الذعاف فعافه وطار على ألواح شطب مسمر
مضى وهو مولى الريح يشكر فضلها عليه ومن يول الصنيعة يشكر

قال فاستجاد المكتفي قوله على حين لا نقع تطوحه الصبا فقال يحيى بن
علي يحيى أنشدني ابن الرومي شعراً له في هذا المعنى منه

ولم أتعلم قط من ذي سباحة سوى الغوص والمصعوق غير مغالب
ولا ولو ألقيت فيها وصخرة لوافيت منها القعر أول راسب
وأيسر إشفاقي من الماء أنني أمر به في الكوز مر المجانب

وأخشى الردى منه على كل شارب ... فكيف بأمنيه على كل راكب

فقلت له إنما أخذ ابن الرومي بيته الثالث من قول أبي نواس فقال المكتفي
وما قال فقلت حدثني علي بن سراج المصري قال حدثني أبو وابل اللحجي قال
حدثني ابرهيم الخصيب قال وقف أبو نواس بمصر على النيل فرأى رجلا
قد اخذه التمساح فقال

أضمرت للنيل هجرانا ومقلية ... مذ قيل لي إنما التمساح في النيل
فمن رأى النيل رأي العين من كثب ... فما أرى النيل إلا في البواقيل

قال الصولي والبواقيل شقف صغار ثم أجرى المكتفي ذكر الشيب
فقال العرب تقول أظلم من شيب وظلمني الشيب وقد شبت يا صولي فقلت جواب
عبدك في هذا جواب معن بن زائدة الشيباني لجدك المنصور وقد قال له
كبرت يا معن فقال في طاعتك يا أمير المؤمنين قال وإنك لتتجلد قال على
أعدائك قال وفيك بقية قال لخدمتك فنزع المكتفي عمامته فاذا شيبتان
في مقدم رأسه فقال لقد غمني طلوع هاتين الشيبتين فقلت إنما يعيش

الناس في الشيب فأما السواد فلا يصحب الناس خالصا أكثر من أربعين
سنة إلى الخمسين وقد يعاش في البياض الذي لا سواد فيه ثمانون سنة
فأنشد يحيى بن علي المنجم في معنى طول العمر مع الشيب قول امرئ القيس

ألا إن بعد العدم للمرء قنوة ... وبعد المشيب طول عمر وملبسا

وانشدته أيضا أبياتا أنشدها إسحق بن ابرهيم الموصلي لبعض القيسيين

لم ينتقص مني المشيب قلامة ... الآن حين بدا ألب وأكيس
والشيب إن يظهر فإن وراءه ... عمرا يكون خلاله متنفس

قال سيدنا رضي الله عنه أما قول البحتري مضى وهو مولى الريح فقد
كرر معناه في قوله من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغري

أشلى على منويل أطراف القنا ... فنجا عتيق عتيقة جرداء
ولو أنه أبطى لهن هنيهة ... لصدرن عنه وهن غير ظماء
فلئن تبقاه القضاء لوقته ... فلقد عمت جنوده بفناء

وأظنه أخذ هذا المعنى من أبي تمام من قوله في قصيدة يمدح بها المعتصم

ويذكر فتح الخرمية

لولا الظلام وقلة علقوا بها باتت رقابهم بغير قلال
فليشكروا جنح الظلام ودروذا فهم لدروذ والظلام موال

وقد أخطأ الصولي في تفسير بيت أبي نواس بأن البواقيل سفن صغار معروفة عم
لأن البواقيل جمع بوقال وهو آلة على هيئة الكوز تعمل من الزجاج وغيره
وهذا مثل قول ابن الرومي   أمر به في الكوز مر المجانب   وإنما
أراد أنني لا أمر بماء النيل إلا إذا أردت شربه في كوز أو بوقال
وأظن الصولي استمر عليه الوهم من جهة قوله فما أرى النيل وصرف
ذلك أنه أراد النيل على الحقيقة وإنما أراد ماء النيل وما علمت أن السفن
الصغار تسمى بواقيل إلا من قول الصولي هذا ولو كان ما ذكره صحيحا
من أن ذلك اسم لصغار السفن لكان بيت أبي نواس بما ذكرناه أشبه وأليق
وأدخل في معنى الشعر وكيف تدخل الشبهة في ذلك مع قوله

فمن رأى النيل رأي العين من كثب   ومن رأى النيل في السفن

فقد رآه من كثب ومن رأى ماءه في الآنية على بعد لا يكون رائيا له من
كثب م فأما مدح الشيب وتفضيله على الشباب فقد قال فيه الناس
فأكثروا فمما تقدم من ذلك قول رؤبة بن العجاج ويقال إن رؤبة
لم يقل من القصيد إلا هذين البيتين

أيها الشامت المعير بالشيب أقلن بالشباب افتخارا
قد لبست الشباب غضا جديدا فوجدت الشباب ثوبا معارا

ولعلي بن جبلة

جفا طرب الفتيان وهو طروب وأعقبه قرب الشباب مشيب
تجافت عيون البيض عنه وربما مددن إليه الوصل وهو حبيب
لعمري لنعم الصاحب الشيب واعظا وإن كان عنه للعيون نكوب
خليط نهى منتاب حلم وإنه على ذاك المكروه الخلاط مريب

وتنكرت شيبي فقلت لها ليس المشيب بناقص عمري
سيان شيبي والشباب إذا ما كنت من عمري على قدر

ولآخر

إن أكن قد رزيت أسود كالفحم وأعقبت مثل لون الثغامه

فلقد أسعف الكريم وأجنوا أهله بالندى وأبى الظلامه

غير أن الشباب كان رداءً أخانا فيه كفي الغمامه

ولآخر

إن المشيب رداء الحلم والأدب كما الشباب رداء الجهل واللعب

تعجبت أن رأت شيبي فقلت لها لا تعجبي من يطل عمر به يشب

ولابن الجهم

حسرت عني القناع ظلوم وتولت ودمعها مسجوم

أنكرت ما رأت برأسي فقالت أمشيب أم لؤلؤ منظوم

قلت شيب وليس عيباً فأنت أنه يستثيرها الهموم

شد ما أنكرت تصرم عهد لم يدم لي وأي شيء يدوم

ولأبي هفان

تعجبت درّ من شيبي فقلت لها لا تعجبي فطلوع الشمس في السدف

فزادها عجباً لما أن رأت سملي وما درت درّ أن الدر في الصدف

وقد أحسن أبو تمام غاية الإحسان في قوله

أبدت أسى أن رأتني مخلس القصب وآل ما كان من عجب إلى عجب

ست وعشرون تدعوني فأتبعها إلى المشيب ولم تظلم ولم تحب

فلا يؤرقك إيماض القتير به فإن ذاك ابتسام الرأي والأدب

وللبحتري

عيرتني بالشيب وهي بدته في عذاري بالصد والاجتناب

لا تريه عاراً فما هو بالشيب ولكنه جلاء الشباب

وبياض البازي أصدق حسناً إن تأملت من سواد الغراب

ها هو الشيب لائماً فأفيقي واتركيه إن كان غير مفيق

فلقد كف من عناء المعنى وتلافى من اشتياق المشوق

عذلتنا في عشقها أم عمرو هل سمعتم بالعاذل المعشوق

ورأت لمّةً ألمّ بها الشيب فريعت من ظلمةٍ في شروقِ

ولعمري لولا الأقاحي لأبصرت أنيق الرياض غير أنيقِ

وسواد العيون لو لم يُحلَّ ببياضٍ ما كان بالموموقِ

ومزاج الصهباء بالماء أملى بصبوحٍ مستحسنٍ وغبوقِ

أيّ ليلٍ يبهى بغير نجومٍ أو سماءٍ تندى بغير بروقِ

ويشبه أن يكون أخذ قوله أيّ ليلٍ يبهى بغير نجومٍ من قول الشاعر

أشيب ولم أقض الشباب حقوقه ولم يمض من عهد الشباب قديم

رأت وضحًا في مفرق الرأس راعها وشتّان بيضٌ به وبهيم

تفاريق شيبٍ في الشباب لوامعٌ وما حسن ليلٍ ليس فيه نجوم

ولمحمد الورّاق مثل هذا المعنى وهو قوله

ما الدرّ منظومًا بأحسن من شيبٍ يحلّ هامة الكهلِ

وكأنّه فيها النجوم إذا أجدّ المسير بها على مهلِ

لا تبكينّ على الشباب إذا بكى الجهول عليه للجهلِ

واشكر لشيبك حسن صحبته فلقد كساك جلالة الفضلِ

وللبحتري في مدح الشيب

لا يرعك المشيب يا ابنة عبد الله فالشيب حليةٌ ووقارُ

إنما تحسن الرياض إذا ما ضحكت في خلالها الأنوارُ

ولي في هذا المعنى من قصيدة

جزعت للوخطات المشيب وإنما بلغ الشباب مدى الكمال فنوّرا

والشيب إن فكّرت فيه موردٌ لا بدّ يورده الفتى إن عمّرا

يبيضّ بعد سواده الشعر الذي إن لم يزره الشيب واراه الثرى

وممن عدل بين الشيب والشباب ومدح كلّ واحدٍ منهما طريح بن إسمعيل فقال

والشيب للحلماء من سفه الصبي بدلٌ يكون لذي الفضيلة مقنع (خ لذي، خ لأهل الفضيلة)

والشيب غاية من تأخّر حينه لا يستطيع دفاعه من يجزع

إنّ الشباب له لذاذة جدّةٍ والشيب منه إلى المغبّة أنفع (خ في)

لا يبعد الله الشباب ومرحبا بالشيب حين أوى اليه المرجع

ومثله لآخر

وكان الشباب الغض لي فيه لذة فوقرني عنه المشيب وأدبا

فسقيا ورعيا للشباب الذي مضى وأهلا وسهلا بالمشيب ومرحبا

بلغ المعارضة بالاصل

مجلس آخر تأويل آية ان سأل سائل عن

قوله تعالى وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة

الداعي إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون

فقال كيف ضمن الإجابة وتكفل بها وقد نرى من يدعو فلا يجاب

الجواب قلنا في ذلك وجوه أولها أن يكون

المراد بقوله تعالى أجيب دعوة الداعي أي أسمع دعوته ولهذا

يقال للرجل دعوت من لا يجيب أي دعوت من لا يسمع وقد يكون

أيضا يسمع بمعنى يجيب كما كان يجيب بمعنى يسمع يقال سمع الله لمن

حمده يراد به أجاب الله من حمده وأنشد ابن الأعرابي

دعوت الله حتى خفت أن لا يكون الله يسمع ما أقول

أراد يجيب ما أقول وثانيها أنه تعالى لم يرد بقوله قريب

من قرب المسافة بل أراد أنني قريب بإجابتي ونعمتي أو لعلمي بما يأتي ومعونتي صح

العبد ويذر وما يسر ويجهر تشبيها بقرب المسافة لأن من

قرب من غيره عرف أحواله ولم تخف عليه ويكون قوله أجيب على

هذا تأكيدا للقرب فكأنه أراد أنني قريب قربا شديدا وأنني بحيث

لا تخفى علي أحوال العباد كما يقول القائل إذا وصف نفسه بالقرب

من صاحبه والعلم بحاله أنا بحيث أسمع كلامك وأجيب نداك وما

يجري هذا المجرى وقد روي أن قوما سألوا الرسول صلى الله عليه وآله

فقالوا أربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله تعالى له صح

الآية إني أجيب دعوة الداعي إذا دعاني على الوجه الصحيح

وبالشرط الذي يجب أن يقارن الدعاء وهو أن يدعو باشتراط

المصلحة ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل حال ومن دعا بهذا

الشرط فهو مجاب على كل حال لأنه ان كان صلاحا فعل ما دعا لأنه ربما
به وان لم يكن صلاحا فقد شرط دعائه فهو أيضا مجاب الى
دعائه ۞ ورابعها أن يكون معنى دعاني أي عبدني ويكون
الاجابة هي الثواب والجزاء على ذلك فكأنه قال اني أثيب العباد
على دعائهم لي وهذا مما لا اختصاص فيه وخامسها ما قاله قوم
من أن معنى الآية هو أن العبد اذا سأل الله تعالى شيئا في اعطائه
صلاح فعله به وأجابه اليه وان لم يكن في اعطائه اياه في الدنيا صلاح
وخيرة لم يعطه ذلك في الدنيا وأعطاه اياه في الآخرة فهو مجيب
لدعائه على كل حال ۞ وسادسها أنه تعالى اذا دعاه العبد لم
يخل من أحد أمرين اما أن يجاب دعاؤه واما أن يختار له بصرفه عما
سأل ودعا فيحسن اختيار الله تعالى له يقوم مقام الاجابة فكأنه
مجاب على كل حال وهذا الجواب يضعف لأن العبد ربما سأل ما
فيه صلاح ومنفعة له في الدنيا وان كان فيه فساد في الدين لغيره

فلا يعطي ذلك لا لأمر يرجع اليه لكن لما فيه من فساد غيره فكيف
يكون مجابا مع المنع الذي لا يرجع اليه منه شيء من الصلاح اللهم
الا أن يقال انه دعاء مشروط بأن يكون صلاحا ولا يكون فسادا
وهذا مما تقدم ۞ ومعنى فليستجيبوا لي أي فليجيبوني وليصدقوا
رسلي قال الشاعر

وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

أي لم يجبه ۞ قال سيدنا رضي الله عنه واذا كنا قد ذكرنا في
المجالس المتقدمة لهذا المجلس طرفا من الشعر في تفضيل الشيب
وتقديمه والتعزي عنه والتسلي عن نزوله فنحن نتبعه بطرف
مما قيل في ذمه والتألم به والجزع منه فمن ذلك قول أبي حية النميري

ترحل بالشباب الشيب عنا فليت الشيب كان به الرحيل
وقد كان الشباب لنا خليلا فقد قضى مآربه الخليل
لعمر أبي الشباب لقد تولى حميدا ما يراد به بديل

إذا الأيام مقبلة علينا وظل زراكة الدنيا ظليل

وقال الفرزدق

أرى الدهر أيام المشيب أمرّة علينا وأيام الشباب أطايبه

وفي الشيب لذات وقرة أعين ومن قبله عيش تعلل جادبه

إذا نازل الشيب الشباب فأصلتا بسيفيهما فالشيب لا بد غالبه

فيا خير مهزوم ويا شر هازم إذا الشيب وافت للشباب كتائبه

وليس شباب بعد شيب براجع يد الدهر حتى يرجع الدر حالبه

وما المرء منفوعا بتجريب واعظ إذا لم تعظه نفسه وتجاربه

وأنشد إسحق الموصلي

لعمري لئن حليت عن منهل الصبا لقد كنت ورّادا لمشربه العذب

ليالي أمشي بين بردي لاهيا أميس كغصن البانة الناعم الرطب

سلام على سير القلاص مع الركب ووصل الغواني والمدامة والشرب

سلام امرئ لم تبق منه بقية سوى منظر العينين أو شهوة القلب

وللمنصور النمري

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع إذا ذكرت شبابا ليس يرتجع

بان الشباب وفاتتني بشرته صروف دهر وأيام لها خدع

ما كنت أوفي شبابي كنه شرته حتى مضى فإذا الدنيا له تبع

ولمحمد بن خازم

عهد الشباب لقد أبقيت لي حزنا ما جد ذكرك إلا جد لي ثكل

سقيا ورعيا لأيام الشباب وإن لم يبق منك له رسم ولا طلل

جر الزمان ذيولا في مفارقه وللزمان على إحسانه علل

وربما جر أذيال الصبي مرحا وبين برديه غصن ناعم خضل

لا تكذبن فما الدنيا بأجمعها من الشباب بيوم واحد بدل

كفاك بالشيب ذنبا عند غانية وبالشباب شفيعا أيها الرجل

ولأبي نواس

كان الشباب مطية الجهل ومحسن الضحكات والهزل

كأن الجميل إذا ارتديت به ومشيت أخطر صيّت النعل
كأن البليغ إذا نطقت به وأصاخت الآذان للمملي
كأن المشفّع في مآربه عند الحسان ومدرك النبل
والباعثي والناس قد رقدوا حتى أتيت خليفة البعل
والآمري حتى إذا عزمت نفسي أعان يديّ بالفعل
فالآن صرت إلى مقاربة وحططت عن ظهر الصبي رحلي

قال رحمه الله وعلى هذا الكلام طلاوة ومسحة من أعرابية لبستها الغيرة ولبشار بن برد

الشيب كره وكره أن يفارقني أعجب بشيء على البغضاء مودود
يمضي الشباب ويأتي بعده خلف والشيب يذهب مفقوداً بمفقود

وهذا البيت الأخير يروى لمسلم بن الوليد الأنصاري ومما أحسن فيه مسلم قوله في هذا المعنى

طرفت عيون الغانيات وربما أملن إلى الطرف كل مميل
وما الشيب إلا شعرة غير أنه قليل قذاة العين غير قليل

وله

أهلاً بوافدة للشيب واحدة وإن نزت الشخص غير مودود
لا أجمع الحلم والصهباء قد سكنت نفسي إلى الماء عن ماء العناقيد
لم ينهني كبر عنها ولا فند لكن صحوت وغصني غير مخضود
أوفى بي الحلم واقتاد النهى طلقاً شأوي وعفت الصبى من غير تفنيد

ولقد أحسن دعبل في قوله يصف الشباب والشيب

كأن كحلاً لمآقيها فقد صار بالشيب لعينيها قذا

ولغيره

رأت طالعاً للشيب أغفلت أمره ولم تتعاهده أكف الخواضب (خ تتعهده)
فقالت أشيب ما أرى قلت شامة فقالت لقد شانتك بين الحبائب (خ شانتك عنده)

ولمحمود الوراق ويروى لمحمد بن حازم

أليس عجيباً بأن الفتى يصاب ببعض الذي في يديه
فمن بين باك له موجع وبين معز مغذ إليه
ويسلبه الشيب شرخ الشباب فليس يعزيه خلق عليه

ولأبي دلف

في كل يوم أرى بيضاء طالعة كأنما طلعت في أسود البصر
لئن قصصتك بالمقراض عن بصري لما قصصتك عن همي وعن فكري

وليحيى خالد بن برمك ويروى لغيره

الليل شيب والنهار كلاهما رأسي بكثرة ما تدور رحاهما
ينتاهبان نفوسنا ودماءنا ولحومنا عمداً ونحن نراهما
الشيب إحدى الميتتين تقدمت أولاهما وتأخرت أخراهما

وقد أتى الفحلان المبرزان أبو تمام وأبو عبادة في هذا المعنى بكل غريب عجيب فمن ذلك قول أبي تمام

غدا الهم مختطاً بفوديّ خطة طريق الردى منها إلى الموت مهيع
هو الزور يجفى والمعاشر يجتوى وذو الإلف يقلى والجديد يرقع
له منظر في العين أبيض ناصع ولكنه في القلب أسود أسفع
ونحن نزجيه على الكره والرضى وأنف الفتى من وجهه وهو أجدع
نزجيه نسوقه

وله شعلة في المفارق أستودعتني في صميم الفؤاد ثكلاً صميما
(margin: الصميم في منها الشعلة ?)
تستثير الهموم ما اكتن منها صعداً وهي تستثير الهموما
غرة مرة ألا إنما كنت أغراً أيام كنت بهيما
دقة في الحياة تدعى جلالاً مثل ما سمي اللديغ سليما
حلمتني زعمتم وأراني قبل هذا التحليم كنت حليما

وله أيضا

لعب الشيب بالمفارق بل جد فأبكى تماضراً ولعوبا
خضبت خدها إلى لؤلؤ العقد دماً أن رأت شواتي خضيبا
كل داء يرجى الدواء له إلا الفظيعين ميتة ومشيبا
يا نسيب الثغام ذنبك أبقى حسناتي عند الحسان ذنوبا
ولئن عبن ما رأين لقد أنكرن مستنكراً وعبن معيبا
أو تصدّ عن عن قلى لكفى بالشيب بيني وبينهن حسيبا
لو رأى الله أن في الشيب فضلاً جاورته الأبرار في الخلد شيبا
خ المشيب

قال سيدنا رضي الله عنه وجدت الآمدي يذكر أن قوما ادعوا
المناقضة على أبي تمام في هذه الأبيات لقوله فأبكي تماضر ولعوبا
وقوله يا نسيب الثغام ذنبك أبقى حسناتي عند الحسان ذنوبا
وقوله ولئن عبن ما رأين لقد أنكرن مستنكرا قالوا كيف يبكين
دما على شيبه ثم يعبنه قال الآمدي وليس هذا بتناقض
لأن الشيب إنما أبكى تماضر ولعوبا أسفا على شبابه والحسان
اللواتي عبنه غيرهما من المرأتين فيكون من أشفق عليه من الشيب
منهن وأسف على شبابه بكى كما قال الأخطل

لما رأت بدل الشباب بكت له إن المشيب لأرذل الأبدال

واضح صح

ولم تكن هذه حال من عابه قال وهذا مستقيم صحيح قال سيدنا
رضي الله عنه وليس يحتاج في الاعتذار لأبي تمام إلى ما تكلفه الآمدي
بل المناقضة زائلة عنه على كل حال وإن كان من بكى شبابه وتلهف
عليه من النساء هن اللواتي أنكرن شيبه وعبنه به وما المنكر

من ذلك وكيف يتناقض أن يبكين على شبابه ونزول شيبه منهن
من رأين الشيب ذنبا وعيبا منكرا وفي هذا غاية المطابقة
لأنه لا يبكي الشيب ويجزع من حلوله وفراق الشباب إلا من رآه
منكرا معيبا وقال أبو تمام

راحت غواني الحي عنك غوانيا يلبسن نأيا تارة وصدودا
من كل سابغة الشباب إذا بدت تركت عميد القريتين عميدا
أربين بالمرد الغطارف بدنا غيدا ألفتهم لداتنا غيدا
أحلى الرجال من النساء مواقعا من كان أشبههم بهن خدودا

قوله أربين بالمرد من أرب بالشيء إذا لزمه وأقام عليه يقال أرب
وألب بالمكان إذا لزمه يريد أنهن لزمن هوى المرد وأقمن عليهم
ورواه قوم أربين بالمرد من الربا الذي معناه الزيادة يقال قد أربى
الرجل إذا ازداد (خ زاد) فيقول أربين بالمرد أي ازددن علينا بهم وجعلن
المرد زيادة أخذنها علينا ويقال إنه أخذ قوله أحلى الرجال من النساء

مواقعها البيت من قول الأعشى

وأرى الغواني لا يواصلن امرأ فقد الشباب وقد يصلن الأمردا

ومنصور النمري مثله

كرهن من الشيب الذي لو رأينه بهن رأيت الطرف عنهن ازورا

ونحوه قول الآخر

كوقع شيبهن

أرى شيب الرجال من الغواني كوقع مشيبهن من الرجال

وقال أبو تمام

شاب رأسي وما رأيت مشيب الرأس إلا من فضل شيب الفؤاد

وكذاك القلوب في كل بؤس ونعيم طلائع الأجساد

طال إنكاري البياض وإن عمرت شيئا أنكرت لون السواد

زارني شخصه بطلعة ضيم عمرت مجلسي من العواد

نال رأسي من ثغرة الهم لما لم ينله من ثغرة الميلاد

ومعنى هذا البيت الأخير أن الثغرة الفرجة والثلمة تكون في الشي

بوجه

ولذلك سمي كل بلد يجاور عدوا ثغرا معناه أنه مكشوف للعدو ويجوز
أن يكون أصله من ثغر الإنسان لأنه أول ما يقابلك من أسنانه وأول
ما يظهر عند الكلام وأول ما يسقط فيرى ثلمة فأشبه البلد الذي
هو الثغر به ويقال اثغر الصبي واتغر وتسمى تلك الفرجة في موضع
السن ثغرة وفي كل موضع منفرج ومنه ثغرة النحر وأراد بقوله
نال رأسي من ثغرة الهم أي وجد الشيب الهم فرجة دخل على
رأسي منها لأن الهم يشيب لا محالة وقوله لما لم ينله من ثغرة
الميلاد أراد بثغرة الميلاد الوقت الذي يهجم عليه فيه الشيب من
عمره لأنه يجد السبيل في ذلك الوقت إلى الحلول برأسه فجعله
ثغرة من هذا الوجه وأراد أن الشيب حل برأسه من جهة همومه
وأحزانه لما لم يبلغ السن التي وجب حلوله به من جهة كبره قال رحمه الله
ورأيت الآمدي يطعن على قوله عمرت مجلسي من العواد ويقول
لا حقيقة لذلك المعنى لأنا ما رأينا ولا سمعنا أحدا جاءه عواد

يعودونه من المشيب ولا أحد أمرضه الشيب ولا عزاه المعزون
عن الشباب وهذا من الآمدي قلة نقد للشعر وضعف بصيرة
بدقيق معانيه التي يغوص عليها حذاق الشعراء ولم يرد أبو تمام
بقوله غمرت مجلسي من العواد العيادة الحقيقية التي يغشى فيها العواد
مجالس المرضى وذوي الأوجاع وإنما هذا استعارة وتشبيه وإشارة
إلى الغرض خفية وكأنه أراد أن شخص الشيب لما زارني كثر المتوجعون
لي والمتأسفون على شبابي والمفجعون من مفارقته فكأنهم في مجلسي عواد
لي لأن من شأن العايد للمريض أن يتوجع ويتفجع وكنى بقوله غمرت مجلسي من
العواد عن كثرة من تفجع له وتوجع من مشيبه وهذا من كلام
أبي تمام في نهاية البلاغة والحسن وما المعيب إلا من عابه وطعن
عليه ونحن نذكر في المجلس الآتي ما للبحتري في هذا المعنى إن شاء الله

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله
تعالى هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه
تسيمون فقال إذا كان الشجر ليس بعض الماء كما كان الشراب
بعضا له فكيف جاز أن يقول ومنه شجر بعد قوله منه شراب
وما معنى تسيمون وهل الفايدة في هذه اللفظة هي الفايدة في قوله
والخيل المسومة وقوله وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود
مسومة عند ربك **الجواب** قلنا في قوله
تعالى ومنه شجر وجهان أحدهما أن يكون المراد ومنه سقي شجر
وشرب شجر فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وذلك
كثير في لغة العرب ومثله قوله تعالى وأشربوا في قلوبهم
العجل أي حب العجل والوجه الآخر أن يكون المراد ومن
جهة الماء شجر ومن سقيه وإنباته شجر فحذف الأول وخلفه
الثاني قال عوف بن الخرع

أمن آل ليلى عرفت الديارا بجنب الشقيق خلاء قفارا

أراد من ناحية آل ليلى وقال زهير

خ خفية

علي صح

بلغ السماع والمعارضة بالأصل

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم (بفتح اللام لا غير)

أراد من ناحية أم أوفى وقال أبو ذؤيب

أمنك البرق أرقبه فهاجا فبت إخاله دهما خلاجا

وقال ابن الفضيل

أمنك برق أبيت الليل أرقبه كأنه في عراض الشام مصباح

(عراض الشام نواحيه الواحد عرض)

وقال الجعدي

لمن الديار عفون بالتهطال بقيت على حجج خلون طوال

أراد بقيت على مر حجج ونكر الحجج فأما قوله تعالى فيه تسيمون فمعناه
ترعون وترسلون أنعامكم يقال أسام الإبل يسيمها إسامة إذا أرعاها (وأطلقها ترعى)
فرعت منصرفة حيث شاءت وسومها أيضا يسومها من ذلك وسامت
هي إذا رعت فهي تسوم وهي إبل سائمة ويقال سمتها إذا قصرتها
على مرعى بعينه وسمتها الخسف إذا تركتها على غير مرعى ومنه
قيل للذل والهضم سيم فلان الخسف وسيم خطة الضيم قال
الكميت بن زيد في الإسامة التي هي الإطلاق في الرعي

راعيا كان مسجحا ففقدناه وفقد المسيم هلك السوام

وقال الآخر

وأسكن ما سكنت ببطن واد وأظعن إذ ظعنت فلا أسيم

وذهب قوم إلى أن السوم في البيع من هذا لأن كل واحد من المتبايعين
يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن أو نقصانه إلى ما يهواه كما تذهب (السوائم المواشي)
السوائم حيث شاءت وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس فحمله
قوم على الإبل وغيرها ألا تسام قبل طلوع الشمس لئلا تنتشر وتفوت الراعي (أي ترعى)
وتخفى عليه مقاصدها وحمله آخرون على أن السوم قبل طلوع الشمس
في البيوع مكروه لأن السلعة المبيعة تستتر عيوبها أو بعضها فيدخل
ذلك في بيوع الغرر المنهي عنها فأما الخيل المسومة فقد قيل إنها المعلمة
بعلامات مأخوذ من السيما وهي العلامة وروي عن الحسن البصري
في قوله تعالى والخيل المسومة قال سوم نواصيها وأذنابها بالصوف
وقيل أيضا إن المسومة هي الحسان وروي عن مجاهد في قوله تعالى والخيل

المسومة قال هي المطهمة الحسان وقال آخرون بل هي الراعية
روي ذلك عن سعيد بن جبير وكل يرجع الى اصل واحد وهو معنى
العلامة لأن تحسين الخيل يجري مجرى العلامة فيها التي تعرف
بها وتميز لمكانها وقد قيل ان السوم من الرعي يرجع الى هذا المعنى
ايضا لأن الراعي يجعل في المواضع التي يرعاها علامات او كالعلامات
بما يتبينه من نباتها ونحوه من آثارها فكان الاصل في الكل متفق غير
مختلف وقال لبيد في التسويم الذي هو التعليم

وغداة قاع القرنتين أتيتهم زهوا يلوح خلالها التسويم
بكتائب رجح تعود كبشها نطح الكباش كأنهن نجوم

اراد التعليم فأما قوله تعالى في الملائكة مسومين فالمراد به معلمين
وكذلك قوله تعالى حجارة من سجيل منضود مسومة اي معلمة وقيل
انه كان عليها كأمثال الخواتيم قال سيدنا رضي الله عنه ونعود
الى ما كنا وعدنا به من ذكر ما للبحتري في ذم الشيب والتألم من فقد الشباب

فمن ذلك قوله

مشيب كبث السر عيّ بحمله محدّثه او ضاق صدر مذيعه
وكنت ارجّي في الشباب شفاعة فكيف لباغي حاجة بشفيعه
تلاحق حتى كاد يأتي بطيئه لحث الليالي قبل أني سريعه

وما أحسن هذا من كلام وأبلغه وأطبعه وقال أيضا

ردي على الصبى ان كنت فاعلة ان الصبى ليس من شاني ولا اربي
جاوزت حدّ الشباب النضر ملتفتا الى بنات الصبى يركضن في طلبي
والشيب مهرب من جاري منيته ولا نجا له من ذلك الهرب
والمرء لو كانت الشعرى له وطنا صبّت عليه صروف الدهر من كثب

وقال أيضا

لابس من شبيبة أم ناض ومليح من شيبة أم راض
واذا ما امتعضت من ولع الشيب برأسي لم يثن ذاك امتعاضي
ليس يرضى عن الزمان مرو فيه الا عن غفلة او تغاض

والبواقي من الليالي وإن خالفن شيئاً مشبهات المواضي
باكرت لبني وناكرن منها سو هذي الأبدال والأعواض
شعرات أقصهن ويرجعن رجوع السهام في الأغراض
وأبت تركي الغديات والآصال حتى خضبت بالمقراض
غير نفع إلا التعلل من شخص علي لم يعده إنقاضي
ورواء المشيب كالبخص في عيني فقل فيه في العيون المراض
طيب نفس عن البياض وما سود من صبغ برده الفضفاض
فهل الحادثات يا بن عويف تاركاتي ولبس هذا البياض

وقال أيضا

تعيب الغانيات علي شيبي ومن لي أن أمتع بالمعيب
ووجدي بالشباب وإن تولى حميداً دون وجدي بالمشيب

وقال أيضا

كفى أنه من بعد جل فاح جون المفارق بالنهار خضيبا

فعجبت من حالين خالف بينهما صرف الزمان وما رأيت عجيبا
إن الزمان إذا تتابع خطوه سبق الطلوب وأدرك المطلوبا

وقال أيضا

رأت فلتات الشيب فابتسمت لها وقالت نجوم لو طلعن بأسعد
أعاتك ما كان الشباب مقربي إليك فألحى الشيب إذ كان مبعدي

وقال أيضا

عنت كبدي قسوة منك ما تزال تجدد فيها ندوبا
وحملت عبدك ذنب المشيب حتى كأني ابتدعت المشيبا
ومن يطلع شرف الأربعين يحيي من الشيب شخصاً غريبا

وقال البحتري أيضا

خليلي وجدت اللهو ما دام رداء الشباب غضاً جديدا
إن أيامه من البيض بيض ما رأين المفارق السود سودا

وقال أيضا

ترك السواد للابسيه وبيضا ونضا من السنين عنه ما نضا
وشآه أغيد في تصرف لحظه مرض أعل به القلوب وأمرضا
وكأنه وجد الصبي وجديده دينا دنا ميقاته أن يقتضى
أسيان أثرى من جوى وصبابة وأشاف من وصل الحسان وأنفضا

وقال أيضا

هل أنت صارف شيبة إن غلست في الوقت أو عجلت عن الميعاد
جاءت مقدمة أمام طوالع هذي تراوحني وتلك تغادي
وأخو الغبينة تاجر في لمة يشري جديد بياضها بسواد
وأرى الشباب على غضارة حسنه وجماله عددا من الأعداد

وقال أيضا

أبقيتني للشباب أم ما تولى منه في الدهر دولة ما تعود
لا أرى العيش والمفارق بيض أسوة العيش والمفارق سود
وأعد الشقي جدا ولو أعطي غنما حتى يقال سعيد

من عدته العيون وانصرفت عنه التفاتا إلى سواد الخدود

وقال أيضا

قدك مني فما جوى السقم المذ في ضلوع على جوى الحب جنا
لو أتت جادث الخضاب لأنت وأرتك من أحمرار البرنا
كلف البيض بالمعمر قدما حين يكلفن والمصغر سنا
يتشاغفن بالغرير المسمى من تصاب دون الجليل المحنا

وقال أيضا

أخي إن الصبي أستمر به سير الليالي فأنهجت برده
تصد عني الحسان مبعدة إذ أنا لا أقربه ولا أصدده
شيب على المفرقين بارضة يكثر بي أن أبينه عدده
تطلب مني الشباب ظالمة بعيد خمسين حين لا أجده
لا عجب إن مللت خلتنا فافتقد الوصل منك مفتقده
من يتطاول على مطاولة العيش تقعقع من ملة عمده

قال سيدنا رضي الله عنه ورأيت الآمدي قد أخطأ في معنى هذا
البيت الأخير لأنه قال معنى تقعقع من ملة عمده أي عظامه يجيء
لها صوت إذا قام أو قعد من كبره وضعفه قال وقوله من ملة
أي من تملي العيش بطوله ودوامه ومنه تمليت حبيبك والأمر
بخلاف ما توهمه ومعنى تقعقع من ملة عمده أي من تطاول عمره يعجل
ترحله وانتقاله عن الدنيا وكنى عن ذلك بتقعقع العمد وهذا مثل معروف
للعرب يقولون من تجمع تقعقع عمده يريدون أن التجمع داعي
التفرق وأن الاجتماع يعقب ويورث ما يدعو إلى الانتقال الذي تقعقع (تتقعقع)
منه العمد (خ معه) والآمدي على كثرة ما يدعيه من التنقيب والتنقير
على علوم العرب إن كان لم يعرف هذا المثل ومعناه فهو طريف وإن كان
قد سمعه وجهل أن معنى بيت البحتري يطابقه فهو أطرف فأما
قوله من ملة فإنما أراد به من مال وملة فعلة من الملال وكيف يكون من
تملي العيش ولم يسمع في تمليت ملة وهذا خطأ على خطأ وقال البحتري

[illegible]

ما كان شوقي ببدع يوم ذاك ولا دمعي بأول دمع في الهوى سفحا
ولمة كنت مشغوفا بجدتها فما عفا الشيب لي عنها ولا صفحا

وقال أيضا

وما أنس لا أنس عهد الشباب وعلوة إذ عيرتني الكبر
كواكب شيب علقن الصبى فقللن من حسنه ما كثر
وإني وجدت فلا تكذبن سواد الهوى في بياض الشعر
ولا بد من ترك إحدى اثنتين إما الشباب وإما العمر

~~وهو مفارق للعمر لا محالة فهو أيضا تارك لهما جميعا وقوله إما وإما لا يوجب~~
~~إلا أحدهما قال والعذر للبحتري أن يقال إن من مات شابا فقد فارق~~
الشباب ه قال الآمدي وعليه في قوله ولا بد من ترك إحدى اثنتين
معارضة وهو أن يقال له إن من مات شابا فقد فارق الشباب وفاته
العمر أيضا فهو تارك لهما معا ومن شاب وفارق الشباب وحده لأنه
لم يعمر فيكون مفارقا للعمر الآخر ثم يقولون عمر فلان إذا أسن وفلان

[illegible]

لم يعمر إذا مات شابا ومن شاب وعمر ومات لم يكن مفارقا للشباب
في حال موته لأنه قد قطع أيام الشباب وتقدمت مفارقته له وإنما
يكون في حال موته مفارقا للعمر وحده فإلى هذا ذهب البحتري وهو
صحيح ولم يرد بالعمر المدة القصيرة التي يعمرها الإنسان وإنما أراد
بالعمر هاهنا الكبر كما قال زهير

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

قال رحمه الله وما رأيت أشد تهافتا في الخطاء منه فيما يفسره ويتكلم عليه من شعر
هذين الرجلين ومعنى البيت غير ما توهمه وما أظهر من أن يخفى
حتى يحتاج فيه إلى هذا التغلغل والتعسف وإنما أراد البحتري أن
الإنسان بين حالين إما أن يفارق الشباب بالشيب أو يفارق العمر
بالموت فمن مات شابا وإن كان قد خرج عن العمر فخرج بخروجه
عن سائر أحوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما فإنه لم يفارق
الشباب وحده وإنما فارق العمر الذي فارق بمفارقته الشباب وغيره

وقسمة الرجل تناولت أحد الأمرين إما مفارقة الشباب وحده بلا
واسطة ولن يكون ذلك إلا بالشيب أو مفارقة العمر بالموت وتلخيص
كلامه أنه لا بد للحي من شيب أو موت فكأن الشيب والموت متعاقبان
والبحتري إنما جعل قوله العمر مقام قوله الحياة والبقاء وإنما قال
العمر لأجل القافية مع أنه مبين عن مراده ولو أنه قال ولا بد من
ترك الشباب أو ترك الحياة لقام مقام قوله العمر. وأخبرنا
أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن محمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن
عبيد الله قال من معاني ابن الرومي التي تفقها قوله يذم من جعل
مصيبة غيره منسية له مصيبته وعاب من تعلل بالتأسي بما نال
غيره وهو يرثي شبابه وأحسن

يا شبابي وأين مني شبابي آذنتني أيامه بانقضاب
لهف نفسي على نعيمي ولهوي تحت أفنانه اللدان الرطاب
ومعز عن الشباب مؤس بمشيب اللدات والأصحاب

[خ كمصاب]
قلت لما انتحى بعد أساة من مصاب شبابه فمصاب
ليس تأسو كلوم غيري كلومي ما به ما به وما بي ما بي

ولابن الرومي

لهفي على الدنيا وهل لهفة تشفي منها ان تلهفتها
فيحا لها قبحا على أنها أقبح شيء حين كشفتها
وقد تعزيني شباب مضى ومدة للعيش أسلفتها
فكرت في خمسين عاما مضت كانت أمامي ثم خلفتها
أجهلتها اذ هي موفورة ثم مضت عني فعرفتها
ففرحة الموهوب أعدمتها وترحة المسلوب أتحفتها
لو أن عمري مائة هدني تذكري أني تنصفتها

وله في هذا المعنى وقد تقدمت هذه الأبيات في الأمالي السالفة وقد أحسن في معناها كل الإحسان

كفى بسراج الشيب في الرأس هاديا الى من أضلته المنايا لياليا

[خ تحسبني]
أمن بعد ابداء المشيب مقاتلي لرامي المنايا تحسبيني ناجيا
غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه لشخصي أخلق ان يصبن سواديا
وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى فلما أضاء الشيب شخصي رمانيا

[بلغت المعارضة بالاصل] [بلغ]

مجلس آخر

تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون فقال كيف جاءت أو بعد ما لا يجوز أن تعطف عليه وما الناصب لقوله أو يتوب عليهم وليس في الكلام ما يقتضي نصبه

الجواب [عليهم صح]
قلنا قد ذكر في ذلك وجوه أولها أن يكون قوله أو يتوب معطوفا على قوله تعالى ليقطع طرفا والمعنى أنه تعالى عجل لكم هذا النصر ومنحكم [طرفا صح]
به ليقطع من الذين كفروا أي قطعة منهم وطائفة من جمعهم أو يكبتهم أي [يكبتهم صح]
يغلبهم ويهزمهم فيخيب سعيهم ويكذب فيكم ظنونهم أو يغيظهم ما يرون من تظاهر آيات الله تعالى الموجبة لتصديق نبيه صلى الله عليه وآله فيتوبوا ويؤمنوا فيقبل الله ذلك منهم ويتوب عليهم أو يكفروا بعد قيام

الحجج وتأكيد البينات والدلائل فيموتوا أو يقتلوا كافرين فيعذبهم الله تعالى
باستحقاقهم في النار ويكون على هذا الجواب قوله تعالى ليس لك من
الأمر شيء معطوفا على قوله تعالى وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم
أي ليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيء وإنما هو من الله تعالى والجواب
الثاني أن يكون أو بمعنى حتى وإلا أن والتقدير ليس لك من الأمر شيء حتى
يتوب عليهم وإلا أن يتوب عليهم وكما قال امرؤ القيس

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

أراد إلا أن نموت وهذا الجواب يضعف من طريق المعنى لأن لقائل
أن يقول إن أمر الخلق ليس إلى أحد سوى الله تعالى قبل توبة العباد
وعقابهم وبعد ذلك فكيف يصح أن يقول ليس لك من الأمر شيء ويمكن
أن ينصر ذلك بأن يقال قد يصح الكلام إذا حمل على المعنى وذلك أن
قوله ليس لك من الأمر شيء معناه ليس يقع ما تريده وتؤثره من إيمانهم

إلا أن يتوب عليهم أو يعذبهم حتى كأنه إذا كان [illegible] ليس لك من الأمر شيء

وتوبتهم أو ما تريده من استيصالهم وعذابهم على اختلاف الروايات في
معنى الآية وسبب نزولها إلا بأن يلطف الله لهم في التوبة فيتوب
عليهم أو يعذبهم وتقدير الكلام ليس ما تريده من توبتهم أو عذابهم بك
وإنما يكون ذلك بالله تعالى والجواب الثالث أن يكون المعنى
ليس لك من الأمر شيء أو من أن يتوب عليهم فأضمر من اكتفاء بالأولى وأضمر
أن بعدها لدلالة الكلام عليها واقتضائه لها وهي مع الفعل الذي
بعدها بمنزلة المصدر فتقدير الكلام ليس لك من الأمر شيء ومن توبتهم
وعذابهم ووجدت أبا بكر محمد بن القسم الأنباري يطعن على هذا الجواب
ويستبعده قال لأن الفعل لا يكون محمولا على إعراب الاسم الجامد
الذي لا تصرف له على إضمار أن مع الفعل لأنه ليس من كلام العرب
عجبت من أخيك ويقوم على معنى عجبت من أخيك ومن أن يقوم لأن
أخاك اسم جامد محض لا يعطف عليه إلا ما شاكله قال وهذا إنما
يستقيم ويصلح في رد الفعل على المصدر كقولهم كرهت غضبك وتغضب

يكون صح

قال [illegible] رضي الله عنه

أبوك على معنى كرهت غضبك وأن يغضب أبوك فيطرد هذا في المصادر
لأنها تتأول بأن فيقول النحويون يعجبني قيامك وتأويله يعجبني أن تقوم
قال رحمه الله
قال والاسم الجامد لا يمكن هذا فيه ، وليس الذي ذكره ابن الانباري
مستبعدًا وإن لم يضعف هذا الجواب إلا من حيث ذكر فليس بضعف
وذلك أن مما امتنع منه مثل الذي أجازه لأنه قد أجاز ذلك في المصادر
وإن لم يجزه في غيرها وقوله تعالى ليس لك من الأمر شيء فيه دلالة
الفعل لأن الأمر مصدر أمرت أمرًا فكأنه تعالى قال ليس لك من أن تأمرهم
أو تأمرهم شيء ولا من أن يتوبوا وجرى ذلك مجرى قولهم كرهت غضبك
ويغضب أبوك في رد الفعل على المصدر والوجه الأول أقوى الوجوه
والله أعلم بمراده ، **تأويل خبر** ، إن سأل
سائل عن معنى الحديث (خ الخبر) الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله
أنه قال لا تناجشوا ولا تدابروا وكل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه
الجواب ، قيل له أما النجش فهو المدح والإطراء قال

نابغة بني شيبان يذكر الخمر ،
وترنحي بال من يشربها ويفدي كرمها عند النجش ،
أي عند مدحها ومنه النجش في البيع وهو مدح السلعة والزيادة
في ثمنها من غير إرادة لشرائها بل ليقتدي بالزائد في الزيادة غيره
وأصل النجش استخراج الشيء والتنقير عنه قال بعض الفقعسيين

أجرس لها يا ابن أبي كباش ... فما لها الليلة من انفاش
غير السرى وسائق نجاش ... أسمر مثل الحية الخشخاش

فالنجاش هو المستثير لسيرها المستخرج لما عندها منه ومعنى أجرس
لها أي احد لها ليسمع الحداء فتستثير وهو مأخوذ من الجرس وهو الصوت
ومعنى الانفاش أراد أنها لا تترك ترعى ليلا والنفش أن ترعى الإبل ليلا
وقد أنفشتها إذا أرسلتها بالليل ترعى والخشخاش (خ والخشاش) الخفيف الحركة السريع
التقلب والنجش في البيوع يرجع معناه إلى هذا أيضا لأن الناجش يستثير
بزيادته في الثمن ومدحه للسلعة الزيادة في ثمنها فيكون معنى الخبر

على هذا لا تناجشوا أي لا يمدح أحدكم السلعة فيزيد في ثمنها وهو
لا يريد شراها ليسمعه غيره فيزيد وقد يجوز أيضا أن يريد بذلك
لا يمدح أحدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعي منفعته وتبشير
فايدته وهذا المعنى أشبه بأن يكون مراده لأن قوله ولا تدابروا
أشد مطابقة له ومعنى لا تدابروا أي لا تهاجروا ويولي كل واحد
صاحبه دبره ووجهه قال الشاعر

وأوصى أبو قيس بأن تتواصلوا وأوصى أبوكم ويحكم أن تدابروا

فكأنه قال لا تمادحوا وتتواصلوا بالمدح الذي ليس بمستحق ولا
تتهاجروا وتتقاطعوا ه فأما قوله صلى الله عليه وآله كل المسلم على إنما صح
المسلم حرام دمه وعرضه فقد ذهب قوم إلى أن عرض الرجل هو
سلفه من آبائه وأمهاته ومن جرى مجراهم وذهب ابن قتيبة إلى
أن عرض الرجل نفسه واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وآله حين
ذكر أهل الجنة فقال لا يبولون ولا يتغوطون وإنما هو عرق يجري

الأذفر صح

من أعراضهم مثل المسك أي من أبدانهم قال ومنه قول أبي الدرداء
أقرض من عرضك ليوم فقرك أراد من شتمك فلا تشتمه ومن ذكرك
بسوء فلا تذكره ودع ذلك قرضا لك عليهم ليوم الجزاء والقصاص ه به صح
واحتج أيضا بحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه
قال أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من منزله قال
اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك ه قال فمعناه قد تصدقت
بنفسي وأحللت من يغتابني فلو كان العرض الأسلاف ما جاز أن يحل من
سب الموتى لأن ذلك إليهم لا إليه ه قال ويدل على ذلك حديث سفين بن أيضا صح
عيينة أن رجلا أصاب من عرض رجل شيئا ثم تورع من بعد فجاء إلى لو صح
ورثته بعد موته فأحلوه لم يكن ذلك كفارة له ولو أصاب من ماله
شيئا ثم دفعه إلى ورثته لكان في ذلك كفارة له ه قال ويدل أن صح
على أن عرض الرجل نفسه قول حسان

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

أَرَادَ فَإِنَّ أَبِي وَجَدِّي وَنَفْسِي وِقَاءٌ لِنَفْسِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ع

وَقَالَ آخَرُونَ وَهُوَ الصَّحِيحُ الْعِرْضُ مَوْضِعُ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ مِنَ الْإِنْسَانِ

فَإِذَا قِيلَ ذُكِرَ عِرْضُ فُلَانٍ فَمَعْنَاهُ ذُكِرَ مَا يَرْتَفِعُ أَوْ يَسْقُطُ بِذِكْرِهِ

وَيُمْدَحُ أَوْ يُذَمُّ بِهِ وَقَدْ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ ذِكْرُ الرَّجُلِ نَفْسِهِ وَذِكْرُ آبَائِهِ

وَأَسْلَافِهِ لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ مِمَّا يُمْدَحُ بِهِ وَيُذَمُّ ع وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى هَذَا

أَنَّ أَهْلَ اللُّغَةِ لَا يُفَرِّقُونَ فِي قَوْلِهِمْ شَتَمَ فُلَانٌ عِرْضَ فُلَانٍ بَيْنَ

أَنْ يَكُونَ ذَكَرَهُ فِي نَفْسِهِ بِقَبِيحِ الْأَفْعَالِ أَوْ شَتَمَ سَلَفَهُ وَآبَاءَهُ

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ مِسْكِينٍ الدَّارِمِيِّ

رُبَّ مَهْزُولٍ سَمِينٍ عِرْضُهُ وَسَمِينِ الْجِسْمِ مَهْزُولِ الْحَسَبْ

فَلَوْ كَانَ الْعِرْضُ نَفْسَ الْإِنْسَانِ لَكَانَ الْكَلَامُ مُتَنَاقِضًا لِأَنَّ السِّمَنَ

وَالْهُزَالَ لَا يَجْتَمِعَانِ لِشَيْءٍ وَاحِدٍ وَإِنَّمَا أَرَادَ رُبَّ مَهْزُولٍ كَرِيمَةٌ

أَفْعَالُهُ أَوْ كِرَامٌ آبَاؤُهُ وَأَسْلَافُهُ وَقَالَ ابْنُ عَبْدَلٍ الْأَسَدِيُّ

وَإِنِّي لَأَسْتَغْنِي فَمَا أَبْطَرُ الْغِنَى وَأَبْذُلُ مَيْسُورِي لِمَنْ يَبْتَغِي قَرْضِي

وَأُعْسِرُ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي وَأُدْرِكُ مَيْسُورَ الْغِنَى وَمَعِي عِرْضِي

وَلَا يَلِيقُ بِذَلِكَ إِلَّا مَا ذَكَرْنَاهُ ع قَالَ السَّيِّدُ الْأَجَلُّ الْمُرْتَضَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وَوَجَدْتُ أَبَا بَكْرٍ الْأَنْبَارِيَّ قَدْ رَدَّ عَلَى ابْنِ قُتَيْبَةَ قَوْلَهُ هَذَا وَطَعَنَ عَلَى مَا

احْتَجَّ بِهِ فَقَالَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَصْفِ أَهْلِ

الْجَنَّةِ إِنَّ الْمُرَادَ بِالْأَعْرَاضِ مَغَابِنُ الْجَسَدِ وَحَكَى عَنِ الْأُمَوِيِّ أَنَّهُ قَالَ

الْأَعْرَاضُ الْمَغَابِنُ الَّتِي تَعْرَقُ مِنَ الْجَسَدِ نَحْوَ الْإِبْطَيْنِ وَغَيْرِهِمَا وَقَالَ فِي

حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ مَعْنَاهُ مَنْ عَابَكَ وَذَكَرَ أَسْلَافَكَ فَلَا تُجَازِهِ لِيَكُونَ

اللَّهُ تَعَالَى هُوَ الْمُثِيبَ لَكَ ع وَقَالَ فِي قَوْلِ أَبِي ضَمْضَمٍ مَعْنَاهُ أَنَّهُ أَحَلَّ مَنْ

أَوْصَلَ إِلَيْهِ أَذًى بِذِكْرِهِ ذِكْرَ آبَائِهِ فَلَمْ يُحِلَّ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ إِلَيْهِ ع وَقَالَ فِي قَوْلِ حَسَّانَ

الْمُرَادُ بِعِرْضِهِ أَيْضًا أَسْلَافُهُ كَأَنَّهُ قَالَ فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَجَمِيعَ أَسْلَافِي

الَّذِينَ أُمْدَحُ وَأُذَمُّ مِنْ جِهَتِهِمْ وِقَاءٌ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَتَى بِالْعُمُومِ بَعْدَ الْخُصُوصِ

وَلَمْ أَجِدْ ذِكْرًا فِي خَبَرِ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ شَيْئًا وَتَأْوِيلُهُ يَقْرُبُ مِنْ تَأْوِيلِ خَبَرِ

كَمَا قَالَ تَعَالَى وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ فَأَتَى بِالْعُمُومِ بَعْدَ الْخُصُوصِ ع

أبي ضمضم لأن من آذى رجلا بسبه في نفسه أو سب سلفه وأدخل
عليه بذلك وضحا ونقصا لم يكن إلى ورثته بعد موته الإحلال من ذلك
لأن الأذى لم يدخل عليهم ولو كان دخل عليهم أيضا مع دخوله على المسبوب
لكان إحلالهم مما يرجع إلى غيرهم لا يصح على أن الإحلال من الضرر وسقوط في صح
العوض المستحق عليه وهل يسقط بإسقاط مستحقه أو لا كلام ليس
هذا موضعه وقد ذكرناه في مواضع هـ وبعد فلو سلم لابن قتيبة أن
المراد بالعرض في كل المواضع التي ذكرناها النفس دون السلف أو سلم له ذلك
في بيت حسان خاصة فإنه أقرب إلى أن يكون المراد به ما ذكره لم يقدح
فيما ذكرناه لأنا لم نقل إن العرض مقصور على سلف الإنسان بل ذكرنا
أنه موضع الذم والمدح من الإنسان ولا فرق بين نفسه وسلفه فكيف فيه صح
يكون الاحتجاج بما المراد بالعرض فيه النفس طعنا علينا وإنما ينفع ابن
قتيبة أن يأتي بما يدل على أن العرض لا يستعمل إلا في النفس دون السلف
وكل شيء ورد مما المراد بالعرض فيه النفس أو المراد به السلف فهو توكيد
خ أو ورد

لقولنا في أن هذه اللفظة مستعملة في موضع الذم والمدح من الإنسان
وإنما يكون ما استشهدنا به وما جرى مجراه مما يدل على استعمال لفظة أن صح
العرض في السلف حجة على ابن قتيبة لأنه قصر معناها على النفس والذات
دون السلف وهذا واضح بين بحمد الله هـ أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن
عمران المرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال
كان أبو عبيدة معمر بن المثنى صفريا وكان يكتم ذلك فأنشدني لعمران بن حطان الناس صح

أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ... ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
إما تكن ذقت كأسا دار أولها ... على القرون فذاقوا نهلة الكاس
فقد كنت أبكيك حينا ثم قد يئست ... نفسي فما رد عني عبرتي ياسي

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال حدثنا
الأشنانداني قال قال التوزي كنت إذا أردت أن أنشط أبا عبيدة
سألته عن أخبار الخوارج فانبعج منه ثبج بحر فجئته يوما وهو مطرق
ينكت الأرض في صحن المسجد وقد قربت منه الشمس فسلمت فلم يرد علي عليه صح

فتمثلت   وما للمرء خير في حياة إذا ما عد من سقط المتاع

والبيت لقطري بن الفجاءة فنظر إلي وقال ويحك أتدري من يقوله قلت (خ فض الله)

قطري فقال أسكت رضي الله فاك فلا قلت أمير المؤمنين أبو نعامة

ثم انتبه فقال اكتمها علي يا توزي فقلت هي ابنة الأرض فأنشدني

أقول لها إذا جاشت حياء من الأبطال ويحك لن تراعي

فإنك لو طلبت حياة يوم على الأجل الذي لك لم تطاعي

فصبرا في مجال الموت صبرا فما نيل الخلود بمستطاع

وما طول الحياة بثوب مجد فيطوى عن أخي الخنع اليراع (خ غاية)

سبيل الموت منهج كل حي وداعيه لأهل الأرض داع

ومن لا يغتبط يسأم ويهرم وتفض به المنون إلى انقطاع (خ البقاء)

وما للمرء خير في حياة إذا ما عد من سقط المتاع

فكتبتها وقمت لأنصرف فقال اقعد ثم أنشدني

إلى كم تغاديني السيوف ولا أرى مغاداتها تدعو إلي حماميا

أقارع عن دار الخلود ولا أرى بقاء على حال لمن ليس باقيا

ولو قرب الموت القراع لقد أنى لموتي أن يدنو لطول قراعيا

أغادي جلاد المعلمين كأنني على العسل الماذي أصبح غاديا (خ المعلمين)

وأدعو الكماة للنزال إذا القنا تحطم فيما بيننا من طعانيا

ولست أرى نفسا تموت وإن دنت من الموت حتى يبعث الله داعيا

قال ابن دريد وهذا الشعر لقطري بن الفجاءة ه أخبرنا أبو الحسن علي بن
محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال جئت أبا عبيدة يوما
ومعي شعر عروة بن الورد فقال فارغ حمل شعر فقير ليقرأه على فقير
فقلت له ما معي غيره فأنشدني أنت ما شئت فأنشدني

يا رب ظل عقاب قد وقيت به مهري من الشمس والأبطال تجتلد

ورب يوم حمى أرعبت عقوته خيلي اقتسارا وأطراف القنا قصد (خ ونارة)

ويوم لهو لأهل الخفض ظل به لهوي اصطلاء الوغى إذ ناره تقد

مشهر موقفي والحرب كاشفة عنها القناع وبحر الموت يطرد

وربّ هاجرة تغلي مراجلها خرقتها بمطايا غارة تخد
تجتاب أودية الأفزاع آمنة كأنها أسد يقتادها أسد
فإن أمت حتف أنفي لا أمت كمدا على الطعان وقصر العاجز الكمد
ولم أقل لم أساق القتل شاربه في كأسه والمنايا شرّع ورد
ثم قال لي هذا الشعر لا ما تعللون به أنفسكم من أشعار المخانيث
والشعر لقطري بن الفجاءة، وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال
أخبرنا ابن دريد قال كان أبو عبيدة يأنس إليّ في أول ما أختلف
إليه ويسألني عن خوارج سجستان لأنه كان يظنني على رأيهم وكنت
أوهمه أني على رأيهم فنالتني منه لذلك عناية خاصية فكان كثيرا
ما ينشدني أشعارهم ثم يتمثل
أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدّوا
قال وأنشدني يوما لرجل من طيّ من الخوارج
لا كان ابن ملحان من شار أخي ثقة أو كان ابن علقمة المستشهد الشاري

أي الدنيا
من صادق كنت أصفيه مخالصتي فباع داري بأغلى صفقة الداري
إخوان صدق أرجّيهم وأحذرهم أشكو إلى الله إخواني وأحذاري
فصرت صاحب دنيا لست أملكها وصار صاحب جنات وأنهار

مجلس آخر تأويل آية، إن سأل سائل عن
قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما
قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء فقال ما اليد التي أضافها
اليهود إلى الله تعالى وادعوا أنها مغلولة وما نرى عاقلا من اليهود
ولا غيرهم يزعم أن لربه يدا مغلولة واليهود تتبرأ من أن يكون
فيها قائل لذلك وما معنى الدعاء عليهم بغلّ أيديهم وهو تعالى ممن علي صح
لا يصح أن يدعو على غيره لأنه قادر أن يفعل ما يشاء وإنما يدعو
الداعي بما لا يتمكن من فعله طلبا له، **الجواب**
قلنا يحتمل أن يكون قوم من اليهود وصفوا الله تعالى بما يقتضي
تناهي مقدوره فجرى ذلك مجرى أن يقولوا إن يده مغلولة لأن

عادة الناس جارية بأن يعبروا بهذه العبارة عن هذا المعنى فيقولون
يد فلان منقبضة عن كذا ويده لا تنبسط إلى كذا إذا أرادوا وصفه
بالفقر والقصور ويشهد لذلك قوله تعالى في موضع آخر لقد سمع الله قول
الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ثم قال مكذبا لهم بل يداه مبسوطتان
أي أنه ممن لا يعجزه شيء وثنى اليدين تأكيدا للأمر وتفخيما له ولأنه أبلغ
في المعنى المقصود من أن يقول يده مبسوطة وقد قيل إن اليهود وصفوا
الله تعالى بالبخل واستبطؤوا فضله ورزقه وقيل إنهم قالوا على سبيل الاستهزاء
إن إله محمد الذي أرسله يداه إلى عنقه إذ ليس يوسع عليه وعلى أصحابه
فرد الله تعالى قولهم وأكذبهم بقوله تعالى بل يداه مبسوطتان واليد
هاهنا النعمة والفضل وذلك معروف في اللغة متظاهر في كلام
العرب وأشعارهم ويشهد له من الكتاب قوله تعالى ولا تجعل يدك
مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا معنى لذلك إلا الأمر بترك الإمساك
باليد عن النفقة في الحقوق وترك الإسراف إلى القصد والتوسط ويمكن

تعالى صح

خ ولأن ذلك أكثر

بل صح

أن يكون الوجه في تثنية النعمة من حيث أريد بها نعم الدنيا ونعم الآخرة
لأن الكل وإن كانت نعم الله تعالى فمن حيث اختص كل واحد من الأمرين
بصفة تخالف صفة الآخر صارا كأنهما جنسان أو قبيلان ع
ويمكن أيضا أن تكون تثنية النعمة أنه أريد بها النعم الظاهرة والباطنة
فأما قوله تعالى غلت أيديهم ففيه وجوه أولها أن يكون على غير
سبيل الدعاء بل على جهة الإخبار منه جل وعز عن نزول ذلك بهم
وفي الكلام ضمير قبل قوله غلت أيديهم وموضع غلت نصب على الحال
كأنه تعالى قال وقالت اليهود كذا وكذا في حال ما غل الله أيديهم ولعنهم
وحكم بذلك فيهم ويسوغ إضمار قد هاهنا كما ساغ في قوله عز وجل
إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت
وثانيها أن يكون معنى الكلام وقالت اليهود يد الله مغلولة فغلت
أيديهم أو وغلت أيديهم وأضمر الفاء والواو لأن كلامهم تم واستؤنف بعده
كلام آخر ومن عادة العرب أن تحذف فيما يجري مجرى هذا الموضع من ذلك

خ أن يكون المراد بتثنية النعم

ذلك صح

قد صح

قوله تعالى وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا
هزوا أراد فقالوا أتتخذنا هزوا فأضمر القال لتمام كلام موسى عليه السلم
ومنه قول الشاعر

لما رأيت نبطا أنصارا   شمرت عن ركبتي الإزارا

كنت لها من النصارى جارا

خ لأنّ

أراد وكنت فأضمر الواو * وثالثها أن يكون القول خرج مخرج الدعاء لأن
معناه التعليم من الله تعالى والتأديب فكأنه جلت عظمته وقفنا على
الدعاء عليهم وعلمنا ما ينبغي أن نقوله فيهم كما علمنا الاستثناء في غير هذا
الموضع بقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين وكذلك جلي وأصح

تأويل خبر *

إن سأل سائل عن الخبر الذي يروى عن النبي
صلى الله عليه وآله أنه قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق
الحبل فتقطع يده **الجواب** * قلنا قد تعلق بهذا الخبر صنفان
من الناس الخوارج يتعلقون به فيدّعي أن القطع في الكثير والقليل ويستشهد

على ذلك بظاهر قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ويتعلق
بهذا الخبر أيضا الملحدة والشكاك ويدعون أنه مناقض للرواية المتضمنة
أنه لا قطع إلا في ربع دينار ونحن نذكر ما فيه * فأول ما نقوله إن الخبر
مطعون على إسناده عند أصحاب الحديث وقد حكى ابن قتيبة
في تأويله وجها عن يحيى بن أكثم طعن عليه وضعفه وذكر عن نفسه
وجها آخر ونحن نذكرهما وما فيهما ونتبعهما بما نختاره * قال ابن قتيبة
كنت حضرت يوما مجلس يحيى بن أكثم بمكة فرأيته يذهب إلى أن البيضة
في هذا الحديث بيضة الحديد التي تغفر الرأس في الحرب وأن الحبل
من حبال السفن قال وكل واحد من هذين يبلغ دنانير كثيرة قال فرأيته
يعجب بهذا التأويل ويبدئ فيه ويعيد ويرى أنه قطع به حجة الخصم قال
إنما صح
ابن قتيبة وهذا يجوز على من لا معرفة له باللغة ومخارج الكلام وليس
هذا موضع تكثير لما يأخذه السارق فيصرفه إلى بيضة تساوي دنانير
وحبل لا يقدر على حمله السارق ولا من عادة العرب والعجم أن يقولوا قبح الله

فلانا عرض نفسه للضرب في عقد جوهر وتعرض لعقوبة الغلول في
جراب مسك وانما العادة في مثل هذا ان يقال لعنه الله تعرض للقطع
في حبل رث واداوة خلق او كبة شعر وكلما كان من ذلك احقر كان ابلغ
قال والوجه في الحديث ان الله عز وجل لما انزل على رسوله صلى الله
عليه وآله والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا قال
رسول الله صلى الله عليه وآله لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده
على ظاهر ما نزل عليه في ذلك الوقت ثم اعلمه الله تعالى بعد ان القطع (خ انزل اليه)
لا يكون الا في ربع دينار فما فوقه ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم
من حكم الله تعالى الا ما علمه الله وما كان الله عز وجل يعرفه ذلك جملة
بل بين له شيئا بعد شيء قال سيدنا رضي الله عنه ووجدت ابا (خ بل بين له / خ يبين له)
بكر بن الانباري يقول ليس الذي طعن به ابن قتيبة على تاويل الخبر بشيء لان
البيضة من السلاح ليست علما في كثرة الثمن ونهاية في علو القيمة
فتجري مجرى العقد من الجوهر والجراب من المسك اللذين هما ربما ساويا

(خ السلاح)
الالوف من الدنانير والبيضة من الحديد ربما اشتريت باقل مما يجب فيه
القطع وانما اراد عليه السلام انه يكتسب قطع يده بما لا غنى له به لان
البيضة من السلاح لا يستغني بها احد والجوهر والمسك في اليسير
منهما غناء قال سيدنا والذي نقوله ان ما طعن به ابن الانباري
على كلام ابن قتيبة متوجه وليس في ذكر البيضة والحبل تكثير كما ظن
فتشبه العقد والجراب من المسك غير انه يبقى في ذلك ان يقال اي
وجه لتخصيص البيضة والحبل بالذكر وليسا هما النهاية في التقليل
فان كان لما ذكره ابن الانباري من ان المعنى انه يسرق ولا يستغني به فليس (خ يسرق ما يستغني)
ذكر ذلك باولى من غيره ولا بد من ذكر وجه في ذلك واما تاويل
ابن قتيبة فباطل لان النبي صلى الله عليه وآله لا يجوز ان يقول ما حكاه
عند سماع قوله تعالى والسارق والسارقة لان الآية مجملة مفتقرة
الى بيان ولا يجوز ان يصرفها الى بعض محتملاتها دون بعض بلا دلالة
على ان اكثر من قال ان الآية غير محتملة وان ظاهر القول يقتضي العموم
(خ مجملة)

يذهب إلى أن ما اقتضى تخصيصها بالسارق دون سارق لم يتأخر عن حال
الخطاب بها فكيف يصح ما قال من أن الآية تقدمت ثم تأخر تخصيص
السارق ولو كان ذلك كما ظن لكان المتأخر ناسخا للآية وعلى تأويله
هذا يقتضي أن يكون كل الخبر منسوخا وإذا أمكن تأول أخباره عليه
السلم على ما لا يقتضي رفع أحكامها كان أولى فالأشبه أن يكون المراد
بهذا الخبر أن السارق يسرق الكثير الجليل فتقطع يده ويسرق الحقير
القليل فتقطع يده وكأنه تعجيز له وتضعيف لاختياره من حيث باع
يده بقليل الثمن كما باعها بكثيره وحكى أهل اللغة أن بيضة القوم
وسطهم وبيضة الدار وسطها وبيضة السنام شحمته وبيضة
الصيف معظمه وبيضة البلد الذي لا نظير له وإن كان قد يستعمل
ذلك في المدح والذم على سبيل الأضداد وإذا استعمل في الذم
فمعناه أن الموصوف بذلك حقير مهين كالبيضة التي تفسدها
النعامة فتتركها ملقاة ولا تلتفت عليها ه فمما جاء في المدح قول أخت

أن صح

ونسخها صح

عمرو بن عبد ودّ ترثيه وتذكر قتل أمير المؤمنين عليه السلم له وقيل
إن الأبيات لامرأة من العرب غيرها

لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكنت أبكي عليه آخر الأبد
لكن قاتله من لا يعاب به من كان يدعى قديما بيضة البلد

خ لكن قاتل عمرو لا يعاب به

وقال آخر في المدح

كانت قريش بيضة فتفلقت فالمح خالصه لعبد مناف

[illegible]

وقال آخر في الذم

تأبى قضاعة أن تعرف لكم نسبا وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

أراد أن تعرف فأسكن ه وقال آخر في ذلك

لكنه حوض من أودى بإخوته ريب الزمان فأمسى بيضة البلد

فقد صار معنى البيضة كله يعود إلى التفخيم والتعظيم ه وأما الحبل
فذكر على سبيل المثل والمراد المبالغة في التحقير والتقليل كما يقول القائل
ما أعطاني فلان عقالا وما ذهب من فلان عقال ولا يساوي كذا نقيرا

كذلك على سبيل المثل والمبالغة في التحقير والتقليل وليس الغرض
بذكر الجبل الواحد من الجبال على الحقيقة وإذا كان هذا تاويل الخبر
زالت المناقضة وبطلت شبهة الخوارج في القليل والكثير

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أبو عبد الله الحكيمي
قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثني أبو زينب علي بن ثابت قال قال الأصمعي
تضرعت في الأسباب على باب الرشيد مؤملا للظفر به والوصول إليه
حتى إني صرت لبعض حرسه خديناً فإني في ليلة نثرت السعادة والتوفيق
فيها الأرق بين أجفان الرشيد إذ خرج خادم فقال أبالحضرة أحد ينشد
الشعر فقلت الله أكبر رب قيد مضيقة قد حله التيسير فقال لي
الخادم ادخل فلعلها أن تكون ليلة تعرس في صباحها بالغنى إن فزت بالحظوة
عند أمير المؤمنين فدخلت فواجهت الرشيد في بهوه والفضل بن يحيى
إلى جانبه فوقف الخادم بي حيث يسمع التسليم فسلمت فرد السلام ثم قال يا
غلام أرحه قليلا ليفرخ روعه إن كان قد وجل للروعة حساً فدنوت

خ أبو وهب
قد صح
خ أما بالحضرة

قليلا ثم قلت يا أمير المؤمنين إضاءة مجدك وبهاء كرمك مجيران لمن نظر
إليك عن اعتراض أذية فقال ادن فدنوت فقال أشاعر أم راوية فقلت
راوية لكل ذي جد وهزل بعد أن يكون محسناً فقال تالله ما رأيت
ادعاء أعم فقلت أنا على الميدان فأطلق من عناني يا أمير المؤمنين فقال
قد أنصف القارة من راماها ثم ما معنى هذه الكلمة بدياً قلت فيها قولان
القارة هي الحرة من الأرض وزعمت الرواة أن القارة كانت رماة
للتبابعة والملك إذ ذاك أبو حسان فواقف عسكره عسكر السغد فخرج
فارس من السغد قد وضع سهمه في كبد قوسه وقال أين رماة العرب
فقالت العرب أنصف القارة من راماها فقال لي الرشيد أصبت ثم قال
أتروي لرؤبة بن العجاج والعجاج شيئاً فقلت هما شاهدان لك
بالقوافي وإن غيبا عن بصرك بالأشخاص فأخرج من ثني فرشه
رقعة ثم قال أنشدني أرقني طارق هم أرقا
فمضيت فيها مضي الجواد في سنن ميدانه تهدر بي أشداقي فلما

صرت الى مديحه لبني امية ثنيت لساني الى امتداحه المنصور في قوله
قلت لزبر لم تصله مريمه فلما رآني قد عدلت من ارجوزة الى غيرها
قال أعن حيرة ام عن عمد قلت عن عمد تركت كذبه الى صدقه فيما (الى صح)
وصف به المنصور من مجده فقال الفضل أحسنت بارك الله عليك مثلك
يؤهل لهذا المجلس (خ بمثل هذا) فلما أتيت على آخرها قال لي الرشيد اتروي كلمة عدي
ابن الرقاع عرف الديار توهما فاعتادها قلت نعم قال هات
فمضيت فيها حتى اذا صرت الى وصفه الجمل (خ لجمله) قال لي الفضل ناشدتك
الله ان تقطع علينا ما امتعنا به من السهر في ليلتنا هذه بصفة جمل
أجرب فقال الرشيد اسكت فالابل هي التي أخرجتك عن دارك واستلبت (له صح)
تاج ملككم ثم ماتت وعملت جلودها سياطا ضربتم بها انت وقومك (الفضل صح)
فقال لقد عوقبت على غير ذنب والحمد لله فقال الرشيد اخطات وانما
الحمد لله على النعم ولو قلت واستغفر الله لكنت مصيبا ثم قال لي امض
في أمرك فانشدته حتى اذا بلغت الى قوله تزجي أغن كان ابرة روقه

استوى جالسا وقال الحفظ في هذا ذكرا قلت نعم ذكرت الرواة
ان الفرزدق قال كنت في المجلس وجرير الى جانبي فلما ابتدى عدي في
قصيدته قلت لجرير مسرا اليه هلم لنسخر من هذا الشامي فلما ذقنا
كلامه يئسنا (خ أيسنا) منه فلما قال تزجي أغن كان ابرة روقه وعدي كالمستخرج
قال جرير أما تراه يستلب بها مثلا فقال الفرزدق يا لكع انه يقول
قلم أصاب من الدواة مدادها فقال عدي قلم اصاب من الدواة
مدادها فقال جرير للفرزدق أكان سمعك مخبوا في صدره فقال
له اسكت شغلني سبك عن جيد الكلام فلما بلغ الى قوله
ولقد أراد الله اذ ولاكها من امة اصلاحها وسدادها (خ ورشادها)
قال الأصمعي فقال لي ما تراه قال اذ أنشد الشاعر هذا البيت فقلت قال
كذى اراد الله فقال الرشيد ما كان في جلالته ليقول هذا أحسبه قال
ما شاء الله وكذى جاءت الرواية (قال صح) فلما اتيت على آخرها قال لي اتروي لذي
الرمة شيئا قلت الأكثر قال فماذا اراد بقوله

ممرّ أمرّت متنه أسديّة ذراعيّة حلّالة بالمصانع

قلت وصف حمار وحش أسمنه بقل روضة تواشجت أصوله وتشابكت

فروعه عن مطر سحابة كانت بنوء الأسد ثم في الذراع من ذلك فقال الرشيد

أرح فقد وجدناك ممتعا وعرفناك محسنا ثم قال أجد ملالة ونهض

فأخذ الخادم يصلح عقب النعل في رجله وكانت عربية فقال الرشيد

عقرتني يا غلام فقال الفضل قاتل الله الأعاجم أما إنها لو كانت سندية

لما احتجت إلى هذه الكلفة فقال الرشيد هذه نعلي ونعل آبائي كم تعارض (تعجيل صح)

فلا تترك من جواب ممض ثم قال يا غلام يؤمر صالح الخادم بتسليم ألف (هذه صح)

درهم على هذا الرجل في ليلته ولا يحجب في المستأنف فقال الفضل لولا (إلى صح)

أنه مجلس أمير المؤمنين ولا يأمر فيه غيره لأمرت لك بمثل ما أمر لك به وقد

أمرت لك به إلا ألف درهم فتلق الخادم صباحا قال الأصمعي فما صليت

من غد إلا وفي منزلي تسعة وخمسون ألف درهم (بلغت المعارضة بالأصل)

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله

تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور فقال أليس ظاهر

الآية يقتضي أنه هو الفاعل للإيمان فيهم لأن النور ها هنا كناية عن

الإيمان والطاعات والظلمة كناية عن الكفر والمعاصي ولا معنى

لذلك غير ما ذكرناه وإذا كان مضيفا للإخراج إليه فهو الفاعل لما

كانوا به خارجين وهذا خلاف مذهبكم

الجواب

قلنا أما النور والظلمة المذكوران في الآية فجائز أن يكون المراد بهما

الإيمان والكفر وجائز أيضا أن يراد بهما الجنة والنار والثواب والعقاب

وقد تصح الكناية عن الثواب والنعيم في الجنة بأنه نور وعن العقاب في النار

بأنه ظلمة وإذا كان المراد بهما الجنة والنار ساغ إضافة إخراجهم من الظلمات

إلى النور إليه تعالى لأنه لا شبهة في أنه جل وعز هو المدخل للمؤمن الجنة (لا صح)

والعادل به عن طريق النار والظاهر بما ذكرناه أشبه لأنه يقتضي أن

المؤمن الذي ثبت كونه مؤمنا يخرج من الظلمات إلى النور فلو حمل على

الإيمان والكفر لتناقض المعنى ولصار تقدير الكلام أنه يخرج المؤمن الذي

قد تقدم من كونه مؤمنا من الكفر الى الإيمان وذلك لا يصح وإذا كان الكلام
يقتضي الاستقبال بقي إخراج من قد ثبت كونه مؤمنا كان حمله على دخول
الجنة والعدول به عن طريق النار أشبه بالظاهر ❊ على أنا لو حملنا
الكلام على الإيمان والكفر لصح ولم يكن مقتضيا لما توهموه ويكون وجه
إضافة الإخراج إليه وإن لم يكن الإيمان من فعله من حيث دل وبين
وأرشد ولطف وسهل وقد علمنا أنه لولا هذه الأمور لم يخرج المكلف من
الكفر إلى الإيمان فيصح إضافة الإخراج إليه لكون ما عددناه من جهته
وعلى هذا يصح من أحدنا إذا أشار على غيره بدخول بلد من البلدان ورغبه
في ذلك وعرفه ما فيه من الصلاح أو مجانبة فعل من الأفعال أن يقول
أنا أدخلت فلانا البلد الفلاني وأنا أخرجته من كذا وكذا وأنتشته
منه ويكون للإضافة ما ذكرناه من الترغيب وتقوية الدواعي ألا ترى أنه وجه صح
تعالى قد أضاف إخراجهم من النور إلى الظلمات إلى الطواغيت وإن لم يدل
ذلك على أن الطاغوت هو الفاعل للكفر في الكفار بل وجه الإضافة ما

تقدم لأن الشياطين يغوون ويدعون إلى الكفر ويزينون فعله فيصح
إضافته إليهم من هذا الوجه والطاغوت هو الشيطان وحزبه وكل
عدو لله تعالى صد عن طاعته وأغرى بمعصيته يصح إجراء هذه التسمية خ وأغوى
عليه فكيف اقتضت الإضافة الأولى أن الإيمان من فعل الله في المؤمن ولم
تقتض الإضافة الثانية أن الكفر من فعل الشياطين في الكفار لولا بله [illegible] لفتن
وغفلتهم وبعد فلو كان الأمر على ما ظنوه لم صار الله تعالى وليا للمؤمنين
وناصرا لهم على ما اقتضته الآية والإيمان من فعله لا من فعلهم ولم
كان خاذلا للكفار ومضيفا لولايتهم إلى الطاغوت والكفر من فعله فيهم
ولم فصل بين الكافر والمؤمن في باب الولاية وهو المتولي لفعل الأمرين
فيهما ومثل هذا لا يذهب على أحد ولا يعرض عنه إلا معاند مغالط
لنفسه ❊ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال قال أبو بكر محمد بن القسم
الأنباري حدثنا أحمد بن حبان قال حدثنا أبو عبد الله بن النطاح قال أخبرنا
أبو عبيدة قال قال عبد الملك بن مسلم كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج

انه ليس شيء من لذة الدنيا الا وقد اصبت منه ولم يبق لي من لذة الدنيا
الا امنا قلة الاخوان الاحاديث وقبلك عامر الشعبي فابعث به الي يحدثني
فدعا الحجاج الشعبي فجهزه وبعث به اليه وقرظه واطراه في كتابه
فخرج الشعبي حتى اذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب استأذن لي
قال من انت قال عامر الشعبي قال حياك الله ثم نهض فاجلسه على كرسيه
فلم يلبث ان خرج اليه الحاجب فقال ادخل فدخل قال فدخلت فاذا
عبد الملك جالس على كرسي وبين يديه رجل ابيض الراس واللحية على كرسي
فسلمت فرد السلام ثم اوما الي بقضيب فقعدت عن يساره ثم اقبل على
الذي بين يديه فقال ويحك من اشعر الناس قال انا يا امير المؤمنين قال
الشعبي فاظلم علي ما بيني وبين عبد الملك ولم اصبر ان قلت ومن هذا
يا امير المؤمنين الذي يزعم انه اشعر الناس فعجب عبد الملك من عجلتي
قبل ان يسألني عن حالي ثم قال هذا الاخطل قلت يا اخطل اشعر
منك الذي يقول   هذا غلام حسن وجهه مستقبل الخير سريع التمام

جالس صح
كان في يده صح
خ مقبل

للحارث الاكبر والحارث الاصغر والحارث خير الانام — ثم لهند ولهند وقد اسرع في الخيرات منه امام
خمسة اباؤهم ما هم افضل من يشرب صوب الغمام

في ديوانه والاعرج

فقال عبد الملك ردها علي فرددتها حتى حفظها فقال الاخطل من
هذا يا امير المؤمنين قال هذا الشعبي قال صدق والله النابغة اشعر
مني قال الشعبي ثم اقبل علي عبد الملك فقال كيف انت يا شعبي فقلت
بخير لا زلت به ثم ذهبت لاضع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج
مع عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث فقال مه فانا لا نحتاج الى هذا
المنطق ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى تفارقنا ثم اقبل علي فقال ما
تقول في النابغة قلت يا امير المؤمنين قد فضله عمر بن الخطاب في غير موطن
على جميع الشعراء وذلك انه خرج يوما وببابه وفد غطفان فقال
يا معشر غطفان اي شعرائكم الذي يقول
حلفت فلم اترك لنفسك ريبة   وليس وراء الله للمرء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني خيانة   لمبلغك الواشي اغش واكذب

ولستَ بمستبقٍ أخًا لا تلمُّه على شعثٍ أيُّ الرجالِ المهذَّبُ

قالوا النابغة قال فأيكم الذي يقول

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسعُ

خطاطيفُ حُجنٌ في حبالٍ متينةٍ تمدُّ بها أيدٍ إليك نوازعُ

قالوا النابغة قال فأيكم الذي يقول

إلى ابنِ محرِّقٍ أعملتُ نفسي وراحلتي وقد هدتِ العيونُ

أتيتك عاريًا خلقًا ثيابي على خوفٍ تظنُّ بي الظنونُ

فألفيتُ الأمانةَ لم تخنها كذلك كان نوحٌ لا يخونُ

قالوا النابغة قال هذا أشعر شعرائكم ثم أقبل عبد الملك على الأخطل

فقال أتحبُّ أنّ لك قياضًا بشعرك شعرَ أحدٍ من العرب أم تحبُّ أنك قلته

فقال لا والله إلا أني وددتُ أني قلتُ أبياتًا قالها رجلٌ منا كان مغدفَ

القناعِ قليلَ السماعِ قصيرَ الذراعِ قال وما قال فأنشده

إنا محيّوكَ فاسلم أيها الطللُ وإن بليتَ وإن طالت بك الطِّيَلُ

كنت صح

والله صح

ليس الجديدُ به تبقى بشاشتُه إلا قليلًا ولا ذو خلّةٍ يصلُ

والعيشُ لا عيشَ إلا ما تقرُّ به عينٌ ولا حالَ إلا سوف تنتقلُ

إن ترجعي من أبي عثمانَ منجحةً فقد يهونُ على المستنجحِ العملُ

والناسُ من يلقَ خيرًا قائلون له ما يشتهي ولأمِّ المخطئِ الهبلُ

قد يدركُ المتأني بعضَ حاجتهِ وقد يكونُ مع المستعجلِ الزللُ

قال الشعبي فقلت قد قال القطامي أفضل من هذا قال وما قال قلت قال

طرقت جنوبُ رحالَنا من مطرقٍ ما كنتُ أحسبه قريبَ المعنقِ

حتى أتيت على آخر القصيدة فقال عبد الملك ثكلت القطاميَّ أمُّه هذا

والله الشعر قال فالتفت إلى الأخطل فقال يا شعبي إن لك فنونًا في

الأحاديث وإنما لنا فنٌّ واحد فإن رأيت أن لا تحملني على أكتاف

قومك فأدعهم حرضًا قلت لا أعرض لك في شيء من الشعر أبدًا

فأقلني هذه المرة قال من يكفل بك قلت أمير المؤمنين فقال عبد

الملك هو عليَّ أن لا يعرض لك أبدًا ثم قال يا شعبي أيُّ شعراء

القطامي هو عمير بن شييم من بني تغلب

المعنق يقول مصعدًا ومصوبًا

أعنق الفرس إذا أسرع في العنق

وهو سير منبسط

الجاهلية كان أشعر النساء قلت خنساء قال ولم فضلتها على غيرها

قلت لقولها

وقائلة والنعش قد فات خطوها لتدركه يا لهف نفسي على صخر

ألا ثكلت أم الذين غدوا به إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر

فقال عبد الملك أشعر والله منها ليلى الأخيلية حيث تقول

مهفهف الكشح والسربال منخرق عنه القميص لسير الليل محتقر

لا يأمن الناس ممساه ومصبحه في كل فج وإن لم يغز ينتظر

ثم قال يا شعبي لعله شق عليك ما سمعت قلت إي والله يا أمير المؤمنين

أشد المشقة إني لمحدثك منذ شهرين لم أفدك إلا أبيات النابغة في

الغلام ثم قال يا شعبي إنما أعلمناك هذا لأنه بلغني أن أهل العراق

يتطاولون على أهل الشام ويقولون إن كانوا غلبونا على الدولة

فلن يغلبونا على العلم والرواية وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق

من أهل العراق ثم ردد علي أبيات ليلى حتى حفظتها وأذن لي فانصرفت

فكنت أول داخل وآخر خارج ❊ قال سيدنا رضي الله عنه الصحيح

في الرواية أن البيتين اللذين رواهما عبد الملك ونسبهما إلى ليلى

الأخيلية لأعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب الباهلي وهذه القصيدة

من المراثي المفضلة المشهورة بالبراعة والبلاغة وهي

إني أتتني لسان لا أسر بها من علو لا عجب منها ولا سخر

فظلت مكتئبا حران أندبه وكنت أحذره لو ينفع الحذر

فجاشت النفس لما جاء جمعهم وراكب جاء من تثليث معتمر

يأتي على الناس لا يلوي على أحد حتى التقينا وكانت دوننا مضر

إن الذي جئت من تثليث تندبه منه السماح ومنه النهي والغير

تنعى امرأ لا تغب الحي جفنته إذا الكواكب أخطى نوءها المطر

وراحت الشول مغبرا مناكبها شعثا تغير منها النيّ والوبر

وألجأ الكلب موقوع الصقيع به وألجأ الحي من تنفاحها الحجر

عليه أول زاد القوم قد علموا ثم المطي إذا ما أرملوا جزر

فقد تكظّم البزل منه حين تبصره حتى تقطّع في أعناقها الجِرَرُ

أخو رغائب يعطيها ويسألها يأبى الظلامة منه النوفل الزُّفَرُ

لم تر أرضا ولم تسمع بساكنها إلا بها من نوادي وقعه أثرُ

وليس فيه إذا استنظرته عجلٌ وليس فيه إذا ياسرته عسرُ

فإن يصبك عدوٌّ في مناوأةٍ يوما فقد كنت تستعلي وتنتصرُ

من ليس في خيره منٌّ يكدّره على الصديق ولا في صفوه كدرُ

أخو شروبٍ ومكسابٌ إذا عرضا وفي المخافة منه الجِدُّ والحذرُ

مردّى حروبٍ ونورٌ يستضاء به كما أضاء سواد الظلمة القمرُ

مهفهفٌ أهضم الكشحين منخرقٌ عنه القميص لسير الليل محتقرُ

طاوي المصير على العزّاء منجردٌ بالقوم ليلة لا ماءٌ ولا شجرُ

لا يصعب الأمر إلا ريث يركبه وكل أمرٍ سوى الفحشاء يأتمرُ

لا يتأرّى لما في القدر يرقبه ولا يعضّ على شرسوفه الصَّفَرُ

لا يغمز الساق من أينٍ ولا وصبٍ ولا يزال أمام القوم يقتفرُ

لا يأمن الناس ممساه ومصبحه في كل فجٍّ وإن لم يغز ينتظرُ

تكفيه حزّة فلذٍ إن ألمّ بها من الشواء ويروي شربه الغُمَرُ

لا تأمن البازل الكوماء عدوته ولا الأمون إذا ما اخروّط السفرُ

كأنه بعد صدق القوم أنفسهم باليأس تلمع من قدّامه البشرُ

قال المبرد لا نعلم بيتا في تقدم النفس وبركة الطلعة أبرع من هذا البيت

لا يعجل القوم أن تغلي مراجلهم ويدلج الليل حتى يفسح البصرُ

عشنا به حقبةً حيًّا ففارقنا كذلك الرمح ذو النصلين ينكسرُ

أصبت في حرمٍ منّا أخا ثقةٍ هند بن أسماء لا يهني لك الظفرُ

لو لم تخنه نفيلٌ وهي خائنةٌ لصبّح القوم وردا ما له صدرُ

وأقبل الخيل من تثليث مصغيةً وضمّ أعينها اخوان او حضرُ

إما سلكت سبيلا كنت سالكها فاذهب فلا يبعدنك الله منتشرُ

وقد رويت هذه القصيدة للدعجاء أخت المنتشر وقيل لليلى أخته ولعل الشبهة الواقعة في نسبتها إلى ليلى الأخيلية من هاهنا والصحيح ما ذكرناه

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال
أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال وفد الأخطل على معوية فقال إني
قد امتدحتك بأبيات فاسمعها فقال إن كنت شبهتني بالحية أو بالأسد أو
الصقر فلا حاجة لي فيها وإن كنت قلت فيّ كما قالت الخنساء

وما بلغت كف امرئ متناولٍ بها المجد إلا حيث ما نلت أطول
وما بلغ المهدون في القول مدحة وإن صدقوا إلا الذي فيك أفضل

فهات فقال الأخطل والله لقد أحسنت وقلت بيتين ما هما بدون
ما سمعته وأنشد

إذا مت مات العرف وانقطع الغنى فلم يبق إلا من قليل مصرد
وردت أكف الراغبين وأمسكوا من الدين والدنيا بخلف مجدد

فأحسن صلته. وأخبرنا المرزباني قال أخبرنا أبو عبد الله ابرهيم بن
محمد النحوي قال أخبرنا أحمد بن يحيى أن ابن الأعرابي أنشدهم

مرنا عليه وهو يكعم كلبه دع الكلب ينبح إنما الكلب نابح

قوله يكعم كلبه أي يشد فاه خوفا أن ينبح فيدل عليه. وقال الآخر

ويكعم كلب الحي من خشية القرى ونارك كالعذراء من دونها ستر

قال وقد قال الأخطل

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولي على النار

قال أبو عبد الله وسمعت محمد بن يزيد الأزدي يقول هذا من أهجى ما هجي به
جرير لأنه جعل نارهم يطفيها البول وجعلهم يأمرون أمهم بالبول
استخفافا بها.

مجلس آخر تأويل آية. إن سأل
سائل فقال ما تأويل قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا
وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. أوليس تأويل هذه الآية
يقتضي أنه تعالى يجوز أن يزيغ القلوب عن الإيمان حتى تصح مسألته أن لا
يزيغها ويكون هذا الدعاء مفيدا. قلنا في هذه الآية وجوه أولها
أن يكون المراد بالآية ربنا لا تشدد علينا المحنة في التكليف ولا تشق علينا
فيه فيفضي بنا ذلك إلى زيغ قلوبنا بعد الهداية وليس يمتنع أن يضيفوا

ما يقع من زيغ قلوبهم عند تشديده تعالى المحنة عليهم اليه كما قال تعالى
في سورة [براءة] انها زادتهم رجسا الى رجسهم وكما قال تعالى مخبرا عن نوح
عليه السلام فلم يزدهم دعائي الا فرارا فان قيل كيف يشدد عليهم
في المحنة قلنا بان يقوي شهواتهم لما قبحه في عقولهم ونفورهم عن
الواجب عليهم فيكون التكليف عليهم بذلك شاقا والثواب المستحق عليه
عظيما متضاعفا وانما يحسن ان يجعله شاقا تعريضا لهذه المنزلة
وثانيها ان يكون ذلك دعاء بالتثبيت على الهداية وامدادهم بالالطاف
التي معها يستمرون على الايمان فان قيل وكيف يكون من يزيغ القلوب بان
لا يفعل اللطف قلنا من حيث كان المعلوم انه متى قطع امدادهم
بالطافه وتوفيقاته زاغوا وانصرفوا عن الايمان ويجري هذا مجرى قولهم
اللهم لا تسلط علينا من لا يرحمنا معناه لا تخل بيننا وبين من لا يرحمنا
فيتسلط علينا ومثله قول الشاعر

أتاني ورحلي بالمدينة وقعة لآل تميم أقعدت كل قائم

أراد أقعدها كل قائم فكأنهم قالوا لا تخل بيننا وبين نفوسنا
وتمنعنا ألطافك فنزيغ ونضل وثالثها ما أجاب به أبو علي
محمد بن عبد الوهاب الجبائي لانه قال المراد بالآية ربنا لا
تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك ومعنى هذا السؤال انهم سألوا
الله تعالى ان يلطف لهم في فعل الايمان حتى يقيموا عليه ولا يتركوه
في مستقبل عمرهم فيستحقوا بترك الايمان ان تزيغ قلوبهم
عن الثواب وان يفعل بهم بدلا منه العقاب فان قال قائل فما هذا
الثواب الذي في قلوب المؤمنين حتى زعمتم انهم سألوا الله تعالى
ان لا يزيغ قلوبهم عنه واجاب بان من الثواب الذي في قلوب المؤمنين
ما ذكره الله تعالى من الشرح والسعة بقوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام وقوله لرسوله عليه السلام ألم نشرح لك
صدرك وذكر ان ضد هذا الشرح هو الضيق والحرج اللذان يفعلان
بالكفار عقوبة قال ومن ذلك ايضا التطهير الذي يفعله في قلوب

المؤمنين وهو الذي منعه الكافرين فقال تعالى أولئك الذين لم يرد الله
أن يطهر قلوبهم ؛ قال ومن ذلك أيضا كتابته الإيمان في قلوب المؤمنين
كما قال تعالى أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ؛
وضد هذه الكتابة هي سمات الكفر التي في قلوب الكافرين فكأنهم سألوا
الله تعالى أن لا يزيغ قلوبهم عن هذا الثواب إلى ضده من العقاب ؛
ورابعها أن تكون الآية محمولة على الدعاء بأن لا يزيغ القلوب عن
اليقين والإيمان ولا يقتضي ذلك أنه تعالى سئل ما كان لا يجب أن
يفعله وما لولا المسألة لجاز فعله لأنه غير ممتنع أن ندعوه على
سبيل الانقطاع إليه والافتقار إلى ما عنده بأن يفعل ما نعلم أنه
لا بد من أن يفعله وبأن لا يفعل ما نعلم أنه واجب أن لا يفعله إذا
تعلق بذلك ضرب من المصلحة كما قال تعالى حاكيا عن إبراهيم عليه السلام ولا
تخزني يوم يبعثون وكما قال تعالى في تعليمنا ما ندعو به قل
رب احكم بالحق وربنا الرحمن وكقوله تعالى ربنا ولا تحملنا ما لا

طاقة لنا به ؛ وكل ما ذكرناه واضح بين بحمد الله ؛ قال سيدنا رضي
الله عنه وإني لأستحسن قول الراعي في وصف الأثافي والرماد فقد طبق
وصفه المفصل مع جزالة الكلام وقوته واستوائه واطراده

وأورق من عهد ابن عفان حوله حواضن آلاف على غير مشرب
وراد الأعالي أقبلت بنحورها على راشح ذي شامة متقوب
كأن بقايا لونه في متونها بقايا هناء في قلايص مجرب

الأورق الرماد وجعل الأثافي له كالحواضن لاحتضانها له واستدارتها
حوله وأراد بوراد الأعالي أن ألوانها تضرب إلى الحمرة وخص الأعالي
لأنها مواضع القدر فلا تكاد تسود والراشح هو الراضع وإنما شبه الرماد
بينهن بفصيل بين أظآر والمتقوب الذي قد انحسر أعلاه وشبه ما
سودت النار منهن بأثر قطران على قلايص جربى والمجرب الذي قد
جربت إبله ونظير هذا المعنى بعينه أعني تسويد أثر النار بالهناء
قول ذي الرمة

عفا الزُّرقُ من أطلال ميّةَ فالدَّحلُ فأجمادُ حوضى حيث زاحمها الحبلُ
سوى أن ترى سوداءَ من غير خلقةٍ تخطّاها وارتثّت جاراتها النقلُ
من الرَّضمات البيض غيّر لونها بناتُ فراض المرخ واليابس الجزلُ
كجرباءَ دُسَّت بالهناء فأُقصيت بأرضٍ خلاءٍ أن تقادَ بها الإبلُ (خ فأصبحت)
قوله سوداء من غير خلقةٍ يعني أثفيةً لأنّ السواد ليس بخلقةٍ لها (خ بها)
وإنّما سوّدتها النار وقوله تخطّاها النقل أي تجاوزها فلم تُحمل من
مكانٍ إلى مكانٍ بل بقيت مفردةً وارتثّت جاراتها يعني بجاراتها الأثافي (في س)
اللواتي كنّ معها والمرتثّ هو المنقول من مكانٍ إلى مكانٍ وأصل ذلك
في الجريح والعليل يقال ارتُثّ الرجل ارتثاثاً إذا حُمل من المعركة وبه
رمقٌ قال النضر بن شميلٍ معنى ارتُثّ صُرع وقال أبو زيدٍ هو مأخوذٌ
من قولهم ارتثّ رثّة القوم إذا جمعوا رديّ متاعهم بعد أن
يتحمّلوا من موضعهم وعلى المعنيين يليق بيت ذي الرمّة لأنّه قد
يجوز أن يريد بقوله وارتثّت جاراتها أي نُقلن عنها ويجوز أن يريد

صُرعن وبقيت ثابتةً قائمةً والرَّضمات حجارةٌ بيضٌ بعضها على
بعضٍ والفراض جمع فرضٍ وهو الحزّ يكون في الزند وعنى ببنات فراض
المرخ شرر النار الخارجة من ذلك الفرض والمرخ شجرٌ يُتّخذ منه
الزند ومن أمثالهم في كلّ شجرٍ نارٌ واستمجد المرخ والعفار
وهذا المثل يُضرب للرجل الكريم يفضل القوم ويزيد عليهم فكأنّ
المعنى كلّ قومٍ (القوم) كرامٌ وأكرمهم فلانٌ ومعنى كجرباءَ دُسّت بالهناء أنّه شبّه
الأثفية المنفردة بناقةٍ جرباءَ قد أُفردت وأُبعدت عن الإبل حتّى
لا تُجربها ولا تُعديها ومعنى دُسّت بالهناء طُليت به وفي قول
الراعي وُرّادُ الأعالي شبهٌ من قول الشمّاخ بن ضرارٍ
أقامت على ربعيهما جارتا صفاً كُميتا الأعالي جونتا مصطلاهما
يعني بربعيهما منزلي المرأتين اللتين ذكرهما ويعني بجارتا صفاً
الأثفيّتين لأنّهما مقطوعتان من الصفا الذي هو الصخر ويمكن قوله
جارتا صفاً وجهٌ آخر هو أحسن من هذا وهو أنّ الأثفيّتين توضعان

[illegible]

في

قريبا من الجبل لتكون حجارة الجبل ثالثة لهما وممسكة للقدر معهما
ولهذا تقول العرب رماه بثالثة الأثافي اي بالصخرة او الجبل وشبه
أعلاهما بلون الكميت وهو لون الحجر نفسه لأن النار لم تصل إليه فتسوده
ومصطلاهما جون أي أسود لأن النار قد سفعته وسودته وقال
الراعي في وصف الأثافي أيضا

أذاع بأعلاه وأبقى شريده ذرا مجنحات بينهن فروج
كأن بجرع الدار لما تحملوا سلائب ورقا بينهن خديج

أذاع بأعلاه يعني الرماد لأن السافي يطير ظاهره وما علا منه
وأبقى شريده أي بقي ما شرد على السافي فلم يطر وذرا مجنحات
يعني الأثافي وذرا كل شي جانبه وما استتر به منه والمجنحات
المتميلات والسلائب جمع سلوب وهي الناقة التي قد سلبت ولدها
بموت أو نحر فقد عطفت على حوار آخر والخديج الذي قد سقط
لغير تمام والورق اللواتي ألوانهن كلون الرماد وفي معنى قول

الراعي وأبقى شريده ذرا مجنحات قول المخبل السعدي

وأرى لها دارا بأغدرة السيدان لم يدرس لها رسم
إلا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم

إلا هاهنا بمعنى الواو فكأنه قال وأرى رمادا هامدا ولولا أن إلا
هاهنا بمعنى الواو لفسد الكلام ونقض آخره أوله لأنه قال في
آخر البيت إن الخوالد السحم دفعت عنه الرياح فكيف يخبر بأنه
قد درس وإنما أراد أنه باق ثابت لأن الأثافي دفعت عنه الرياح
فلم يستثنه إذ زعم جملة ما لم يدرس بل هو داخل في جملته وللراعي
أيضا في الأثافي

أنخن وهن أغفال عليها فقد ترك الصلا بهن نارا

شبه الأثافي بنوق أنخن أغفالا ليست عليهن سمة ثم أخبر أن الوقود
أثر فيهن أثرا كالسمة والنار السمة تقول العرب ما نار بعيرك أي ما
سمته وفي أمثالهم نجارها نارها أي سمتها تدل على كرمها يضرب ذلك

للرجل ترى له ظاهرا حسنا يدل على باطن خبيث   وقال عدي
ابن الرقاع العاملي

الا رواكد كلهن قد اصطلى حمراء اشعل اهلها ايقادها
كانت رواحل للقدور فعريت منهن واستلب الزمان رمادها

وقال الاسعر الجعفي

الا رواكد بينهن خصاصة شفع المناكب كلهن قد اصطلى

وقال حميد بن ثور

فتغيرت الا ملاعبها ومعرسا من جونة طهر
عرش النقاب لها بدار مقامة للحي بين نظائر وتر   خ اقامة

الجونة القدر ويقال قدر طهر وقدور طهور اذا كانت قديمة وعرش
اي جعل مثل العريش يعني الوقود والنقاب ما انقبت من الوقود
والنظائر هي الاثافي والوتر الفرد واراد انها ثلاث وقال الكميت بن زيد

ولن تحبس الظاء معطفة بالقاع لا تمكنها ولا ميل

لبثن بعوذ ولم تعطف على ربع ولا يهيب بها ذو النية الابل

يعني الاثافي وشبه تعطفها على الرماد بنوق اظآر قد عطفن
على فصيل والتمول انتصاب السنام والمبل من صفة السنام ايضا
والعايذ من النوق التي يتبعها ولدها والربع الذي ينتج في اول الربيع
والاهابة الدعا اهاب بابله اذا دعاها وذو النية الذي قد نوى
الرحيل والابل صاحب الابل   وقال ذو الرمة

عن صح

فلم يبق الا ثرى في محلة رماد نحت عنه السيول جنادله
كان الحمام الورق في الدار وقعت على جرف بين الظؤور جوازله

شبه الاثافي بحمام ورق وجعلها اظؤورا لتعطفها على الرماد وشبه
الرماد بفرخ حرق قد سقط ريشه والجوازل الفراخ واحدها
جوزل   وقال البعيث

الا حييا الربع القواء وسلما ورسما كجثمان الحمامة ادهما

قيل ان الحمامة ههنا القطاة وانه شبه لون السفع من الرماد

وموقد نار ودمنة ومجر طنب وما أشبه هذه الأشياء بألوان
ريش قطاة ومثله لجرير
كأن رسوم الدار ريش حمامة محاها البلى واستعجمت أن تكلما
ولقد أحسن كل الإحسان كثير في قوله
أمن آل قيلة بالدخول رسوم وبحومل طلل يلوح قديم
لعب الرياح برسمه فأجده جون عواكف في الرماد جثوم
سفع الخدود كأنهن وقد مضت حجج عوائد بينهن سقيم
قيل في قوله فأجده جون عواكف يعني الأثافي لأن الريح لما كشفت عنها
وظهرت صارت هي كأنها أجد الرسم ويحتمل وجها آخر وهو أن
يكون معنى أجدت أنها حمت النار التي أحاطت به عن لعب الرياح فبقي
بحاله يستدل به المتوسم فكأن الرياح درست الربع ومحته إلا ما أجنته
هذه الأثافي من الرماد ومنعت الريح منه عنه ويجري ذلك مجرى قول المخبل هامدا صح
إلا رمادا البيت وقال المرار الفقعسي في الأثافي

أثر الوقود على جوانبها بخدودهن كأنه لطم
ويقال إن أبا تمام الطائي أخذ ذلك في قوله
قفوا نعط المنازل من عيون لها في الشوق أحساء غزار
عفت آياتهن وأي ربع يكون له على الزمن الخيار
أثاف كالخدود لطمن حزنا ونؤي مثل ما انفصم السوار
وقد عاب عليه قوله لطمن حزنا بعض من لا معرفة له وقال لا فائدة
في قوله حزنا ولذلك فائدة وذلك أن لطم الحزن يكون أوجع وأبلغ
فآثاره أبين وأظهر وقد يكون اللطم لغير الحزن فأما قوله ونؤي
مثل ما انفصم السوار فمأخوذ من قول الشاعر
نؤي كما نقص الهلال محاقه أو مثل ما فصم السوار المعصم
وقد شبه الناس النؤي بالسوار والخلخال كثيرا وبغير ذلك فقال كثير
عرفت لسعدى بعد عشرين حجة بها درس نؤي في المحلة منحن
قديم كوقف العاج تثبت حوله مغارز أوتاد برضم موضن

الوقف السواد من الذبل ومن العاج والرضم صخور عظام والموضن
الذي بعضه فوق بعض وقال بشار

ونؤي كخلخال الفتاة وصائم أشج على ريب الزمان رقوب

الصائم الأشج يعني الوتد وإنما وصفه بأنه صائم لقيامه وثباته وجعله
رقوبا لانفراده والمرأة الرقوب والشيخ الرقوب الذي لا يعيش له ولد
ومن مستحسن ما وصف به النؤي قول أبي تمام

والنؤي أهمد شطره فكأنه تحت الحوادث حاجب مقرون

وقال المتنبي

قف على الدمنتين بالدو من ريا كخال في وجنة جنب خال
بطلول كأنهن نجوم في عراص كأنهن ليال ۞
ونؤي كأنهن عليهن خدام خرس بسوق خدال

الخدام جمع خدمة وهي الخلخال وجعلها خرسا لأنها غير قلقة وشبه
ما أحدق به النؤي من الأرض لعلوها بامتلاء الخلخال من الساق الخدلة

بلغت المعارضة بالأصل

بلغ

مجلس آخر تأويل آية ۞ وهي المتلية ۞

إن سأل سائل عن قوله تعالى إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا
هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا
ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة
صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر
تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول
تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق
فذبحوها وما كادوا يفعلون ۞ فقال ما تأويل هذه الآيات وهل البقرة
التي نعتت بجميع النعوت هي البقرة المرادة باللفظ الأول والتكليف واحد
والمراد واحد أو التكليف متغاير

وإذ قال موسى لقومه

الجواب ۞

قلنا أهل العلم في تأويل هذه الآية مختلفون بحسب اختلاف أصولهم
فمن جوز تأخير البيان عن وقت الخطاب يذهب إلى أن التكليف واحد

وأن الأوصاف المتأخرة هي للبقرة المتقدمة وإنما تأخر البيان ولما
سأل القوم عن الصفات ورد البيان شيئا بعد شيء ومن لم يجوز تأخير
البيان يقول إن التكليف متغاير وإنهم لما قيل لهم اذبحوا بقرة لم يكن المراد
منهم إلا ذبح أي بقرة شاؤوا من غير تعيين بصفة ولو أنهم ذبحوا أي بقرة
اتفقت لهم كانوا قد امتثلوا الأمر فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة لا فارض
ولا بكر ولو ذبحوا ما اختص بهذه الصفة من أي لون كان لأجزأ عنهم
فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح بقرة صفراء فلما لم يفعلوا كلفوا ذبح ما اختص
بالصفات الأخيرة ثم اختلف هؤلاء من وجه آخر فمنهم من قال في
التكليف الأخير إنه يجب أن يكون مستوفيا لكل صفة تقدمت حتى تكون
البقرة مع أنها غير ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها
صفراء فاقع لونها لا فارض ولا بكر ومنهم من قال إنما يجب أن تكون بالصفة
الأخيرة فقط دون ما تقدم وظاهر الكتاب بالقول الأول المبني على
جواز تأخير البيان أشبه وذلك أنه تعالى لما كلفهم ذبح بقرة قالوا للرسول

ادع لنا ربك يبين لنا ما هي فلا يخلو قولهم ما هي من أن يكون كناية عن
البقرة المتقدم ذكرها أو غير التي أمروا بها فأبوا على قول من يدعي ذلك
وليس يجوز أن يكون سألوا عن صفة غير التي تقدم ذكرها لأن الظاهر من
قولهم بعد قوله لهم اذبحوا بقرة يقتضي أن يكون السؤال عن صفة البقرة
المأمور بذبحها ولأنه لا علم لهم بتكليف ذبح بقرة أخرى فيستفهموا عنها
وإذا صح أن السؤال إنما كان عن صفة البقرة المنكرة التي أمروا في الابتداء
بذبحها فليس يخلو قوله إنها بقرة لا فارض ولا بكر من أن يكون كناية عن البقرة
الأولى أو عن غيرها وليس يجوز أن يكون ذلك كناية عن بقرة ثانية لأن ظاهر
قوله إنها بقرة من صفتها كذا بعد قولهم ما هي يقتضي أن يكون كناية
متعلقة بما تضمنه سؤالهم ولأن الأمر لو لم يكن على ما ذكرناه لم يكن ذلك
جوابا لهم بل كان يجب وإن يكونوا سألوه عن شيء فأجابهم عن غيره وهذا لا
يليق بالنبي عليه السلام وعلى أنه لما أراد أن يكلفهم تكليفا ثانيا عند تفريطهم
في الأول على ما يدعيه من ذهب إلى هذا المذهب كان يجب أن يجيب

عن سؤالهم وينكر عليهم الاستفهام في غير موضعه وتفريطهم فيما
أمروا به مما لا حاجة بهم إلى الاستفهام عنه فيقول في جواب قولهم ما
هي إنما كلفتم أي بقرة شئتم وما يستحق اسم بقرة وقد فرطتم في ترك الامتثال
ولخطأتم في الاستفهام مع وضوح الكلام لأنكم قد كلفتم تأنيا كذا
وكذا لأن هذا مما يجب عليه بيانه لإزالة الإبهام واللبس فلما لم يفعل
ذلك وأجاب بالجواب الذي ظاهره يقتضي التعلق بالسؤال علم أن الأمر
على ما ذكرناه وهب أنه لم يفعل ذلك في أول سؤال كيف لم يفعله مع
تكرر الأسولة والاستفهامات التي لم تقع على هذا المذهب موقعها
ومع تكرر المعصية والتفريط كيف يستحسن أن يكون جميع أجوبته
غير متعلقة بأسولتهم لأنهم يسألونه عن صفة شيء فيجيبهم بصفة غيره
من غير بيان بل على أقوى الوجوه الموجبة لتعلق الجواب بالسؤال لأن قول
القايل في جواب من سأله ما كذا وكذا إنه بالصفة الفلانية صريح في أن
الهاء كناية عما وقع السؤال عنه هذا مع قولهم إن البقر تشابه علينا لأنهم

لم يقولوا ذلك إلا وقد اعتقدوا أن خطابهم مجمل غير مبين فلم يقل لهم أي
تشابه عليكم وإنما أمرتم في الابتداء بأي بقرة كانت وفي الثاني بما اختص
باللون المخصوص من أي البقر كان ه فإن قيل كيف يجوز أن يأمرهم بذبح
بقرة لها جميع الصفات المذكورة إلى آخر الكلام ولا يبين لهم ذلك وهل
هذا إلا تكليف ما لا يطاق ه قلنا لم يرد منهم أن يذبحوا البقرة في الثاني
من حال الخطاب ولو كانت الفعل حاضرة لما جاز أن يتأخر البيان لأن تأخره حال صح
عن وقت الحاجة هو القبيح الذي لا شبهة في قبحه وإنما أراد أن يذبحوها
في المستقبل فلو يستفهموا ويطلبوا البيان لكان قد ورد عليهم عند الحاجة لم صح
إليه ه فإن قيل إذا كان الخطاب غير متضمن لصفة ما أمروا بذبحه فوجوده
كعدمه وهذا يخرجه من باب الفايدة ويوجب كونه عبثا ه قلنا
ليس يجب ما ظننتم لأن القول وإن لم يفد صفة البقرة بعينها فقد أفاد
تكليف ذبح بقرة على سبيل الجملة ولم يكن ذلك معلوما قبل هذا
الخطاب فصار مفيدا من حيث ذكرنا وخرج من أن يكون وجوده

لعدمه وفوائد الكلام لا يجب أن يدخلها الاقتراح وليس يخرج الخطاب
من تعلقه ببعض الفوائد كونه غير متعلق بغيرها وبما هو زيادة عليها
فإن قيل ظاهر قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون يدل على استبطائهم
وذمهم على التقصير في امتثال الأمر قلنا ليس ذلك بصريح ذم لأن كادوا
للمقاربة فقد يجوز أن يكون التكليف صعب عليهم لغلاء ثمن البقرة التي تكامل
لها تلك الصفات فقد روي أنهم ابتاعوها بملء جلدها ذهبا على أن الذم
إلى صح يقتضي ظاهره أن ينصرف تقصيرهم أو تأخيرهم امتثال الأمر بعد البيان تقدم صح
التام لأن قوله تعالى وما كادوا يفعلون إنما ورد بعد تقدم البيان التام
المكرر ولا يقتضي ذمهم على ترك المبادرة في الأول إلى ذبح بقرة فليس فيه
دلالة على ما يخالف ما ذكرناه فإن قيل لو ثبت تقدير أن التكليف في
البقرة متغاير أي القولين اللذين حكيتموهما عن أهل هذا المذهب أصح
وأشبه قلنا قول من ذهب إلى أن البقرة يجب أن تكون بالصفة الأخيرة
فقط لأن الظاهر به أشبه من حيث إذا ثبت تغاير التكليف وليس في قوله

رابعه عشره

إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض إلى آخر الأوصاف ذكر لما تقدم من
الصفات وهذا التكليف غير الأول فالواجب اعتبار ما تضمنه لفظه
والاقتصار عليه قلنا فأما الفارض فهي المسنة وقيل هي العظيمة الضخمة
يقال غرب فارض أي ضخم والغرب الدلو ويقال أيضا لحية فارضة إذا
كانت عظيمة والأشبه بالكلام أن يكون المراد المسنة فأما البكر
فهي الصغيرة التي لم تلد فكأنه تعالى قال لا تكون غير مسنة ولا صغيرة
والعوان دون المسنة وفوق الصغيرة وهي النصف التي ولدت بطنا
أو بطنين ويقال حرب عوان إذا لم تكن أول حرب وكانت ثانية وإنما
جاز أن يقول بين ذلك وبين لا تكون إلا مع اثنين أو أكثر لأن لفظة
ذلك تنوب عن الجمل تقول ظننت زيدا قائما ويقول فقد ظننت ذلك القائل صح
ومعنى فاقع لونها أي خالص الصفرة وقيل إن كل ناصع اللون بياضا
كان أو غيره فهو فاقع وقيل إنه أراد بصفراء هاهنا سوداء ومعنى
قوله لا ذلول تثير الأرض أي تكون صعبة لم يذللها العمل في إثارة

الأرض وسَقي النبع ومعنى مسلّمة مفعلة من السلامة من العيوب
وقال قوم مسلّمة من الشية اي لا شية فيها تخالف لونها وقيل لا
شية فيها اي لا عيب فيها وقيل لا وضح فيها وقيل لا لون يخالف
لون جلدها والله اعلم بما اراد واياه نسأل حسن التوفيق

قال سيدنا الشريف رضي الله عنه كنت أظن ان المتنبي قد سبق
الى معنى قوله في مرثيته لأخت سيف الدولة

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزعت فيه بآمالي الى الكذب
حتى اذا لم يدع لي صدقه أملاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

حتى رأيت هذا المعنى لمسلم بن الوليد الانصاري وللبحتري أما
الذي لمسلم فقوله في قصيدة يرثي بها سهل بن صالح

وقف العفاة عليك من متحيّر وله الرجاء وذي غنى يسترجع
ومخادع سمع النعي ودونه خطب ألم بصادق لا يخدع

وقال البحتري يرثي وصيفا التركي

اذا جد باعيه توهمت أنه يكرر من أخباره قول مازح

وكنت اظن المتنبي قد سبق الى قوله

يحل القنا يوم الطعان بعقوتي فأحرمه عرضي وأطعمه جلدي

حتى رأيت هذا المعنى واللفظ بعينه لجهم بن شبل الكلابي
من أهل اليمامة في قوله

ثنا قومه عن جد رجان وقد جنا الى الموت أمي الصفحتين كليم
أخو الحرب أما جلده فمجرح كليم وأما عرضه فسليم

وكنت اظن البحتري قد سبق الى معنى قوله في الفتح بن خاقان

حملت عليه السيف لا عزمك انثنى ولا يدك ارتدت ولا حده نبا

حتى وجدت لشاعر متقدم

طعنت ابن دهمان بنجران طعنة شققت بها عنه مضاعفة السرد
فلا الكف أوهت لي ولا الرمح خانني ولا الأدهم المنعوت جار عن القصد

[Margin, beside the bottom lines of the right-hand page:] نعود الى الشعر الى ... زاجعون [illegible]

[Left margin note:] جد رجان [illegible] ... قال ابن [illegible] اسم رجل [illegible] القصبي ... الشقاق ... امير المؤمنين علي عليه السلام ... نعللان ... وغيره اذا اقتلته ... ويجوز أن يكون من مقلوب [illegible]

قال محمد بن يحيى الصولي وصف الناس صفرة اللون في العلل فكل
حكى ذلك بلا فضيلة إلا البحتري قال أعرابي من أبيات

جعلت وما عانيت عطرا كأنما جرى بين جلدي والعظام خلوق

وقال أبو تمام

لم تشن وجهه المليح ولكن جعلت ورد وجنتيه بهارا

وقال غيره

ولم تشن شيئا ولكنها بدلت التفاح بالياسمين

وقال بكر بن عيسى الدلفي

علة زعفرت مورد خد كاد من رقة وردي يفيض

ولأحمد بن يزيد المهلبي

وقالوا عرتها حمى شديدة فوجنتها منها شديد اصفرارها
فقلت لهم هيهات هاتيك روضة مضى وردها عنها وجاء بهارها

ولأبي العتاهية

وكأنني مما تطاول بي منك السقام طليت بالورس

خ لما

وقال ابن المعتز

وصفرت علته وجهه فصار كالدينار من حقبي

وقال البحتري

بدت صفرة في لونه إن حمدهم من الدر ما اصفرت نواحيه في العقد

العقد

وجرت على الأيدي مجسة كفه كذلك موج البحر ملتهب الوقد
وما الكلب محموما وإن طال عمره ولكنما الحمى على الأسد الورد

خ إلا إنما

قال سيدنا رضي الله عنه أما تشبيهه صفرة اللون بصفرة الدر فهو
تشبيه مليح موافق لغرضه إلا أنه أخطأ في قوله إن حمدهم من الدر ما
اصفرت نواحيه في العقد لأن ذلك ليس بمحمود بل مذموم ولو شبه
وترك التعليل لكان أجود ه وروى أبو العباس أحمد بن فارس المنبجي
قال حدثني أبو أحمد عبيد الله بن يحيى البحتري قال حدثني أبي قال
حدثني جدي البحتري قال كنت عند أبي العباس المبرد فتذاكرنا

بن صح

يوما

شعر عمارة بن عقيل فقال لي لقد أحسن عمارة بن عقيل في قوله لخالد بن
يزيد لما وجه إليه بهذين البيتين

لم أستطع نشر المديحة خالد فجعلت مدحته إليه رسولا

فلترحلن إلى نائل خالد ولتكفين نواحل الترحيلا

قال البحتري فقلت له لمروان بن أبي حفصة في عبد الله [عبيد] بن طاهر وقد [بره صح]
أتاه من الجزيرة ما هو أحسن من هذا وأنشدته

لعمري لنعم الغيث غيث أصابنا ببغداد من أرض الجزيرة وابله

فكان كمن صبح الغيث أهله ولم تنتجع أظعانه ورواحله [له صح]

فقال نعم هذا أحسن فقلت إن لي في بني السمط وقد أتاني برهم من حمص
ما لا يتضع عن الجميع وأنشدته

جزا الله خيرا والجزاء بكفه بني السمط أخدان السماحة والمجد

هم وصلوني والمهامه بيننا كما ارفض غيث من تهامة في نجد

فقال هذا والله أرق مما قالا وأحسن ح وروى أحمد فارس المنبجي عن عبيد الله

ابن يحيى البحتري قال حدثني أبي عن جماعة من أهل العلم والأدب منهم
ميمون بن المنرج قال قلت لأبي عثمان الجاحظ من أنسب العرب قال
الذي يقول

عجلت إلى فضل الخمار فأثرت عذباته بمواضع التقبيل

وهذا للبحتري في القصيدة التي أولها صب يخاطب مفحمات طلول

قال سيدنا وفي نسيب هذه القصيدة بيت آخر ليس بقصر في ملاحة الكلام
ورشاقته وأخذه بمجامع القلوب عن البيت الذي فضله به الجاحظ وهو

أأخيب عندك والصبا لي شافع وأرد دونك والشباب رسولي

وفي مدح هذه القصيدة بيت معروف بفرط الحسن وهو

لا تطلبن له الشبيه فإنه قمر التأمل مؤونة التأميل

وبهذا الإسناد عن يحيى البحتري قال انصرفت يوما من مجلس أبي العباس
محمد بن يزيد المبرد فقال لي البحتري أبي ما الذي أفدت يومك هذا من أبي [على صح]
العباس فقلت أملا أخبارا حسنة وأنشدني أبياتا للحسين بن الضحاك

فقال أبي أنشدني الأبيات فأنشدته

كأني إذا فارقت شخصك ساعة … لفقدك بين العالمين غريب

وقد دمت أسباب السلو فخانني … ضمير عليه من هواك رقيب

أغرك صفحي عن ذنوب كثيرة … وغضي على أشياء منك تريب

كأن لم يكن في الناس قبلي متيم … ولم يك في الدنيا سواك حبيب

إلى الله أشكو إن شكوت فلم يكن … لشكواي من عطف الحبيب نصيب

فقال ما أحسن هذا الكلام ثم أنشدني لنفسه

(خ تلقاه)

حبيبي حبيب يكتم الناس أنه … لنا حين تلقانا العيون حبيب

يباعدني في الملتقى وفؤاده … وإن هو أبدى لي البعاد قريب

ويعرض عني والهوى منه مقبل … إذا خاف عينا أو أشار رقيب

فتنطق منا أعين حين نلتقي … وتخرس منا ألسن وقلوب

ثم قال أروها يا بني فإنهما من حسن الشعر وطريقه ۝ وروى أحمد بن فارس المنبجي عن أبي نصر محمد بن إسحق النحوي قال سمعت بعض أهل الأدب يقول للزجاج

قد كنت تعرف أبا العباس المبرد وكبره وأنه لم يكن يقوم لأحد ولا يتطاول له وينشد إذا أشرف عليه الرجل

ثهلان ذو الهضبات لا يتحلحل

ولقد رأيته يوما وقد دخل عليه رجل متدرع فقام إليه أبو العباس واعتنقه ونحى عن موضعه وأجلسه فجعل الرجل يستعفيه من ذلك فلما أكثر عليه أنشده أبو العباس

(خ أنشدني)

أنكر أن أقوم وقد بدا لي … لأكرمه وأعظمه هشام

فلا تنكر مبادرتي إليه … فإن لمثله خلق القيام

فلما انصرف الرجل سألنا (خ سألناه) عنه فقيل (خ فقال لي) هذا البحتري ۝

مجلس آخر

تأويل آية ۝ إن سائلا سأل عن قوله تعالى في قصة قابيل وهابيل حاكيا عن هابيل لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ۝ فقال كيف يجوز أن يخبر عن هابيل وقد وصفه بالتقوى والطاعة بأنه يريد أن يبوء أخوه بالإثم وذلك

ارادة القبيح وارادة القبيح قبيحة عندكم على كل حال ووجه قبحها
كونها ارادة القبيح وليس قبحها مما يتغير وكيف يصح ان يبوء القاتل باثمه
واثم غيره وهل هذا الا ما تأبونه من اخذ البريء بجرم السقيم

الجواب قلنا جواب اهل الحق عن هذه الآية معروف وهو
ان هابيل لم يرد من اخيه قبيحا ولا اراد ان يقتله وانما اراد ما اخبر الله تعالى
عنه من قوله اني اريد ان تبوء باثمي واثمك اي اني اريد ان تبوء بجزاء ما
اقدمت عليه من القبيح وعقابه وليس بقبيح ان يريد نزول العقاب المستحق
بمستحقه ونظير قوله اثمي مع ان المراد به عقوبة اثمي الذي هو قتلي قول
القائل لمن يعاقب على ذنب جناه هذا ما كسبت يداك والمعنى هذا جزاء
ما كسبت يداك وكذلك قولهم لمن يعون عليه لقاك الله عملك وستلقى عملك
يوم القيمة معناه ما ذكرناه فان قيل كيف يجوز ان تحسن ارادة عقاب
غير مستحق لم يقع سببه لان القتل على هذا القول لم يكن وقع قلنا ذلك
جائز بشرط وقوع الامر الذي يستحق به العقاب فهابيل لما رأى من اخيه

التصميم على قتله والعزم على امضاء القبيح فيه وغلب على ظنه وقوع
ذلك جاز ان يريد عقابه بشرط ان يفعل ما هم به وعزم عليه
فاما قوله باثمي واثمك فالمعنى فيه واضح لانه اراد باثمي عقاب قتلك
لي واثمك اي عقاب المعصية التي اقدمت عليها من قبل فلم يتقبل
قربانك بسببها لان الله تعالى اخبر عنهما انهما قربا قربانا فتقبل من
احدهما ولم يتقبل من الآخر وان العلة في ان قربان احدهما لم يتقبل
انه غير متق وليس يمتنع ان يريد باثمي ما ذكرناه لان الاثم مصدر
والمصادر قد تضاف الى الفاعل والمفعول جميعا وذلك مستعمل
مطرد في القرآن والشعر والكلام فمثال ما اضيف الى الفاعل قوله تعالى
ولولا دفاع الله الناس ومن اضافته الى المفعول قوله تعالى لا يسأم
الانسان من دعاء الخير ولقد ظلمك بسؤال نعجتك ومما جاء في الشعر
من اضافته الى المفعول ومعه الفاعل قول الشاعر

أمن رسم دار مربع ومصيف لعينيك من ماء الشؤون وكيف

وفي الكلام يقول القايل اعجبني ضرب عمرو خالدا اذا كان عمرو فاعلا
وضرب عمرو خالد اذا كان عمرو مفعولا وقد ذكر قوم في الآية وجها آخر
وهو ان يكون المراد اني اريد زوال ان تبوء باثمي واثمك لانه لم يرد له الا
الرشد والخير فحذف الزوال واقام ان وما اتصل به مقامه كما قال تعالى
واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اراد حب العجل فحذف الحب واقام
العجل مقامه وكما قال تعالى واسأل القرية وهذا قول بعيد لانه لا دلالة
في الكلام على محذوف وانما يحسن الحذف في بعض المواضع لاقتضاء الكلام
المحذوف ودلالته عليه وذكر ايضا وجه آخر وهو ان يكون المعنى
اني اريد ان لا تبوء باثمي واثمك اي اريد ان لا تقتلني ولا اقتلك فحذف لا
واكتفى بما في الكلام كما قال تعالى يبين الله لكم ان تضلوا معناه لان لا
تضلوا وكقوله تعالى والقى في الارض رواسي ان تميد بكم ومعناه لان لا
تميد بكم وكقول الخنساء

فاقسمت آسى على هالك واسأل نايحة ما لها

اراد لا آسى وقال امرؤ القيس

فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي

اراد لا ابرح وقال عمرو بن كلثوم

نزلتم منزل الاضياف منا فعجلنا القرى ان تشتمونا

اراد ان لا تشتمونا والشواهد في هذا كثيرة جدا وهذا
الجواب يضعفه كثير من اهل العربية لانهم لا يستحسنون اضمار لا
في مثل هذا الموضع فاما قوله تعالى حاكيا عنه لئن بسطت الى
يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك فقال قوم من المفسرين
ان القتل على سبيل الانتصار (خ الانتصاف) والمدافعة لم يكن مباحا في ذلك الوقت
وان الله تعالى امره بالصبر عليه وامتحنه بذلك ليكون هو المتولي للانتصار (خ للانتصاف)
وقال آخرون بل المعنى انك ان بسطت الي يدك مبتديا ظالما
لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك على وجه الظلم والابتداء فكانه نفى
عن نفسه القتل القبيح وهو الواقع على سبيل الظلم والظاهر من الكلام

بغير ما ذكر من الوجهين أشبه لأنه تعالى خبّر عنه أنه وإن بسط إليه أخوه
يده ليقتله لا يبسط يده ليقتله وهو مريد لقتله ومجرٍ إليه لأن هذه اللام
بمعنى كي وهي منبئة عن الإرادة والغرض ولا شبهة في حظر ذلك وقبحه
لأن المدافع إنما يحسن منه المدافعة للظالم طلباً للتخلص من غير أن يقصد
إلى قتله أو الإضرار به ومتى قصد ذلك كان في حكم المبتدئ بالقتل لأنه فاعل
لقبيح والعقل شاهد بوجوب التخلص من المضرة بأي وجه يمكن بعد أن يكون غير
قبيح فإن قيل وكأنكم تمنعون من حسن امتحان الله تعالى بالصبر على ترك
الانتصار والمدافعة وتوجبونهما على كل حال قلنا لا نمنع من ذلك وإنما
بيّنا أن الآية غير مقتضية لتحريم المدافعة والانتصاف على ما ذهب إليه
قوم لأن قوله لأقتلنك يقتضي أن يكون البسط لهذا الضرب والمدافعة لا تقتضي
ذلك ولا يحسن من المدافع أن يجري بها إلى الضرر فلا دلالة في الآية على تحريم المدافعة
ووجب أن يكون ما ذكرناه أولى بشهادة الظاهر

مجلس آخر

تأويل خبر إن سأل سائل عن معنى الخبر الذي يرويه أبو

هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لا يموت لمؤمن ثلاثة من الأولاد
فتمسه النار إلا تحلة القسم

الجواب قيل له أما أبو عبيد
القسم بن سلام فإنه قال يعني بتحلة القسم قوله تعالى وإن منكم إلا واردها
كان على ربك حتماً مقضياً فكأنه قال لا يرد النار إلا بقدر ما يبر الله قسمه
وأما ابن قتيبة فإنه قال في تأويل أبي عبيد هذا مذهب حسن من الاستخراج
إن كان هذا قسماً قال وفيه مذهب آخر أشبه بكلام العرب في معانيهم وهو
أن العرب إذا أرادوا تقليل مكث الشيء وتقصير مدته شبهوه بتحليل القسم
وذلك أن يقول الرجل بعد حلفه إن شاء الله فيقولون ما يقيم فلان عندنا إلا
تحلة القسم وما ينام العليل إلا كتحليل الألية وهو كثير مشهور قال
مزاحم بن أحمر وذكر الريح

إذا عصفت رسماً فليس بدائم ... به وتد إلا تحلة مقسم

يقول لا يثبت الوتد إلا قليلاً كتحلة القسم لأن هبوب الريح يقلعه وقال آخر
يذر ثراه

تخفي التراب بأظلاف ثمانية ... في أربع مسهن الأرض تحليل

يقول هو خفيف سريع فقوائمه لا تثبت في الأرض إلا كتحليل اليمين

قال ذو الرمة

طوى طية فوق الكرى جفن عينه ... على رهبات من جنان المحاذر

قليلا كتحليل الآلي ثم قلصت ... به شيمة روعاء تقليص طائر

الآلي جمع ألوة وهي اليمين ومعنى الحديث على هذا التأويل أن النار لا تمسه إلا قليلا كتحليل اليمين ثم تنجيه الله منها ه وقال أبو بكر محمد بن القسم الأنباري الصواب قول أبي عبيد لحجج ثلث منها أن جماعة من كبار أهل العلم فسروه على أبي عبيد ومنها أنه ادعى أن النار الذي وقعت منزلة جليلة عند الله لكن مسا قليلا والقليل لا يقع به الألم العظيم وليس صفة الأبرار في الآخرة صفة من تمسه النار لا قليلا ولا كثيرا ومنها أن أبا عبيد لم يحكم على هذا المصاب بولده بمس النار وإنما حكم عليه بالورود والورود لا يوجب أن لا يكون من الأبرار لأن إلا معناه الاستثنا المنقطع كأنه قال فتمسه النار لكن تحلة اليمين أي لكن ورود النار لا بد منه فجرى مجرى

قال محمد

تفسير صح

خ والقليل من النار يقع به

قول العرب سار الناس إلا الأثقال وارتحل العسكر إلا أهل الخيام وأنشد الفراء

وسبخة المشي شهلا قطعت بها ... أرضا يحار بها الهادون ديموما

مهاما مهما وحزونا لا أنيس بها ... إلا الضوابح والأصداء والبوما

الثعالب

وأنشد الفراء أيضا

ليس عليك عطش ولا جوع ... إلا الرقاد والرقاد ممنوع

فمعنى الحديث لا يموت للمسلم ثلثة من الولد فتمسه النار البتة لكن تحلة اليمين لا بد منها وتحلة اليمين الورود والورود لا يقع فيه مس ه قال أبو بكر وقد سنح لي فيه قول آخر وهو أن تكون إلا زايدة دخلت للتوكيد وتحلة القسم منصوب على الوقت والزمان ومعنى الخبر فتمسه النار وقت تحلة القسم وإلا زايدة قال الفرزدق شاهدا لهذا

هم القوم إلا حيث سلوا سيوفهم ... وضحوا بلحم من محل ومحرم

معناه هم القوم حيث سلوا سيوفهم وإلا موكدة وقال الأخطل

يقطعن الا من فروع يردنها ... بمدحة محمود نثاه ونايله

معناه يقطع عن الإبل من فروع يردنها والفروع الواسعة من الأرض
قال سيدنا رضي الله عنه والوجوه المذكورة في تأويل الخبر كالمتقاربة إلا
أن الوجه الذي اختص به ابن الأنباري فيه أدنى تعسف وبعد من حيث جعل إلا
زائدة وذلك كالمستضعف عند جماعة من أهل العربية وقد تبقى في الخبر مسألة العلم صح
التشاغل بالجواب عنها أولى مما تكلفه القوم وهي متوجهة على كل الوجوه
التي ذكروها في تأويله وهو أن يقال كيف يجوز أن يخبر عليه السلم بأن من مات
له ثلاثة من الولد لا تمسه النار إما جملة أو بمقدار تحلة القسم وهو النهاية
في القلة أوليس ذلك يوجب أن يكون إغراء بالذنوب لمن هذه حاله وإذا كان
من يموت له هذا العدد من الأولاد غير خارج عن التكليف فكيف يصح أن يؤمن
من العقاب والجواب عن ذلك أنا قد علمنا أولا خروج هذا الخبر مخرج المدحة
لمن هذه صفته والتخصيص له والتمييز ولا مدحة في مجرد موت الأولاد
لأن ذلك لا يرجع إلى فعله فلا بد من أن يكون تقدير الكلام أن النار لا تمس المسلم
الذي يموت له ثلاثة أولاد إذا حسن صبره واحتسابه وعزاؤه ورضاه بما

جرى به القضاء عليه لأنه بذلك يستحق الثواب والمدح وإذا كان إضمار
الصبر والاحتساب لا بد منه لم يكن في القول إغراء لأن كيفية وقوع الصبر
والوجه الذي إذا وقع عليه تفضل الله سبحانه بغفران ما العلة أن يستحقه
من العقاب في المستقبل إذا لم يكن معلوما متميزا فلا وجه للإغراء وأكثر
ما في هذا أن يكون القول مرغبا في حسن الصبر وحاثا عليه رغبة في
الثواب ورجاء الغفران ما العلة أن يستحق في المستقبل من العقاب وهذا
واضح لمن تأمله

مجلس آخر تأويل آية

بلغت المعارضة بالأصل — بلغ

إن سأل سائل عن قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
أو أشد قسوة فقال ما معنى أو هاهنا وظاهرها يفيد الشك الذي
لا يجوز عليه تعالى

الجواب

قلنا في ذلك وجوه
أولها أن تكون أو هاهنا للإباحة كقولهم جالس الحسن أو ابن سيرين
والق الفقهاء أو المحدثين ولم يريدوا الشك بل كأنهم قالوا هذان
الرجلان أهل للمجالسة وهذان القبيلان أهل للقاء فإن جالست

الحسن فأنت مصيب وان جالست ابن سيرين فأنت مصيب وان جمعت بينهما فكذلك
فيكون معنى الآية على هذا ان قلوب هولاء قاسية متجافية عن الخير والرشد
فان شبهتم قسوتها بالحجارة أصبتم وان شبهتموها بما هو أشد أصبتم وان
شبهتموها بالجميع فكذلك وعلى هذا قوله تعالى او كصيب من السماء لان أو
لم يرد بها الشك على النحو الذي ذكرناه من أنكم ان شبهتموهم بأصحاب
الصيب فجائز وان شبهتموهم بالجميع فكذلك وثانيها ان تكون أو دخلت
للتفصيل والتمييز ويكون معنى الآية ان قلوبهم قست فبعضها ما هو كالحجارة
في القسوة ومنها ما هو أشد قسوة منها ويجري ذلك مجرى قوله تعالى
وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا ومعناه وقال بعضهم كونوا
هودا وهم اليهود وقال بعضهم كونوا نصارى وهم النصارى فدخلت
أو للتفصيل وكذلك قوله تعالى وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا
أو هم قائلون معناه فجا بعض أهلها بأسنا بياتا وجا بعض أهلها
بأسنا في وقت القيلولة وقد يحتمل قوله تعالى او كصيب من السماء هذا

[illegible] صح

حاشية عشرة

الوجه ايضا ويكون المعنى ان بعضهم يشبه الذي استوقد نارا وبعضهم
يشبه أصحاب الصيب وثالثها ان تكون أو دخلت على سبيل الابهام
فيما يرجع الى المخاطب وان كان الله تعالى عالما بذلك غير شاك فيه لانه تعالى
لم يقصد في اخباره عن ذلك الى التفصيل بل علم ان خطابهم بالاجمال
ابلغ في مصلحتهم فأخبرهم ان قسوة قلوب هولاء الذين ذمهم كالحجارة
او اشد قسوة والمعنى أنها كاحد هذين لا تخرج عنهما ويجري ذلك
مجرى قولهم ما أطعمتك الا حلوا او حامضا فيبهمون على المخاطب ما
يعلمون أنه لا فائدة في تفصيله والمعنى اطعمتك الا احد هذين الضربين
وكذلك احدهم أكلت بسرة او تمرة وهو قد علم ما أكل على [illegible]
الا انه أبهمه على المخاطب وقال لبيد

تمنى ابنتاي أن يعيش ابوهما وهل انا الا من ربيعة او مضر

اراد هل انا الا من احد هذين الجنسين فسبيلي أن أفنى كما فنيا وانما حسن
ذلك لانه قصده الذي اجرى اليه وغرضه الذي نحاه وهو ان تخبر

ما صح

يقول صح

خ العيش

خ هو

خ لأن قصده

يكونه ممن يموت ويفنى ولا يخل به اجمال ما أجمل من كلامه فاضرب عن
التفصيل لأنه لا فائدة فيه ولأنه سوا كان من ربيعة او مضر فموته واجب
وكذلك الآية لأن الغرض فيها ان تخبر تعالى عن شدة قسوة قلوبهم وانها
مما لا ينثني لوعظ ولا يصغى الى الحق فسوا كانت في القسوة كالحجارة
او أشد منها قد تم ما أجري اليه من الغرض في وصفها وذمها وصار
تفصيل تشبيهها بالحجارة او بما هو أشد منها كالتفصيل لكونه من ربيعة او
مضر في انه غير محتاج اليه ولا يقتضيه الغرض في الكلام ورابعها
أن تكون او بمعنى بل كما قال تعالى وأرسلناه الى مائة ألف او يزيدون
معناه بل يزيدون وروى عن ابن عباس في قوله تعالى وارسلناه الى
مائة الف او يزيدون قال كانوا مائة ألف وبضعا واربعين الفا
وأنشد الفرا

قال ابن عصفور يحتمل ان تكون او فيه للشك

بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى وصورتها او أنت في العين املح

وقد تكون أم في الاستفهام ايضا بمعنى بل كقول القايل أضربت عبد الله
أم أنت رجل تتعنت معناه بل أنت وقال الشاعر

فوالله ما أدري أسلمى تغولت أم النوم أم كل الي حبيب

معناه بل كل وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال كيف يجوز
ان يخاطبنا تعالى بلفظة بل وهي تقتضي الاستدراك والنقض للكلام
الماضي والاضراب عنه وليس ذلك بشي اما الاستدراك فان اريد
به الاستفادة او التذكر لما لم يكن معلوما فليس يصح لأن أحدنا
قد يقول اعطيته ألفا بل الفين وقصده انه دفعه بل دفعتين وهو
عالم في ابتداء كلامه بما اخبر به في الثاني ولم يتجدد له به علم وان اريد
به الاخذ في كلام غير الماضي واستيناف زيادة عليه فهو صحيح ومثله
جائز عليه فاما النقض للكلام الماضي فليس بواجب في كل موضع تستعمل
فيه لفظة بل لأن القايل اذا قال اعطيته الفا بل الفين لم ينقض عليه
الاول وكيف ينقضه والاول داخل في الثاني وانما زاد عليه وانما
يكون نافضا للماضي اذا قال لقيت رجلا بل حمارا واعطيته درهما

بل نوبا لأن الأول لم يدخل في الثاني على وجه وقوله تعالى أو أشد قسوة
غير ناقض للأول لأنها لا تزيد في القسوة على الحجارة إلا بأن تساويها
وإنما تزيد عليها بعد المساواة وخاصيتها أن تكون أو بمعنى الواو كقوله
تعالى أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم معناه وبيوت آبائكم

قال جرير

نال الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على قدر

وقال جرير أيضا

أثعلبة الفوارس أو رياحا عدلت بهم طهية والخشابا

أراد ورياحا وقال توبة بن الحمير

وقد زعمت ليلى بأني فاجر لنفسي تقاها أو عليها فجورها

وقال آخر

فلو كان البكاء يرد شيئا بكيت على بجير أو عفاق
على المرأين إذ هلكا جميعا لشأنهما بشجو واشتياق

خ ميتا — خ لحزن واحتراق

قال ابن عصفور يحتمل أن تكون أو فيه للتفصيل كأنه قال بكيت على بجير تارة وعلى عفاق أخرى ففصل بكاءه على بجير من بكائه على عفاق

هو دليل على أن بعض أو أولى لأن قوله على المرأين بدل من بجير وعفاق فكأنه قال بكيت عليهما

في القاموس عفاق بالضم وعفاق كلاهما ابن مري أخذه الأحدب بن عمرو الباهلي في قحط وشواه وأكله

أراد على بجير وعفاق وقد حكى المفضل بن سلمة هذا الوجه
عن قطرب وطعن عليه بأن قال ليس شيء يعلم أشد قسوة عند المخاطبين
من الحجارة فيشبه به عليها وإنما يصح ذلك في قولهم أطعمتك تمرا أو أحلى منه
لأن أحلى منه معلوم واختار المفضل الوجه الذي يتضمن أن أو بمعنى بل
وهذا الذي طعن به المفضل ليس بشيء لأنهم وإن لم يشاهدوا أو يعرفوا
ما هو أشد قسوة من الحجارة فصورة قسوة الحجارة معلومة لهم ويصح أن
يتصوروا ما هو أشد قسوة منها وما له الزيادة عليها لأن قدرا ما إذا
عرف صح أن يعرف ما هو أزيد منه أو أنقص لأن الزيادة والنقصان إنما
يضافان إلى معلوم معروف على أن الآية خرجت مخرج المثل وأراد تعالى
بوصف قلوبهم بالزيادة في القسوة على الحجارة أنها قد انتهت إلى حد لا
تلين معه للخير على وجه من الوجوه وإن كانت الحجارة ربما لانت وانتفع
بها فصارت من هذا الوجه كأنها أشد قسوة منها تمثيلا وتشبيها
فقول المفضل ليس يعرفون ما هو أقسى من الحجارة لا معنى له إذا كان القول

خ معترض

على طريق المثل وبعد فإن الذي طعن به على هذا الجواب يعترض على الوجه إن صح
الذي اختاره لأنه إذا اختار أن أو في الآية بمعنى بل فكيف جاز أن يخبرهم
بأن قلوبهم أشد قسوة من الحجارة وهم لا يعرفون ما هو أقسى من الحجارة
وإذا جاز أن تقول بل قلوبهم أقسى مما يعرفون من الحجارة جاز أن يخبر عن مثل
ذلك بالواو فيقول قلوبهم كالحجارة التي يعرفون في القسوة وهي مع ذلك
تزيد عليها فإن قيل كيف تكون أو في الآية بمعنى الواو والواو للجمع وليس
يجوز أن تكون قلوبهم كالحجارة وأشد من الحجارة في حال واحدة لأن الشيء إذا
كان على صفة لم يجز أن يكون على خلافها قلنا قد أجاب بعضهم عن هذا
الاعتراض بأن قال ليس يمتنع أن تكون قلوبهم كالحجارة في حال وأشد من الحجارة
في حال أخرى فيصح المعنى ولا يتنافى وهذا قريب وتكون فائدة هذا الجواب
أن قلوب هؤلاء في بعض الأحوال مع القسوة والعدول عن قبول الحق والفكر فيه
ربما لانت بعض اللين وهمت بالانعطاف وكادت تصغي إلى الحق فتكون
في هذه الحالة كالحجارة التي ربما لانت وفي حال أخرى تكون في نهاية البعد

عن الخير والنفور عنه فتكون في هذه الحال أشد قسوة من الحجارة على أنه
يمكن في هذا الجواب عن هذا الاعتراض وجه آخر قد تقدم معناه في
بعض كلامنا وهو أن قلوبهم لا تكون أشد من الحجارة إلا بعد أن تكون
فيها قسوة الحجارة لأن القائل إذا قال فلان أعلم من فلان فقد أخبر بأنه
زائد عليه في العلم الذي اشتركا فيه فلا بد من الاشتراك ثم الزيادة فليس
ها هنا تناف على ما ظن المعترض ولا إثبات لصفة ونفيها وكل هذا واضح بين
بحمد الله . قال سيدنا رضي الله عنه وإني لأستحسن من الشعر قول الأحوص
ابن محمد الأنصاري

خ وغفري

ومولى سخيف الرأي رخو تزيده أناتي وعفوي جهله عنه ذما
دملت ولولا غيره لأصبته بشنعاء باق عارها تقرف العظما (تقر تصدع)
طوى حسدا ضغنا علي كأنما أداوي به في كل مجمعة كلما (خ ع داري)
ويجهل أحيانا فلا يستخفني ولا أجهل العتبى إذا راجع الحلما
يصد ويناى في الرخاء بوده ويدنو ويدعوني إذا خشي الهضما

فيفرج عنه إربة الخصم مشهدي وأدفع عنه عند عثرته الظلما

الإربة الدهاء والأربة العقدة وكلي المعنيين يحتمل لفظ البيت

وكنت امرأً عود الفعال تهزني مآثر مجد تالد لم يكن رغما

ولست بلاقٍ سيدا ساد مالكا فتنسبه إلا أبا لي أو عما

وكنت وشيخي في أرومة مالك بسبّي له كالكلب إذ ينبح النجما

ستعلم إن عاديتني فقع قرقر أما لا أفز لي أبالك أو غرما

لقد أبقت الأيام مني وحرسها لأعدائنا ثكلا وحسادنا رغما

وكانت عروق السوء أزرت وقصرت به أن ينال الحمد فالتمس الذما

ومن مختار قوله

إني إذا خفي اللئام رأيتني كالشمس لا تخفى بكل مكان

ما من مصيبة نكبة أمنى بها إلا تشرفني وتعظم شاني

وتزول حين تزول عن متخمط تخشى بوادره لدى الأقران

ومن جيد قوله

خليلان نايا بالهوى فتشاحنت أقاربها في وصلها وأقاربه

ألا إن أهوى الناس قربا ودوبة وريحا إذا ما الليل غارت كواكبه

ضجيع دنا مني جعلت بقربه فبات يمنيني وبت أعاتبه

وأخبره في السر بيني وبينه بأن ليس شيء عند نفسي يقاربه

وقد عبر في وجه كل من وصف المضاجعة امرؤ القيس بقوله

تقول وقد جردتها من ثيابها كما رعت مكحول المدامع أتلعا

الأتلع الطويل العنق

وجدك لو شيء أتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

فبتنا نذود الوحش عنا كأننا قتيلان لم يعلم لنا الناس مصرعا

إذا أخذتها هزة الروع أمسكت بمنكب مقدام على الهول أروعا

وقال علي بن الجهم في شدة الالتزام

سقى الله ليلا ضمنا بعد هجعة وأدنى فؤادا من فؤاد معذب

فبتنا جميعا لو تراق زجاجة من الراح فيما بيننا لم تسرب

ولعبد الصمد بن المعذل في هذا المعنى

كأنني عانقت ريحانة تنفست في ليلها البارد

فلو ترانا في قميص الدجى حسبتنا في جسد واحد

ولبشار بن برد

انني اشتهي لقاك والله فماذا عليك لو تلقاني (خ أن)

قد تلف الرياح غصنا من البان الى مثله فيلتقيان

ومثل هذا للبحتري

ولم انس ليلتنا في العناق لف الصبا بقضيب قضيبا

كما افتنت الريح في مرها فطورا خفوتا وطورا هبوبا

ولآخر مثل هذا المعنى بعينه ولسنا ندري هل سبق البحتري او تاخر عنه

وضم لا ينهنه واعتناق كما التف القضيب على القضيب

ولعلي بن الجهم

وبتنا على رغم الحسود كأننا خليطان من ماء الغمامة والخمر

وهذا وان جعله في العناق فهو ماخوذ من قول بشار

واذ نلتقي خلف الغيور كأننا سلاف عقار بالقراح مشوب (خ العيون)

والاصل في هذا المعنى قول الاخطل والناس من بعده على اثره

من الجازيات الحور مطلب سرها كبيض الانوق المستكنة في الوكر

واني واياها اذا ما لقيتها لكالماء من صوب الغمامة والخمر

وقد اخذه ايضا ابن ابي عيينة فقال

ذاك اذ روحها وروحي مزاجان كاصفى خمر باعذب ماء

واخذه العباس بن الاحنف فقال

ما انس لا انس يمناها معطفة على فؤادي ويسراها على راسي

وقولها ليته ثوب على جسدي او ليتني كنت سربالا لعباس

او ليته كان لي خمرا وكنت له من ماء مزن فكنا الدهر في كاس

ومثل هذا للبحتري

وجدت نفسك من نفسي بمنزلة هي المصافاة بين الماء والراح

ولقد احسن بشار في قوله

لقد كان ما بيني زمانا وبينها كما بين ريح المسك والعنبر الورد

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا أحمد بن محمد المكي قال حدثنا
أبو العيناء قال حدثنا العتبي عن أبيه قال سيّر الوليد بن عبد الملك الأحوص
إلى دهلك فكتب الأحوص إلى عمر بن عبد العزيز حين استخلف

وكيف ترى للنوم طعما ولذة وخالك أمسى موثقا في الحبائل
فمن يك أمسى سائلا عن شماتة ليشمت بي أو شامتا غير سائل
فقد عجمت مني الحوادث ماجدا صبورا على غماء تلك البلابل
إذا سر لم يفرح وليس لنكبة ألمت به بالخاشع المتضائل

فبعث عمر بن عبد العزيز إلى عراك بن مالك الذي كان شهد عليه وقال ما ترى
في هذا البائس فقال عراك مكانه خير له فتركه في موضعه فلما ولي يزيد بن
عبد الملك حدّ الأحوص وسيّر عراكا. قال سيدنا رضي الله عنه
وإنما كان الأحوص خال عمر بن عبد العزيز من جهة أن أم عمر هي أم عاصم بنت
عاصم بن عمر بن الخطاب وأمها أنصارية فأما قوله إذا سر لم يفرح البيت

فمأخوذ من قول لقيط بن زرارة

لا مترفا إن رخاء العيش ساعده وليس إن عض مكروه به خشعا

وللأحوص

وبطن مكة لا أبوح به قرشية غلبت على قلبي
ولو أنها إذ مر موكبها يوم الكديد أطاعني صحبي
قلنا لها حييت من شجن ولركبها حييت من ركب
والشوق أقتله برؤيتها قتل الظما بالبارد العذب
والناس إن حلوا جميعهم شعبا سلام وأنت في شعب
لحللت شعبك دون شعبهم ولكان قربك منهم حسبي

قوله والشوق أقتله برؤيتها نظير لقول جرير

فلما التقى الحيان ألقيت العصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال
أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين فقال كيف يأمرهم أن يخبروا

بما لا يعلمون أوليس ذلك أقبح من تكليف ما لا يطاق الذي تأبونه والذي ومن
جوّزوا أن يكلف الله تعالى مع ارتفاع القدرة لا يجوّزه **الجواب** قلنا
قد ذكر في هذه الآية وجهان أحدهما أن ظاهر الآية إن كان أمرا يقتضي
التعلق بشرط وهو كونهم صادقين عالمين بأنهم إذا أخبروا عن ذلك
صدقوا فكأنه قال لهم خبّروا بذلك إن علمتموه ومتى رجعوا إلى نفوسهم
فلم يعلموا فلا تكليف عليهم وهذا بمنزلة أن يقول القائل لغيره خبّرني
بكذا وكذا إن كنت تعلمه وإن كنت تعلم أنك صادق فيما تخبر به
فإن قيل أليس قد قال المفسرون في قوله تعالى إن كنتم صادقين
أن المراد به إن كنتم تعلمون بالعلة التي من أجلها جعلت خليفة في
الأرض وإن كنتم صادقين في اعتقادكم أنكم تقومون بما أنصب الخليفة
له وتضطلعون به وتصلحون له قلنا قد قيل كل ذلك وقيل أيضا
ما ذكرناه وإذا كان القول محتملا للأمرين جاز أن يبنى الكلام على كل
واحد منهما وهذا الجواب لا يتم إلا لمن يذهب إلى أن الله تعالى يصح
خ لا يتم لمن ذهب إلى أن الله تعالى لا يصح

أن يأمر العبد بشرط قد علم أنه لا يحصل ولا يحسن أن يريد منه
الفعل على هذا الوجه ومن ذهب إلى جواز ذلك صح أن يعتمد على
هذا الجواب فإن قيل فأي فائدة في أن يأمرهم بأن يخبروا عن
ذلك بشرط أن يكونوا صادقين وهو عالم بأنهم لا يتمكنون من ذلك
لفقد علمهم به قلنا من ذهب إلى الأصل الذي ذكرناه أن يقول لا
يمتنع أن يكون الغرض في ذلك هو أن يكشف بإقرارهم وامتناعهم من
الإخبار بالأسماء ما أراد تعالى بيانه من استئثاره بعلم الغيب
وانفراده بالاطلاع على وجوه المصالح في الدين فإن قيل فهذا
يرجع إلى الجواب الذي يذكرونه من بعد قلنا هو وإن رجع إلى هذا
المعنى فبينهما بون (خ فرق) من حيث كان هذا الجواب على تسليم أن الآية
تضمنت الأمر والتكليف الحقيقيين والجواب الثاني لا يسلّم فيه أن
القول أمر على الحقيقة فمن هاهنا افترقا والجواب الثالث أن يكون
الأمر وإن كان ظاهره ظاهر أمر وغير أمر على الحقيقة بل المراد به
خ القول ع

التقرير والتنبيه على مكان الحجة وقد يرد بصورة الامر ما ليس بامر خ واخبار العرب مملوءة
والقرآن والشعر وكلام العرب مملوء بذلك وتلخيص هذا الجواب ان
الله تعالى لما قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة فقالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك فقال لهم اني
اعلم ما لا تعلمون اي اطلع من مصالحكم وما هو انفع لكم في دينكم على ما اني
لا تطلعون عليه ثم اراد التنبيه على انه لا يمتنع ان يكون غير الملائكة مع
انها تسبح وتقدس وتطيع ولا تعصي اولى بالاستخلاف في الارض وان
كان في ذريته من يفسد ويسفك الدما فعلم آدم عليه السلم اسما جميع الملائكة
الاجناس او اكثرها ثم قال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين مقررا
لهم ومنبها على ما ذكرناه ودالا على اختصاص آدم بما لم يخصوا به فلما اجابوه
بالاعتراف والتسليم اليه علم الغيب الذي لا يعلمونه فقال لهم تعالى الم اقل
لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون
منبها على انه تعالى المتفرد بعلم المصالح في الدين وان الواجب على كل

مكلف ان يسلم لامره ويعلم انه لا يختار لعباده الا ما هو الاصلح لهم في
دينهم علموا وجه ذلك ام جهلوه وعلى هذا الجواب يكون قوله تعالى ان كنتم
صادقين محمولا على كونهم صادقين في العلم بوجه المصلحة في نصب الخليفة
او في ظنهم انهم يقومون بما يقوم به هذا الخليفة ويكملون به فلولا ان
الامر على ما ذكرناه وان القول لا يقتضي التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد
اعترافهم واقرارهم الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم
ما تبدون وما كنتم تكتمون معنى لان التكليف الاول لا تتغير حاله باخبارهم
آدم عليه السلم بالاسماء ولا يكون قوله اني اعلم غيب السموات والارض
الى آخر الآية الا مطابقا لما ذكرناه من المعنى دون معنى التكليف فكانه
قال تعالى اذا كنتم لا تعلمون هذه الاسما فانتم عن علم الغيب اعجز وبان
تسلموا الامر لمن يعلمه ويدبر امركم بحسبه اولى ه فان قيل كيف علمت
الملائكة بان في ذرية آدم عليه السلم من يفسد في الارض ويسفك
الدما وما طريق علمها بذلك وان كانت غير عالمة فكيف تحسن ان تخبر

عنهم بغير علم قلنا قد قيل انها لم تخبر وانما استفهمت فكانها قالت بانه
متعرفه اتجعل فيها من يفعل كذا وكذا وقيل ان الله تعالى اخبرها سيكون فيها صح
من ذريه هذا المستخلف من يعصي ويفسد في الارض فقالت على وجه
التعرف لما في هذا التدبير من المصلحة والاستفادة لوجه الحكمة فيه اتجعل
فيها من يفعل كذا وكذا وهذا الجواب الاخير يقتضي ان يكون في اول الكلام
حذف ويكون التقدير واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة
واني عالم بانه سيكون من ذريته من يفسد ويسفك الدماء فاكتفى
عن ايراد هذا المحذوف بقوله تعالى اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
لان في ذلك دلالة على الاول وانما حذف اختصارا وفي جملة جميع الكلام
اختصار شديد لانه تعالى لما حكى عنهم قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك كان في ضمن هذا الكلام
فنحن على ما نظنه ويظهر لنا من الامر اولى بذلك لانا نطيع وغيرنا يعصي
وقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون يتضمن ايضا انني اعلم من صالح المكلفين ما لا

يعلمونه وما يكون تظنونه على ظواهر الامور وفي القرآن من الحذوف العجيبة
والاختصارات الفصيحة ما لا يوجد في شيء من الكلام فمن ذلك قوله تعالى
في قصة يوسف عليه السلام والناجي من صاحبيه في السجن عند رؤيا
الملك البقر السمان والعجاف انا انبئكم بتاويله ~~فارسلون فعلوا فاتى~~
~~يوسف فقال له يوسف~~ ايها الصديق افتنا ولو بسط الكلام فاورد حذوفه
لقال انا انبئكم بتاويله فارسلون فعلوا فاتى يوسف فقال له يا يوسف
ايها الصديق افتنا ومثله قوله تعالى في الانعام قل اني امرت ان اكون
اول من اسلم ولا تكونن من المشركين اي وقيل لي ولا تكونن من المشركين
وكذلك قوله تعالى في قصة سليمن عليه السلام ولسليمن الريح غدوها شهر
ورواحها شهر واسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن
ربه ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من
محاريب الى قوله اعملوا آل داود شكرا اي وقيل لهم اعملوا آل داود
شكرا وقال الجرير

وردتم على قبس نحو مجاشع فنوتم على ساق بطي جبورها

اراد فنوتم على ساق مكسورة بطي جبورها كانه لما كان في قوله بطي جبورها دليل على الكسر اقتصر عليه وقال عنترة

هل تبلغني دارها شدنية لعنت بمحروم الشراب مصرم

يعني ناقته ومعنى لعنت دعا عليها بانقطاع لبنها وجفاف ضرعها كذلك هذا كله والناقة اذا كانت لا تنتج كان اقوى لها على السير وقال تابط شرا ويروى للشنفرى

خامري

فلا تدفنوني ان دفني محرم عليكم ولكن ابشري ام عامر

لانه اراد فلا تدفنوني بل دعوني تاكلني التي يقال لها خامري ام عامر وهي الضبع وقال اوس بن حجر

حتى اذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا

اراد لم ار كاليوم فحذف وقال ابو دواد الايادي

ان عرشيتي لبذل تلادي دون عرضي فان رضيت فكوني

اراد فكوني معي على ما انت عليه وان سخطت فبيني فحذف هذا كله وقال اخر

اذا قيل سيروا ان ليلى لعلها جرى دون ليلى مايل القرن اعضب

خ يغضب

اراد لعلها قريب وهذا باب يتسع واكثر من ان يحيط به قول والحذف غير الاختصار وقوم يظنون انهما واحد وليسا كذلك لان الحذف يتعلق بالالفاظ وهو ان ياتي بلفظ يقتضي غيره ويتعلق به ولا يستقل بنفسه ويكون في الموجود دلالة على المحذوف فيقتصر عليه طلبا للاختصار والاختصار يرجع الى المعاني وهو ان ياتي بلفظ مفيد لمعان كثيرة لو عبر عنها بغيره لاحتيج الى اكثر من ذلك اللفظ فلا حذف الا وهو اختصار وليس كل اختصار حذفا فمثال الحذف قوله ولكن خامري ام عامر ونظايره مما انشدناه لان القول غير مستغن بنفسه بل يقتضي كلاما اخر غير انه لما كان فيه دلالة على ما حذف حسن استعماله ومثال الاختصار الذي ليس بحذف قول الشاعر

اولاد جفنة حول قبر ابيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل

أراد أنهم أعزاء مقيمون بدارهم لا ينتجعون كالأعراب
فاختصر هذا المبسوط في قوله حول قباب بيتهم ومثله قول عدي بن زيد

عالم بالذي يريد نقي الصدر عف على جناه نجود
ملك ينفق الخزائن والذمة قد ردها وكادت تبود

وفي معنى الاختصار قول أوس بن حجر

وفتيان صدق لا تجم لحامهم إذا شبه النجم الصوار النوافرا

فقوله لا تجم لحامهم لفظ مختصر ولو بسطه لقال إنهم لا يدخرون
اللحم ولا يستبقونه فيجم بل يطعمونه للأضياف والطراق ومعنى
قوله إذا شبه النجم الصوار النوافرا يعني في شدة البرد وكلب
الشتاء والثريا تطلع في هذا الزمان عشاء كأنها صوار متفرق
وهذا أيضا من أن يحصى وإنما فضل الكلام الفصيح بعضه على
بعض لقوة حظه من إفادة المعاني الكثيرة بالألفاظ المختصرة
فأما قوله تعالى ثم عرضهم على الملائكة بعد ذكر الأسماء التي لا تليق

أكثر صح

بها هذه الكناية فالمراد به أنه عرض المسميات لأن الكناية لا
تليق بالأسماء ولا بد من أن تكون تلك المسميات وفيها ما يجوز
أن يكنى عنه بهذه الكناية لأنها لا تستعمل إلا في العقلاء ومن جرى
مجراهم وقيل إن في قراءة أبي ثم عرضها وفي قراءة عبد الله بن مسعود
ثم عرضهن وعلى هاتين القراءتين يصلح أن تكون عبارة عن الأسماء وقد
يبقى في هذه الآية سؤال لم نجد أحدا ممن تكلم في تفسير القرآن ولا
في متشابهه ومشكله تعرض له وهو من مهم ما يسئل عنه وذلك
أن يقال من أين علمت الملائكة لما أخبرها آدم عليه السلام بتلك الأسماء
صحة قوله ومطابقة الأسماء للمسميات وهي لم تكن عالمة بذلك من
قبل إذ لو كانت الملائكة عالمة لأخبرت بالأسماء ولم تعترف بفقد
العلم والكلام يقتضي أنهم لما أنبأهم آدم بالأسماء علموا صحتها
ومطابقتها للمسميات ولولا ذلك لم يكن لقوله ألم أقل لكم إني أعلم
غيب السموات والأرض معنى ولا كانوا مستفيدين بذلك نبوته

قال رحمه الله

أيضا صح

وتمييزه واختصاصه بما ليس لهم لأن كل ذلك إنما يتم مع العلم
دون غيره ه والجواب أنه غير ممتنع أن تكون الملائكة
في الأول غير عارفين بتلك الأسماء فلما أنبأهم آدم عليه السلم بها فعل
الله تعالى لهم في الحال العلم الضروري بصحتها ومطابقتها للمسميات إما
عن طريق أو ابتداء بلا طريق فعلموا بذلك تمييزه واختصاصه وليس لأحد
أن يقول أن ذلك يؤدي إلى أنهم علموا نبوته اضطرارا وفي هذا منافاة
طريقة التكليف وذلك أنه ليس في علمهم بصحة ما أخبر به ضرورة ما
يقتضي العلم بالنبوة ضرورة بل بعد درجات ومراتب لا بد من الاستدلال
عليها ويجري هذا أن يخبر أحدنا نبي بما فعل على سبيل التفصيل على وجه
يخرق العادة وهو وإن كان عالما بصدق خبره ضرورة لا بد له من الاستدلال
فيما بعد على نبوته لأن علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوته لكنه طريق
يوصل إليها على ترتيب ه ووجه آخر وهو أنه لا يمتنع أن تكون
للملائكة لغات مختلفة فكل قبيل منهم يعرف أسماء الأجناس في لغته
خ وكل

تلك صح

مجرى صح

دون لغة غيره إلا أن تكون إحاطة عالم واحد بأسماء الأجناس في جميع
لغاتهم خارقة للعادة فلما أراد الله تعالى التنبيه على نبوة آدم علمه
جميع تلك الأسماء فلما أخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ما خبر به من
الأسماء للغته وهذا لا يحتاج فيه إلى الرجوع إلى غيره وعلم مطابقة
ذلك لباقي اللغات بخبر كل قبيل ولا شك في أن كل قبيل إذا كانوا كثرة
وخبروا بشيء يجري هذا المجرى علم مخبرهم فإذا أخبر كل قبيل صاحبه
علم من ذلك في لغة غيره ما علمه في لغته وهذا الجواب يقتضي أن يكون
قوله أنبئوني بأسماء هؤلاء أي ليخبرني كل قبيل منكم بجميع هذه الأسماء
وهذان الجوابان جميعا مبنيان على أن آدم عليه السلم لم يتقدم لهم العلم
بنبوته وأن إخباره بالأسماء كان افتتاح معجزاته لأنه لو كان نبيا قبل ذلك
وكانوا قد علموا تقدم معجزات على يديه لم يحتج إلى هذين الجوابين معا لأنهم
يعلمون إذا كانت الحال هذه مطابقة الأسماء للمسميات بعد أن لم يعلموا
ذلك بقوله الذي قد أمنوا فيه غير الصدق وهذا بين لمن تأمله ه

ظهور صح

قال سيدنا رضي الله عنه رأيت قوما ممن تكلم على معاني الشعر في بيت
يذكرون بيت حسان بن ثابت

لم تفتها شمس النهار بشيء غير أن الشباب ليس يدوم

أن المراد به الاعتذار من كبرها وعلو سنها فكأنه قال لم تفتها
شمس النهار بشيء غير أنها كبيرة طاعنة في السن وعذرها في
ذلك أن الشباب ليس يدوم لأمثالها وهذا الذي ذكروه ليس بشيء بما
والأشبه والأولى أن يكون مراد حسان أن شمس النهار لم تفتها
بشيء غير أن شبابها مما لا يدوم ولا بد أن يلحقها الهرم الذي لا يلحق
الشمس ولم يرد أنها في الحال كذلك وكيف يريد ما توهموه مع قوله

يا لقومي هل يقتل المرء مثلي واهن البطش والعظام سؤوم

شأنها العطر والفراش ويعلوها الجمان ولؤلؤ منظوم

لو يدب الحولي من ولد الذر عليها لأندبتها الكلوم

وهذه الأوصاف لا يليق من طعن في السن من النساء ولا يوصف

بمثلها إلا الصبيان والأحداث ومن العجائب أن هذا الاستخراج على
ركاكته مسند إلى الأصمعي وما أولى من يكون نتيجة تغلغله وثمرة تولجه
مثل هذه الثمرة بالإضراب عن استخراج المعاني والبحث عنها ومما
فسره أصحاب المعاني على وجه وهو بغيره أشبه وأقل الأحوال أن
يكون محتملا للأمرين فلا يقصر على أحدهما قول الخنساء

يا صخر وراد ماء قد تناذره أهل الموارد ما في ورده عار

لأنهم يقولون مرادها بالبيت ما في ترك ورده عار ويظنون أنه متى
لم يحمل على ذلك لم تكن له فائدة ولا فيه مدح ويجرونه مجرى قول المرقش

ليس على طول الحياة ندم ومن وراء المرء ما يعلمه

وليس الأمر كما ظنوا لأنه يحتمل أن يريد أنه لا عار في ورده على ظاهر
الكلام والفائدة فيه ظاهرة لأن البيت وإن تضمن ذكر ورود الماء فهو
كناية عن ركوب الأمور الصعاب التي من جملتها إيراد الماء على غلبة وخمس
فكأنها قالت إنك تورد ما قد تناذره الناس وتركب أمرا صعبا قد نكل

عنه الخلق ولكن لك حظ في الشجاعة والبسالة ومع ذلك فلا عار عليك
في ذنوبه لانه ربما فعل الانسان فعلا يجوز به اكثر الحظ من الشجاعة
وان لحقه بعض العار من قطيعة رحم او نكث عهد او ما جرى هذا المجرى
فكانها نفت عن فعله وجوه العار وليس يجري ذلك مجرى قول المرقش
ليس على طول الحياة ندم   لان البيت متى لم يحمل على ان المراد به
ليس على فوت طول الحياة ندم لم يفد شيئا وفرقنا بين فايدة بيت الخنساء
اذ كان المراد ما ذكرناه ۞ **مجلس آخر تاويل آية** ۞ بلغت المعارضة بالاصل
ان سال سايل عن قوله تعالى واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا
اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون ۞ **الجواب** ۞
قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه اولها ان يكون المعنى وسل اتباع من
ارسلنا من قبلك من رسلنا ويجري ذلك مجرى قولهم السخا حاتم والشعر
زهير وهم يريدون السخا سخا حاتم فاقاموا حاتما مقام السخا المضاف
اليه ومثله قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله ۞ ومثله قول الشاعر

لهم مجلس صهب السبال اذلة   سواسية احرارها وعبيدها
والمامور بالسوال في ظاهر الكلام النبي صلى الله عليه وآله وهو في المعنى
لامته لانه عليه السلم لا يحتاج الى السوال لكنه خوطب خطابا امته كما
قال تعالى المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه ۞
فافرده بالمخاطبة ثم رجع الى خطاب امته فقال اتبعوا ما انزل اليكم من
ربكم ۞ وفي موضع آخر يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين فخاطبه عليه
السلم والمعنى لامته يبين ذلك بقوله ان الله كان بما تعملون خبيرا وقال تعالى
يا ايها النبي اذا طلقتم النسا فوحد وجمع في موضع واحد للمعنى الذي
ذكرناه وقال الكميت

الى السراج المنير احمد لا   تعدلني رغبة ولا رهب
عنه الى غيره ولو رفع الناس   الي العيون وارتقبوا
وقيل افرطت بل قصدت ولو   عنفني القايلون او ثلبوا
لج بتفضيلك اللسان ولو   اكثر فيك الضجاج واللجب

أنت المصفى المحض المهذب في النسبة إن نص قومك النسب
وظاهر الخطاب للنبي عليه السلام والمقصود به أهل بيته عليهم السلام
لأن أحدا من المسلمين لا يمنع من تفضيله عليه السلام والإطناب
في وصف فضائله ومناقبه ولا يعنف في ذلك أحد وإنما أراد
الكميت وإن أكثرت في مدح أهل بيته وذويه الضجاج واللجب
والتقريع والتعنيف فوجه القول إليه والانحياز إليهم والانقطاع
إلى جهتهم لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو المقصود بذلك
أجمع جاز أن يخرج الكميت الكلام هذا المخرج ويضعه هذا الموضع
وقيل إن المراد أتباع الأنبياء الذين أرسلهم هم مؤمنو أهل
الكتاب كعبد الله بن سلام ونظائره وليس يمتنع أن يكون هو
عليه السلام المأمور بالمسألة على الحقيقة كما يقتضيه ظاهر الخطاب
وإن لم يكن شاكا في ذلك ولا مرتابا به ويكون الوجه فيه تقرير
أهل الكتاب به وإقامة الحجة عليهم باعترافهم ولأن بعض مشركي

والمراد به غيره [illegible] ع

العرب أنكر أن تكون كتب الله تعالى المتقدمة وأنبياؤه عليهم السلام
الآتون بها داعية إلى التوحيد فأمر عليه السلام بتقرير أهل الكتاب
بذلك لتزول الشبهة عمن اعترضته ع والجواب الثاني
أن يكون السؤال متوجها إليه عليه السلام دون أمته والمعنى إذا لقيت
النبيين في السماء فاسألهم عن ذلك لأن الرواية قد وردت بأنه صلى الله
عليه وآله لقي النبيين في السماء فسلم عليهم وأمهم ولا يكون أمره بالسؤال
لأنه كان شاكا لأن مثل ذلك لا يجوز عليه الشك فيه لكن لبعض المصالح
الراجعة إلى الدين إما التي تخصه عليه السلام أو يتعلق ببعض الملائكة
الذين يسمعون ما يجري بينه وبين النبيين من سؤال وجواب ع
والجواب الثالث ما أجاب به ابن قتيبة وهو أن يكون المعنى وسل
من أرسلنا إليه قبلك رسلا من رسلنا يعني أهل الكتاب وهذا الجواب
وإن كان يوافق في المعنى الجواب الأول فبينهما اختلاف في تقدير الكلام
وكيفية تأويله فلهذا صارا متفرقين وقد رد على ابن قتيبة هذا

خ مفترقين

[خ اخطأ]

الجواب وقيل إنه خطأ في الإعراب لأن لفظة إليه لا يصح إضمارها
في هذا الموضع لأنهم لا يجيزون الذي جلست عبد الله على معنى الذي
جلست إليه عبد الله لأن إليه حرف منفصل عن الفعل والمنفصل
لا يضمر فلما كان القائل إذا قال الذي أكرمت أباه عبد الله لم يجز أن يضمر
أباه لانفصاله عن الفعل [خ من] كانت لفظة إليه بمنزلته وكذلك لا يجوز الذي
رغبت محمد بمعنى الذي رغبت فيه لأن الإضمار إنما يحسن في الهاء المتصلة
بالفعل كقولك الذي أكلت طعامك والذي لقيت صديقك معناهما أكلته
ولقيته وقال الفراء إنما حذفت الهاء لدلالة الذي عليها وقال غيره
في حذفها غير ذلك وكل هذا الليس مما تقدم في شيء فصح أن جواب ابن
قتيبة مستضعف والمعتمد على ما تقدم **تأويل خبر**
إن سأل سائل عن معنى ما رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله من
قوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه
قلنا أما أبو عبيد القسم بن سلام فإنه قال في تأويل هذا الخبر سألت محمد بن

الحسن عن تفسيره فقال كان هذا في أول الإسلام قبل أن تنزل الفرائض
ويؤمر المسلمون بالجهاد قال أبو عبيد كأنه ذهب إلى أنه لو كان يولد
على الفطرة ثم مات قبل أن ينصره أبواه أو يهودانه ما ورثاه وكذلك
لو ماتا قبله ما ورثهما لأنه مسلم وهما كافران وما كان أيضا يجوز أن
يسبا فلما نزلت الفرائض وجرت السنن بخلاف ذلك علم أنه يولد
على دين أبويه قال أبو عبيد وأما عبد الله بن المبارك فإنه قال هو
بمنزلة الحديث الآخر الذي يتضمن أنه عليه السلام سئل عن أطفال
المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين به يذهب إلى أنهم يولدون
على ما يصيرون إليه من إسلام أو كفر فمن كان في علمه تعالى أنه
يصير مسلما فإنه يولد على الفطرة ومن كان في علمه أنه يموت كافرا
ولد على ذلك قال أبو عبيد ومما يشبه هذا الحديث حديثه الآخر
أنه قال يقول الله عز وجل إني خلقت عبيدي جميعا حنفاء فاجتالتهم [خ فاجتالتهم]
الشياطين عن دينهم وجعلت ما أحللته لهم حراما قال أبو عبيد

نحو السوائب

يريد بذلك البحائر والسوائب وغير ذلك مما أحله الله تعالى فجعلوه
حراما. وأما ابن قتيبة فقال وقد حكى ما ذكرناه عن أبي عبيد
لست أرى ما حكاه أبو عبيد عن عبد الله بن المبارك ومحمد بن الحسن مقنعا
لمن أراد أن يعرف معنى الحديث لأنهما لم يزيدا على أن ردا على ما
قال به أهل القدر وتفسير محمد بن الحسن يدل على أن الحديث عنده
منسوخ والنسخ لا يكون في الأخبار وإنما يكون في الأمر والنهي قال
ويجوز أن يراد به على تأويل ابن المبارك بعض المولودين دون بعض لأن
مخرجه مخرج العموم قال ولا أرى معنى الحديث إلا ما ذهب إليه حماد
بن سلمة فإنه قال فيه هذا عندنا حيث أخذ العهد عليهم في أصلاب
آبائهم يريد حين مسح الله تعالى ظهر آدم فأخرج منه ذريته إلى يوم — على أنفسهم صح
القيامة أمثال الذر وأشهدهم ألست بربكم قالوا بلى فأراد عليه السلم
أن كل مولود يولد في العالم على ذلك العهد وعلى ذلك الإقرار الأول
وهو الفطرة. قال سيدنا رضي الله عنه وهذا كله تخليط وبعد

عن الجواب الصحيح والصحيح في تأويله أن قوله يولد على الفطرة
يحتمل أمرين أحدهما أن تكون الفطرة هاهنا الدين وتكون على بمعنى
اللام فكأنه قال كل مولود يولد للدين ومن أجل الدين لأن الله تعالى
لم يخلق من يبلغه مبلغ المكلفين إلا ليعبده فينتفع بعبادته يشهد
بذلك قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون والدليل على
أن على تقوم مقام اللام ما حكاه يعقوب بن السكيت عن أبي زيد
عن العرب أنهم يقولون صف علي كذا وكذا حتى أعرفه بمعنى صفه لي
ويقولون ما أغبطك علي يريدون ما أغبطك لي والعرب تقيم بعض حروف
الصفات مقام بعض فيقولون سقط الرجل لوجهه يريدون على وجهه
وقال الطرماح

كأن مخواها على ثفناتها معرس خمس وقعت للجناجن

أراد على الجناجن وقال عنترة

شربت بماء الدحرضين فأصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم

خوى البعير إذا تجافى في بروكه ومنه خوى
الرجل في سجوده وخوت المرأة عند جلوسها
على المجمرة يعني أن تخوي هذه الناقة
عند البروك [illegible]

معناه شربت الناقة من ماء الدحرضين وهما ماءان يقال لأحدهما
وسيع وللآخر دحرض فغلب الأشهر وهو الدحرض وانما ساغ أن
يريد بالفطرة التي هي الخلقة في اللغة الدين من حيث كان هو المقصود
بها وقد يجري على الشيء اسم ما له به هذا الضرب من التعلق والاختصاص
وعلى هذا يتأول قوله تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي
فطر الناس عليها أراد دين الله الذي خلق الخلق له وقوله تعالى لا تبديل
لخلق الله المراد به ان ما خلق العباد له من العبادة والطاعة ليس مما
يتغير ويختلف حتى يخلق قوما للطاعة وآخرين للمعصية ويجوز أن
يريد بذلك الأمر وإن كان ظاهره ظاهر الخبر فكأنه تعالى قال فلا تبدلوا
ما خلقكم الله له من الدين والطاعة بأن تعصوا وتخالفوا والوجه
الآخر في تأويل الفطرة أن يكون المراد به الخلقة وتكون لفظة على ظاهرها
لم يرد به غيرها ويكون المعنى كل مولود يولد على الخلقة الدالة على
وحدانية الله تعالى وعبادته والإيمان به لأنه جل وعز قد صور الخلق

الله صح

على صح

وخلقهم على وجه يقتضي النظر فيه معرفته والإيمان به وإن لم
ينظروا ويعرفوا فكأنه عليه السلم قال كل مخلوق ومولود فهو يدل
بخلقه وصورته على عبادة الله تعالى وإن عدل بعضهم فصار
يهوديا أو نصرانيا وهذا الوجه أيضا يحتمله قوله تعالى فطرة الله التي
فطر الناس عليها وإذا ثبت ما ذكرناه في معنى الفطرة فقوله عليه
السلم حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه يحتمل وجهين أحدهما أن
من كان يهوديا أو نصرانيا ممن خلقته لعبادتي وديني فإنما جعله
أبواه كذلك أو من جرى مجراهما ممن أوقع له الشبهة وقلده الضلال
عن الدين وإنما خص الأبوين لأن الأولاد في الأكثر ينشؤون على مذاهب
آبائهم ويألفون أديانهم ونحلهم ويكون الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى
عن ضلال العباد وكفرهم وأنه إنما خلقهم للإيمان فصدهم عنه
آباؤهم أو من جرى مجراهم والوجه الآخر أن يكون معنى يهودانه
وينصرانه أي يلحقانه بأحكامهما لأن أطفال أهل الذمة قد ألحق

خ خلقته

خ على معرفته وعبادة الله تعالى

خ بآبائهم

الشرع أحكامهم بأحكامهم فكأنه عليه السلام قال لا تتوهموا من حيث لحقت
أحكام اليهود والنصارى أطفالهم أنهم خلقوا لدينهم بل لم يخلقوا إلا للإيمان
والدين الصحيح لكن آباؤهم هم الذين أدخلوهم في أحكامهم بقوله يهودانه
وينصرانه وهذا واضح ٥ فأما جواب أبي عبيد الذي حكاه
عن محمد بن الحسن فإنا إذا تمكنا من حمل الخبر على وجه يسلم معه من النسخ
لم نخرج إلى غيره وإنما توهم النسخ لاعتقاده أن خلقهم على الفطرة يمنع
من إلحاقهم بحكم آبائهم وذلك غير ممتنع وأما الجواب الذي حكاه عن ابن
المبارك ففاسد لأن الله تعالى لا يجوز أن يخلق أحدا للكفر وكيف يخلقه
للكفر وهو يأمره بالإيمان ويريده منه ويعاقبه ويذمه على خلافه
فأما ما روي عنه عليه السلام وقد سئل عن أطفال المشركين فقال الله
أعلم بما كانوا عاملين فإنه يحتمل أن يكون عليه السلام إنما سئل عمن يبلغ من
أطفال المشركين كيف تكون صورته وإلى أي شيء تنتهي عاقبته فقال الله
أعلم بما كانوا عاملين وأراد أن ذلك مستور عني ولو كانت المسألة عمن اخترم

في أحكامهم الظاهرة صح

طفلا لم يجز أن يكون الجواب ذلك ٥ وأما ابن قتيبة فإنه رد على أبي عبيد
من غير وجه يقتضي الرد واعترض جواب ابن المبارك باعتبار العموم والخصوص
وترك أن يفسده من الوجه الذي يفسد به وهو الذي ذكرناه وكيف بينه
على فساده من هذه الجهة وقد اختار في تأويل الخبر ما يجري في الفساد
والاختلال مجرى تأويل ابن المبارك ٥ فأما النسخ في الأخبار فجائز
إذا تضمنت معنى الأمر والنهي ويكون ما دل على جواز النسخ في الأوامر
دالا على ذلك فيها وهذا مثل أن يقول عليه السلام الصلوة واجبة عليكم
ثم يقول بعد زمان ليست واجبة فيستدل بالثاني على نسخ الحكم الأول
كما قال صلوا ثم قال لا تصلوا كان النهي الثاني ناسخا للأول ٥ وأما الجواب لو
الذي ذكره ابن قتيبة فقد بينا فساده فيما تقدم من الأمالي عند تأويلنا
لقوله تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأفسدنا قول
من اعتقد أنه مسح ظهر آدم واستخرج منه الذرية وأشهدها على
نفوسها وأخذ إقرارها بمعرفته بوجوه من الكلام فلا طائل في إعادة ذلك ٥

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فقال ما معنى الاستثناء هاهنا والمراد التأبيد والدوام ثم ما معنى التمثيل بمدة السموات والأرض التي تفنى وتنقطع

الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه أولها أن يكون إلا وإن كان ظاهرها الاستثناء فالمراد بها الزيادة فكأنه تعالى قال خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك من الزيادة لهم على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لي عليك ألف دينار إلا الألفين اللذين أقرضتكما وقت كذا وكذا والألفان زيادة على الألف بغير شك لأن الكثير لا يستثنى من القليل وهذا الجواب يختاره الفراء وغيره من المفسرين والوجه الثاني أن يكون المعنى إلا ما شاء ربك

سابعة عشرة

من كونهم قبل دخول الجنة والنار في الدنيا وفي البرزخ الذي هو ما بين الحياة والموت وأحوال المحاسبة والعرض وغير ذلك لأنه تعالى لو قال خالدين فيها أبدا ولم يستثن لتوهم متوهم أنهم يكونون في الجنة أو النار من لدن نزول الآية أو من بعد انقطاع التكليف فصار للاستثناء وجه وفائدة معقولة والوجه الثالث أن تكون إلا بمعنى الواو والتأويل خالدين فيها ما دامت السموات والأرض وما شاء ربك من الزيادة واستشهد على ذلك بقول الشاعر

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان

معناه والفرقدان وبقول الآخر

وأرى لها دارا بأغدرة السيدان لم يدرس لها رسم
إلا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم

والمراد بإلا هاهنا الواو وإلا كان الكلام متناقضا والوجه الرابع أن يكون الاستثناء الأول متصلا بقوله لهم فيها زفير وشهيق وتقدير

الكلام لهم في النار زفير وشهيق إلا ما شاء ربك من أجناس العذاب
الخارجة عن هذين الضربين ولا يتعلق الاستثناء بالخلود ، فإن قيل
فهبوا أن هذا أمكن في الاستثناء الأول كيف يمكن في الثاني ، قلنا يحمل الثاني
على استثناء المكث في المحاسبة والموقف أو غير ذلك مما تقدم ذكره ،
والوجه الخامس أن يكون الاستثناء غير مؤثر في النقصان من الخلود والغرض
فيه أنه لو شاء أن يخرجهم ولا يخلدهم لفعل وأن التخليد إنما يكون بمشيئته تعالى
وإرادته كما يقول القائل لغيره والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وهو لا أن صح
ينوي إلا ضربه ومعنى استثنائه أني لو شئت أن لا أضربك لفعلت وتمكنت
غير أني مجمع على ضربك ، والوجه السادس أن يكون تعليق ذلك بالمشيئة
على سبيل التأكيد للخلود والتبعيد للخروج لأن الله تعالى لا يشاء إلا تخليدهم
على ما حكم به ودل عليه ويجري مجرى قول العرب والله لا هجرتك إلا أن يشيب
الغراب ويبيض القار ومعنى ذلك أني لا أهجرك أبدا من حيث علق بشرط
معلوم أنه لا يحصل وكذلك معنى الآيتين والمراد بهما أنهم خالدون أبدا إلا

أن الله تعالى لا يشاء أن يقطع خلودهم ، والوجه السابع أن يكون المراد بالذين
شقوا من أدخل النار من أهل الإيمان الذين ضموا إلى إيمانهم وطاعاتهم
المعاصي فقال تعالى إنهم معاقبون في النار إلا ما شاء ربك من إخراجهم إلى
الجنة وإيصال ثواب طاعاتهم إليهم ويجوز أيضا أن يريد بأهل الشقاء
ها هنا جميع الداخلين إلى جهنم ثم استثنى بقوله إلا ما شاء ربك أهل
الطاعات منهم ومن يستحق ثوابا لا بد أن يوصل إليه فقال إلا ما شاء
ربك من إخراج بعضهم وهم أهل الثواب وأما الذين سعدوا فإنما
استثنى من خلودهم أيضا لما ذكرناه لأن من نقل من النار إلى الجنة
وخلد فيها لا بد في الإخبار عنه بتأبيد خلوده من استثناء ما تقدم
فكأنه تعالى قال إنهم خالدون في الجنة ما دامت السموات والأرض
إلا ما شاء ربك من الوقت الذي أدخلهم فيه النار قبل أن ينقلهم إلى الجنة
والذين شقوا على هذا الجواب هم الذين سعدوا وإنما أجرى عليهم
كل لفظ في الحال التي تليق بهم فهم إذا دخلوا النار وعوقبوا فيها

من اهل الشقاء واذا نقلوا الى الجنة من اهل السعادة وقد ذهب الى هذا
الوجه جماعة من المفسرين كابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم وروى
بشر بن عمارة عن ابي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الذين شقوا ليس
فيهم كافر وانما هم قوم من اهل التوحيد يدخلون النار بذنوبهم ثم يتفضل
الله عليهم فيخرجهم من النار الى الجنة فيكونون اشقياء في حال سعداء في حال
اخرى فاما تعليق الخلود بدوام السموات والارض فقد قيل فيه ان ذلك
ذلك صح
لم يجعل شرطا في الدوام وانما علق به على طريق التبعيد وتأكيد الدوام
لان للعرب في مثل هذا عادة معروفة خاطبهم الله تعالى عليها لانهم
يقولون لا افعل كذا ما لاح كوكب وما اضاء الفجر وما اختلف الليل والنهار
وما بل بحر صوفة وما تغنت حمامة ونحو ذلك ومرادهم التأبيد والدوام
ويجري كل ما ذكرناه مجرى قولهم لا افعل كذا ابدا لانهم يعتقدون في جميع
ما ذكرناه انه لا يزول ولا يتغير وعباراتهم انما يجرونها بحسب اعتقاداتهم
لا بحسب ما يجري عليه الشيء في نفسه الا ترى ان بعضهم لما اعتقد في الاصنام

ان العبادة تحق لها سماها آلهة بحسب اعتقاده وان لم تكن في
خ الذي ذهبوا اليه
الحقيقة كذلك ومما يشهد لمذهبهم الذي حكيناه قول ابي الجويرية
العبدي
خ تغنّى
ذهب الجود والجنيد جميعا ... وعلى الجود والجنيد السلام
اصبحا ثاويين في قعر مرت ... ما تغنى على الغصون الحمام
خ مَرْو
وقال الاعشى
الست منتهيا عن نحت اثلتنا ... ولست ضائرها ما اطت الابل
وقال الآخر
لا افتأ الدهر ابكيهم باربعة ... ما اجترت النيب او حنت الى بلد
خ منبئا
وقال زهير مبينا عن اعتقاده دوام الجبال وانها لا تفنى ولا تتغير
الا لا ارى على الحوادث باقيا ... ولا خالدا الا الجبال الرواسيا
فهذا وجه وقيل ايضا في ذلك انه اراد به الشرط وعنى بالآية
دوام السموات والارض المبدلتين لانه تعالى قال يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات فاعلمنا انهما يبدلان وقد يجوز ان يديمهما

بعد التغيير ابدا بلا انقطاع وانما المنقطع هو دوام السموات
والارض قبل التبديل والفناء ويمكن ان يكون المراد انهم خالدون
بمقدار مدة السموات والارض التي يعلم الله تعالى انقطاعهما ثم
يزيدهم الله على ذلك ويخلدهم ويؤبد مقامهم وهذا الوجه يليق
بالاجوبة التي تتضمن ان الاستثناء اريد به الزيادة على المقدار
المتقدم لا النقصان قال سيدنا رضي الله عنه وجدت ابا القسم
الآمدي قد ظلم البحتري في تفسير بيت مضافا الى ظلمه له
في اشياء كثيرة تاولها على خلاف مراد البحتري حكى قوله

كالبدر الا انها لا تجتلى والشمس الا انها لا تغرب

ثم قال وهذا فيه سؤال لانه لما قال كالبدر الا انها لا تجتلى فالمعنى
ان عيون الناس صح كلهم ترى البدر وتجتليه وهي لا تراها العيون ولا تجتلى
ثم قال والشمس الا انها لا تغرب وانما قال لا تجتلى لانها محجوبة
واذا كانت في حجاب فهي في غروب لان الشمس اذا غربت فانما

تدخل تحت حجاب وظاهر المعنى كالبدر الا ان العيون لا تراها والشمس الا
ان العيون لا تفقدها قال وهذا القول متناقض كما تراه واظنه اراد قال صح
انها وان كانت في حجاب فانه لا يقال لها غربت تغرب كما يقال
للشمس وانما يقال لها اذا سافرت بعدت واغربت وغربت اذا
توجهت نحو الغرب وقد يقال للرجل اغرب عنا اي ابعد ولو استعار
لها اسم الغروب عن الارض التي تكون فيها اذا ظعنت عنها الى ارض
اخرى كان ذلك حسنا جدا لا سيما وقد جعلها شمسا كما قال
ابراهيم بن العباس الصولي

وزالت زوال الشمس عن مستقرها فمن مخبري في اي ارض غروبها

قال ويجوز ان يقول قائل انه اراد لا تغرب تحت الارض كما تغرب الشمس
وهذه معاذير ضيقة لابي عبادة وان لم يكن اخطا فقد اساء
قال سيدنا رضي الله عنه وما المخطئ غير الآمدي ومراد البحتري
بقوله اوضح من ان يذهب على متامل لانه اراد بقوله والشمس الا انها

لا تغرب أي أنها لا تصير بحيث تتعذر رؤيتها وتمتنع كما تتعذر رؤية
الشمس على من غربت عن أفق بلده والمرأة وإن احتجبت باختيارها فإن
ذلك ليس بغروب كغروب الشمس لأنها إذا شاءت ظهرت وبرزت للعيون
والشمس إذا غربت فرؤيتها غير ممكنة ولهذا لا يصح أن يقال لمن استظل
بدار أو جدار عن الشمس أنها قد غربت عنه وإن كان غير رائها الآن
رؤيتها ممكنة بزوال ذلك المانع فكذلك القول في احتجاب المرأة فلا تناقض
في بيت البحتري على ما ظنه الآمدي ولبعضهم في مثل هذا المعنى

قد قلت للبدر واستعبرت حين بدا أما فيك يا بدر لي من وجهها خلف
تبدي لنا كلما شئنا محاسنها وأنت تنقص أحيانا وتنكسف

فمعنى قوله وأنت تنقص وتنكسف جار مجرى غروب الشمس لأنه فضلها على
البدر من حيث كان بروزها للمبصر موقوفا على اختيارها والبدر
ينقص وينكسف ويغيب على وجه لا تمكن رؤيته كما فضلها البحتري بأنها
لا تغرب حتى تصير رؤيتها مستحيلة وكذلك الشمس وقد ظلم

الآمدي البحتري في قوله

لا العذل يردعه ولا التعنيف عن كرم يصده

قال الآمدي وهذا عندي من أهجى ما مدح به خليفة وأقبحه ومن ذا
يعنف الخليفة على الكرم أو يصده إن هذا بالهجو أولى منه بالمدح وللبحتري
في هذا عذر من وجهين أحدهما أن يكون الكلام خرج مخرج التقدير
فكأنه قال لو عنف وعذل لما صده ذلك عن الكرم وإن كان من حق العذل
والتعنيف أن يصد أو يحجز عن الشيء وهذا له نظائر في القرآن وفي كلام
العرب وقد مضى فيما أمليناه شيء من ذلك والوجه الآخر أن العذل
والتعنيف وإن لم يتوجها إليه في نفسه فهما موجودان في الجملة على
الإسراف في البذل والجود بنفائس الأموال ولم يقل البحتري يردعه أو تعنيفه
يصده وإنما قال لا العذل يردعه ولا التعنيف يصده فكأنه أخبر بأن ما
يسمعه من عذل العذال على الكرم وتعنيفهم على الجود وإن كان متوجها
إلى غيره فهو غير صاد له لقوة عزمته وشدة بصيرته ومما خطأ

الآمدي فيه البحتري وإن كان له فيه عذر صحيح لم يهتد إليه قوله

ذنب كما سحب الرداء يذب عن عرف وعرف كالقناع المسبل

قال الآمدي وهذا أخطأ من الوصف لأن ذنب الفرس إذا مس الأرض
كان عيبا فكيف إذا سحبه وإنما الممدوح من الأذناب ما قرب من الأرض
ولم يمسها كما قال امرؤ القيس

كميت إذا استدبرته سد فرجه بضاف فويق الأرض ليس بأعزل

قال وقد عيب امرؤ القيس بقوله

لها ذنب مثل ذيل العروس تسد به فرجها من دبر

قال وما أرى العيب يلحق امرأ القيس لأن العروس وإن كانت تسحب أذيالها
وكان ذنب الفرس إذا مس الأرض عيبا فليس بمنكر أن تشبه به الذنب
وإن لم يبلغ إلى أن يمس الأرض لأن الشيء إذا قاربه أو دنا من معناه فإذا
أشبهه في أكثر أحواله فقد صح التشبيه ولاق به وامرؤ القيس لم يقصد
أن يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط وإنما أراد السبوغ والكثرة

والكثافة ألا ترى أنه قال تسد به فرجها من دبر وقد يكون الذنب طويلا
يكاد يمس الأرض ولا يكون كثيفا فلا يسد فرج الفرس فلما قال تسد به
فرجها علمنا أنه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول فإذا أشبه الذنب الذيل
من هذه الجهة وكان في الطول قريبا منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك
بموجب للعيب وإنما العيب في قول البحتري ذنب كما سحب الرداء
فأفصح بأن الفرس يسحب ذنبه ومثل قول امرئ القيس قول خداش بن زهير

لها ذنب مثل ذيل الهدي إلى جؤجؤ أيد الزافر

والهدي العروس التي تهدى إلى زوجها والأيد الشديد والزافر الصدر
لأنها تزفر منه قال فشبه الذنب الطويل السابغ بذيل الهدي وإن لم يبلغ
في الطول إلى أن يمس الأرض قال سيدنا رضي الله عنه وللبحتري
وجه في العذر يقرب من عذر امرئ القيس في قوله مثل ذيل العروس غير
أن الآمدي لم يفطن له وأول ما نقوله أن الشاعر لا يجب أن يؤخذ عليه
في كلامه التحقيق والتحديد فإن ذلك متى اعتبر في الشعر بطل جميعه

وكلام القوم مبني على التوسع والتجوز والإشارة الخفية والإيماء إلى
المعاني تارة من بعد وأخرى من قرب لأنهم لم يخاطبوا بشعرهم
الفلاسفة وأصحاب المنطق وإنما خاطبوا من يعرف أوضاعهم ويفهم أغراضهم
وإنما أراد البحتري بقوله ذنب كما سحب الرداء المبالغة في وصفه بالطول
والسبوغ وأنه قد قارب أن يسحب ويكاد يمس الأرض ومن شأن العرب
أن تجري على الشيء الوصف الذي قد كاد يستحقه وقرب منه القرب الشديد
فيقولون قد قتل فلانا هوى فلانة ودله عقله وأزال تمييزه وأخرج
نفسه وكل ذلك لم يقع وإنما أرادوا المبالغة وإفادة المقاربة
والمشارفة ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى ومن شأنهم أيضا إذا أرادوا
المبالغة التامة أن يستعملوا مثل هذا فيشبهوا الكفل بالكثيب وبالدعص
وبالتل ويشبهون الخصر بوسط الزنبور وبمدار حلقة الخاتم ويعدون
هذا غاية المدح وأحسن الوصف ونحن نعلم أنا لو رأينا من خصره بمقدار
وسط الزنبور وكفله كالكثيب العظيم لاستبدعناه واستقبحنا صورته

خ ودلّه — خ وتيّمه — خ وبمقدار — خ لا

لتفاوتهما وقبحهما وإنما أتوا بألفاظ المبالغة صنعة وتأنقا إلا لتحمل على
ظواهرها تحديدا وتحقيقا بل لتفهم منها الغاية المحمودة والنهاية المستحسنة
وتترك ما وراء ذلك فكأنا نفهم من قولهم إن خصرها كخصر الزنبور أنه في نهاية
الدقة المستحسنة في البشر ومن قولهم كفلها كالكثيب أنه في نهاية الوثارة
المطلوبة المحمودة لا أنه كالتل على التحقيق فهكذا لا ينكر أن يريد البحتري
بقوله كما سحب الرداء أنه في غاية الطول الممدوح لا أنه يجر على الأرض في
الحقيقة ووكلنا في تلخيص معناه وتفصيله إلى العادة الجارية لنظرائه
من الشعراء في استعمال مثل هذا اللفظ الذي استعمله وقد قال بعضهم في
ثقل العجيزة

تمشي فتثقلها روادفها فكأنها تمشي إلى خلف

وقال المؤمل

من رأى مثل حبتي تشبه البدر إذ بدا
تدخل اليوم ثم تدخل أردافها غدا

وقال ذو الرمة

ورمل كأوراك العذارى قطعته وقد جللته المظلمات الحنادس

المحمود ع

وكل هذا الكلام لو حمل على ظاهره وحقيقته لكان الموصوف
في نهاية القبح لأن من يمشي إلى خلف ومن يدخل كفله بعده لا
يكون مستحسنا وقال بكر بن النطاح

فرعاء تسحب من قيام شعرها وتغيب فيه وهو جثل أسحم
فكأنها فيه نهار مشرق (خ ساطع) وكأنه ليل عليها مظلم

فوصف شعرها بأنه ينسحب مع قيامها ونحن نعلم أن طول الشعر
وإن كان مستحسنا فليس إلى هذا الحد وإنما أراد بقوله تسحب شعرها
ما أراده البحتري بقوله كما سحب الرداء من المبالغة في الوصف بالطول
المحمود دون المذموم

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن
الظالمون اليوم في ضلال مبين فقال ما تأويل هذه الآية
وإن كان المراد بها التعجب من قوة أسماعهم ونفاذ أبصارهم فكيف
يطابق ما أخبر به عنهم في مواضع كثيرة من الكتاب بأنهم لا يبصرون

بلغ المعارضة بالأصل
بلغ بلغ القراءة

ولا يسمعون وأن على أبصارهم وأسماعهم غشاوة وما معنى قوله
لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وأي يوم هو المشار إليه وما المراد
بالضلال المذكور في الآية

الجواب

قلنا أما قوله تعالى أسمع
بهم وأبصر فهو على مذهب العرب تجري مجرى قولهم ما أسمعه وأبصره
والمراد بذلك الإخبار عن قوة علومهم بالله تعالى في تلك الحال وأنهم
عارفون به على وجه لا اعتراض للشبهة عليه وهذا يدل على أن أهل
الآخرة عارفون بالله تعالى ضرورة ولا تنافي بين هذه الآية وبين الآيات
التي أخبر عنهم فيها بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون وبأن على أبصارهم
غشاوة لأن تلك الآيات تناولت أحوال التكليف وهي الأحوال التي
كان الكفار فيها ضلالا عن الدين جاهلين بالله تعالى وصفاته وهذه
الآية تناولت يوم القيمة وهو المعني بقوله تعالى يوم يأتوننا لكن
وأحوال القيمة لا بد فيها من المعرفة الضرورية ويجري هذه الآية
مجرى قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك

اليوم صح
في الآية صح
وما صح

اليوم جديد ﻫ فأما قوله تعالى لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين
فيحتمل أن يريد بقوله اليوم الدنيا وأحوال التكليف ويكون الضلال
المذكور إنما هو الذهاب عن الدين والعدول عن الحق وأراد تعالى أنهم في
الدنيا جاهلون وفي الآخرة عارفون بحيث لا تنفعهم المعرفة ويحتمل
أن يريد باليوم يوم القيمة ويعني بالضلال العدول عن طريق الجنة
ودار الثواب إلى دار العقاب فكأنه تعالى قال أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا
غير أنهم مع معرفتهم هذه وعلمهم يصيرون في هذا اليوم إلى العقاب
ويعدل بهم عن طريق الثواب وقد روي معنى هذا التأويل عن جماعة
من المفسرين فروي عن الحسن في قوله تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا
قال يقول هم يوم القيامة سمعا بصرا لكن الظالمون اليوم في الدنيا
ليسوا سمعا ولا بصرا ولكنهم في ضلال عن الدين مبين ﻫ وقال قتادة
وابن زيد ذلك والله يوم القيمة سمعوا حين لم ينفع السمع وأبصروا
حين لم ينفعهم البصر ﻫ وقال أبو مسلم بن بحر في تأويل هذه الآية كلاما

جيدا قال معنى أسمع بهم وأبصر ما أسمعهم وما أبصرهم وهذا على طريق
المبالغة في الوصف يقول فهم يوم يأتوننا أي يوم القيمة بصرا سمعا
أي عالمون وهم اليوم في دار الدنيا في ضلال مبين أي جهل واضح قال
وهذه الآية تدل على قوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون ليس معناه
الآفة في الأذن والعين والجوارح بل هو أنهم لا يسمعون عن قدرة ولا يتدبرون
ما يسمعون ولا يعتبرون بما يرون بل هم عن ذلك غافلون فقد ترى
أنه جعل قوله تعالى لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين مقابلا لقوله أسمع
بهم وأبصر يوم يأتوننا أي ما أسمعهم وأبصرهم فأقام السمع والبصر مقام
الهدى إذ جعله بإزاء الضلال المبين ﻫ وأما أبو علي محمد بن عبد الوهاب
فإنه اختار في تأويل هذه الآية غير هذا الوجه ونحن نحكي كلامه
على الوجه (خ وجهه) قال وعنى بقوله أسمع بهم وأبصر أي أسمعهم وبصرهم وبين
لهم أنهم إذا أتوا مع الناس إلى موضع الجزاء سيكونون في ضلال عن
الجنة وعن الثواب الذي يناله المؤمنون والظالمون الذين ذكرهم الله هم

هؤلاء الذين توعدهم الله بالعذاب ويجوز أيضا أن يكون عنى بقوله
أسمع بهم وأبصر أي أسمع الناس بهؤلاء الأنبياء وأبصرهم بهم ليعرفوهم بهم
ويعرفوا أخبارهم فيؤمنوا ويقتدوا بأعمالهم وأراد بقوله لكن الظالمون
من كفر بهم من الظالمين اليوم وهو يعني يوم القيامة في ضلال عن
الجنة وعن نيل الثواب مبين وهذا الموضع من جملة المواضع التي
استدركت على أبي علي ونسبت فيها إلى الزلل لأن الكلام وإن كان
محتملا لما ذكره بعض الاحتمال من بعد فإن الأولى والأظهر في معناه
ما تقدم ذكره من المبالغة في وصفهم وقوله لكن الظالمون اليوم في
ضلال مبين بعد ما تقدم لا يليق إلا بالمعنى الذي ذكرناه لا سيما إذا
حمل اليوم على أن المشار به إلى يوم القيامة على أن أبا علي جعل قوله
لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين من صلة قوله أسمعهم وأبصرهم وتأوله
على أن المعنى به أعلمهم وبصرهم بأنهم يوم القيامة في ضلال عن الجنة مبين صح
والكلام يشهد بأن ذلك لا يكون من صلة الأول وأن قوله لكن استئناف

الكلام ثان وما يحتاج أبو علي إلى هذا بل لو قال على ما اختاره من التأويل
إنه أراد أسمعهم وأبصرهم يوم يأتوننا أي ذكرهم بأهواله وأعلمهم بما فيه
ثم قال مستأنفا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين لم يحتج إلى ما ذكره
وكان هذا أشبه بالصواب فأما الوجه الثاني الذي ذكره فباطل
لأن قوله أسمع بهم وأبصر إذا تعلق بالأنبياء الذين ذكرهم بقي قوله يوم
يأتوننا بلا عامل ومحال أن يكون ظرف لا عامل له فالأقرب أن يكون
على الوجه الأول مفعولا وجدت بعض من اعترض على أبي علي
بقوله رادا عليه لو كان الأمر على ما ذهب إليه أبو علي لوجب أن يقول
أسمعهم وأبصرهم بغير باء وهذا الرد غير صحيح لأن الباء في مثل هذا
الموضع غير منكر زيادتها وذلك موجود كثير في القرآن والشعر
قال الله تعالى اقرأ باسم ربك الذي خلق وعينا يشرب بها عباد
الله وهزي إليك بجذع النخلة وتلقون إليهم بالمودة
وقال الأعشى ضمنت برزق عيالنا أرماحنا وقال امرؤ القيس

خ لا علاقة له بذلك فالأقرب أن

هصرت بغصن ذي شماريخ ميال ۞ وأظن أبا علي إنما آنسه بهذا
الجواب أنه وجد تاليا للآية لفظ أمر وهو قوله تعالى وأنذرهم يوم
الحسرة ۞ فحمل الأول على الثاني والكلام لا تشتبه معانيه
من حيث المجاورة بل الواجب أن يوضع كل منه حيث يقتضيه
معناه ۞ ووجدت جماعة من أهل الأدب يستبعدون أن يرتج
على إنسان في خطبة أو كلام قصد له فينبعث منه في تلك الحال كلام
هو أحسن مما قصد إليه وأبلغ مما أرتج عليه دونه ويقولون إن النسيان
لا يكون إلا عن حيرة وضلالة فكيف تجتمع معهما البراعة والبلاغة
المأثورة مع حاجتهما إلى اجتماع الفكر وحضور الذكر وينسبون جميع ما
يحكى من كلام مستحسن ولفظ مستغرب عن حصر في خطبة أو منطق
إلى أنه موضوع مصنوع وليس الذي استبعدوه ببعيد ولا منكر
لأن النسيان قد يخص شيئا دون شيء ويتعلق بجهة دون جهة وهذا
أمر متعارف فلا ينكر أن ينسى الإنسان شيئا قصده وعزم على الكلام

ثامنة عشر

فيه ويكون مع ذلك ذاكرا الغيره متكلما فيه بأبلغ الكلام وأحسنه
بل ربما كان الحصر والذهاب عن المقصد بحميان الغريزة ويوفران
الفكرة فيبعثان على أحسن الكلام وأبرعه ليكون ذلك هربا من
العي وانتفاء من اللكنة ومن حسن ما روي من الكلام في حال الحصر
والانقطاع عن المقصود ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني
قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال المرزباني وأخبرنا ابن دريد
مرة أخرى قال حدثنا السكن بن سعيد عن محمد بن عباد عن ابن
الكلبي قال صعد خالد بن عبد الله القسري يوما المنبر بالبصرة فأرتج
عليه فقال أيها الناس إن الكلام ۞ وقال أبو حاتم إن هذا القول يجيء
أحيانا ويذهب أحيانا فيتسبب عند مجيئه سببه ويعز عند عزوبه
طلبه وربما كوبر فأبى وعولج فأبطأ ۞ وقال ابن الكلبي ربما طلب
فأبى وعولج فقسا فالتأني لمجيئه أصوب من التعاطي لأبيه ثم نزل
فما رئي حصر أبلغ منه ۞ وقال أبو حاتم والترك لأبيه أفضل من التعاطي

المحبه وتجاوزه عند تعذره اولى من طلبه عند تترجحه وقد تختلج
من الجري جنانه ويرتج على البليغ لسانه ثم نزل واخبرنا بهذا الخبر
[المرزباني صح] ابو عبيد الله على وجه آخر قال اخبرنا ابرهيم بن محمد بن عرفة الواسطي
قال كان خالد بن عبد الله القسري حين ولاه هشام بن عبد الملك يكثر
الخطب والتبالغ فقدم واسطا فصعد المنبر فحاول الخطبة فارتج
عليه فقال ايها الناس ان هذا الكلام يجي احيانا ويعزب احيانا فيعز
عند عزوبه طلبه ويتسبب عند مجيه سببه وربما كوبر فابي وعوسر
فقسا والتاني لمجيه اسهل من التعاطي لابيه وتركه عند تعذره احمد [من التعرض لطلبه صح]
من طلبه عند تنكره فقد يرتج على البسيط لسانه فلا ينظره القول [خ ينظر بالقول]
اذا اتسع ولا يتبسق اذا امتنع ومن امكن له الحظوة فخليق ان تعن له
النبوة واخبرنا المرزباني قال اخبرنا ابو عبد الله ابرهيم بن محمد بن عرفة
قال حدثنا ابو العباس المنصوري قال صعد ابو العباس السفاح المنبر
فارتج عليه فقال ايها الناس انما اللسان بضعة من الانسان يكل اذا كل

وينفسح بانفساحه اذا انفسح نحن امرا الكلام منا تفرعت فروعه
وعلينا تهدلت غصونه الا وانا لا نتكلم هذرا ولا نسكت الا معتبرين
ثم نزل فبلغ ذلك ابا جعفر فقال لله هو لو خطب بمثل ما اعتذر لكان
من اخطب الناس وهذا الكلام يروى لداود بن علي وبهذا الاسناد
عن محمد بن الصباح عن قثم بن جعفر بن سليمن عن ابيه قال اراد ابو العباس
السفاح ان يتكلم في امر من الامور بعد ما افضت الخلافة اليه وكان
فيه حيا مفرط فارتج عليه فقال داود بن علي بعد ان حمد الله واثنى
عليه ان امير المومنين الذي قلده الله سياسة رعيته عقل من لسانه [ايها الناس صح]
عند ما انعهد من بيانه ولكل مرتق بهر حتى تنفسه العادات فابشروا
بنعمة الله في صلاح دينكم [خ دنياكم] ورغد عيشتكم واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال اخبرني ابرهيم بن محمد بن عرفة قال حدثنا عبد الله [خ عبيد] بن اسحق بن سلام
قال صعد عثمان بن عفان المنبر فارتج عليه فقال ايها الناس سيجعل
الله بعد عسر يسرا وبعد عي نطقا وانكم الى امام فعال احوج منكم

الى امام فوالله وروى محمد بن يزيد النحوي هذا الكلام بعينه عن
زياد بن أبي سفين وقد خطب على بعض منابر الشام وان عمرو بن العاص
لما بلغه كلامه قال هو مخرجاني من الشام استحسانا لكلامه
وروى محمد بن يزيد النحوي قال بلغني أن رجلا صعد المنبر ايام يزيد
وكان واليا على قوم فقال لهم أيها الناس انى ان لا اكن فارسا
طبا بهذا القرآن فان معي من أشعار العرب ما ارجوا ان يكون خلفا
منه وما اسا اخو البراجم حيث يقول

وما عاجلات الطير يدنين للفتى رشادا ولا عن ريثهن يخيب
ورب امور لا تضيرك ضيرة وللقلب من مخشاتهن وجيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على حادثات الدهر حين تنوب
وفي الشك تفريط وفي الحزم قوة ويخطي الفتى في حدسه ويصيب

فقال له رجل من كلب ان هذا المنبر لم ينصب للشعر بل ليحمد الله عليه
ويصلى على النبي صلى الله عليه وآله وللقرآن فقال أما لو أنشدتكم شعر رجل

[illegible]

من كلب لسركم فكتب الى يزيد بن الكلبي فعزله وقال كنت ارى انك جاهل
ولم أحسب أن الحمق بلغ بك هذا كله فقال أحمق مني من ولاني وكان
يزيد بن المهلب ولى ثابت قطنة بعض قرى خراسان فصعد المنبر فحصر
فنزل وهو يقول

فإن لا اكن فيكم خطيبا فانني بسيفي اذا جد الوغى لخطيب

فقيل له لو قلت هذا على المنبر لكنت أخطب الناس فبلغ ذلك
حاجب الفيل فقال

أبا العلاء لقد لاقيت معضلة يوم العروبة من كرب وتخنيق
أما القرآن فما تهدى لمحكمه ولم تسدد من الدنيا بتوفيق
لما رمتك عيون الناس هبتهم وكدت تشرق لما قمت بالريق
تلوى اللسان اذا رمت الكلام به كما هوى زلق من ومانح النيق

وروي أن بعض خلفاء بني العباس وأظنه الرشيد صعد المنبر
ليخطب فسقطت ذبابة على وجهه فطردها فعادت فحصر وارتج

عليه فقال اعوذ بالله السميع العليم يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا
له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان
يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب
انا ثم نزل فاستحسن ذلك منه ومما يشاكل هذه الحكاية ما حكاه
عمرو بن بحر الجاحظ قال كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن
سوار لم ير الناس حاكما قط ولا زكينا ولا وقورا ضبط من نفسه
وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك كان يصلي الغداة في منزله
وهو قريب الدار من مسجده فياتي مجلسه فيحتبي فلا يتكي ولا يزال
منتصبا لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحول
رجلا عن رجل ولا يعتمد على احد شقيه حتى كانه بناء مبني او
صخرة منصوبة فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلوة الظهر ثم يرجع
الى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلوة العصر ثم يرجع الى
مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلوة المغرب ثم ربما عاد الى مجلسه

بل كثيرا اما يكون ذلك اذا بقي عليه من قراءة العهود والشروط والوثائق
ثم يصلي العشي وينصرف فلم يقم في تلك الولاية مرة واحدة الى الوضو
ولا احتاج اليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب وكذلك كان شانه
في طوال الايام وفي قصارها وفي صيفها وشتائها وكان مع ذلك لا
يحرك يدا ولا يشير براسه وليس الا ان يتكلم ثم يوجز ويبلغ بالكلام
اليسير المعاني الكثيرة فبينا هو ذات يوم كذلك واصحابه حوله
وفي السماطين بين يديه اذ سقط على انفه ذباب فاطال السقوط
والمكث ثم تحول الى موق عينه فرام الصبر في سقوطه على الموق
وعلى عضته ونفاذ خرطومه كما رام من الصبر على سقوطه على انفه
من غير ان يحرك ارنبته او يغضن وجهه او يذب باصبعه فلما
طال ذلك من الذباب واوجعه واحرقه وقصد الى مكان لا يحتمل
التغافل عنه اطبق جفنه الاعلى على جفنه الاسفل فلم ينهض فدعاه
ذلك الى ان والى بين الاطباق والفتح فتنحى ريثما سكن جفنه ثم عاد

إلى موقعه أشد من مرته الأولى فغمس خرطومه في مكان قد كان أوهاه
قبل ذلك وكان احتماله له أضعف وعجزه عن الصبر في الثانية أقوى
فحرك أجفانه وزاد في شدة الحركة وفي تتابع الفتح والإطباق
فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته ثم عاد إلى موضعه فما زال يلح عليه
حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده فألجأه إلى أن يذب عن عينيه بيده
ففعل ذلك وعيون القوم إليه يرمقونه كأنهم لا يريدونه فتنحى عنه
بقدر ما رد يده وسكنت حركته ثم عاد إلى موضعه فألجأه إلى أن ذب
عن وجهه بطرف كمه ثم ألجأه إلى أن تابع بين ذلك وعلم أن ذلك كله بعين
من حضر من أمنائه وجلسائه فلما نظروا إليه قال أشهد أن الذباب ألح
من الخنفساء وأزهى من الغراب وأستغفر الله فما أكثر من أعجبته نفسه
فأراد الله أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً وقد علمت أني عند
الناس من أزمت الناس وقد غلبني وفضحني أضعف خلق الله ثم تلا قول الله
تعالى ضعف الطالب والمطلوب ه

مجلس آخر ه

بلغ المعارضة بالأصل

تأويل آية ه

إن سأل سائل عن قوله تعالى وإذ نجيناكم من
آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون
نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ه فقال ما تنكرون أن يكون
في هذه الآية دلالة على إضافة الأفعال التي تظهر من العباد إليه تعالى
من وجهين أحدهما أنه قال بعد ذكر ما تقدم من أفعالهم ومعاصيهم
وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم فأضافها إلى نفسه والثاني أنه أضاف
نجاتهم من آل فرعون إليه فقال وإذ نجيناكم ومعلوم أنهم هم
الذين ساروا حتى نجوا فيجب أن يكون ذلك السير فعله على الحقيقة
حتى تصح الإضافة

الجواب

قلنا أما قوله تعالى
وفي ذلكم إشارة إلى ما تقدم ذكره من إنجائه لهم من المكروه والعذاب
وقد قال قوم إنه معطوف على ما تقدم من قوله يا بني إسرائيل
اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين والبلاء
هاهنا الإحسان والنعمة ولا شك في أن تخليصه لهم من ضروب المكروه

التي عددها نعمة عليهم واحسان اليهم والبلاء عند العرب قد يكون حسنا ويكون سيئا قال الله تعالى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ويقول الناس في الرجل اذا احسن القتال والثبات في الحرب قد ابلى فلان ولفلان بلاء والبلوى ايضا قد تستعمل في الخير والشر الا ان اكثر ما يستعملون البلاء الممدود في الجميل والخير والبلوى المقصورة في السوء والشر وقال قوم اصل البلاء في كلام العرب الاختبار والامتحان ثم يستعمل في الخير والشر كما قال تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات يعني اختبرناهم وكما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون فالخير يسمى بلاء والشر يسمى بلاء غير ان الاكثر في الشر ان يقال بلوته ابلوه بلاء وفي الخير ابليته ابليه ابلاء وبلاء وقال زهير في البلاء الذي هو الخير ٭ جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم فابلاهما خير البلاء الذي يبلو فجمع بين اللغتين لانه اراد فانعم الله عليهما خير النعمة التي يختبر بها عباده وكيف يجوز ان يضيف ما ذكره عن آل فرعون من ذبح الابناء

وغيره الى نفسه وهو قد ذمهم عليه ووبخهم وكيف يكون ذلك من فعله وهو تعالى قد عد تخليصهم منه نعمة عليهم وكان يجب على هذا ان يكون انما انجاهم من فعله بفعله وهذا مستحيل لا يعقل ولا يحصل على انه يمكن ان يرد قوله ذلكم الى ما حكاه عن آل فرعون من الافعال القبيحة ويكون المعنى في تخليته بين هؤلاء وبينكم وتركه منعهم عن ايقاع هذه الافعال بلاء من ربكم عظيم اي محنة واختبار لكم والوجه الاول اقوى واولى وعليه جماعة المفسرين وروى ابو بكر الهذلي عن الحسن في قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قال نعمة عظيمة اذ انجاكم من ذلكم ٭ فاما اضافة النجاة اليه وان كانت واقعة بسيرهم وفعلهم فلو دل على ما ظنوه لوجب اذا قلنا ان الرسول انقذنا من الشرك واخرجنا من الضلالة الى الهدى ونجانا من الكفر ان يكون فاعلا لافعالنا ولذلك قد يقول احدنا لغيره انا نجيتك من كذا وكذا وانتشلتك وخلصتك ولا يريد انه فعل فعله

والمعنى في ذلك ظاهر لأن ما وقع بتوفيق الله تعالى ودلالته وهدايته
ومعونته والطاعة قد تصح اضافته اليه فعلى هذا صحت اضافة النجاة
اليه تعالى ويمكن ان يكون مضيفا لها من حيث ثبط عنهم الاعداء او شغلهم
عن طلبهم وكل ذلك يرجع الى المعونة فتارة يكون بأمر يرجع اليهم
وتارة بأمر يرجع الى اعدائهم فان قيل كيف يصح ان يقول واذ نجيناكم
فيخاطب بذلك من لم يدرك فرعون ولا نجا من شره قلنا ذلك معروف
مشهور في كلام العرب وله نظاير لأن العربي قد يقول مفتخرا على
غيره قتلناكم يوم عكاظ وهزمناكم وانما يريد ان قومي فعلوا ذلك
بقومك قال الاخطل يهجو جرير بن عطية

ولقد سما لكم الهذيل فنالكم … باراب حيث يقسم الانفالا
في فيلق يدعو الاراقم لم تكن … فرسانه عزلا ولا اكفالا

ولم يلحق جرير الهذيل ولا ادرك اليوم الذي ذكره غير انه لما كان يوما
من ايام قوم الاخطل على قوم جرير اضاف الخطاب اليه والى قومه

ايضاح

كثيرة بهم

وكذلك خطاب الله تعالى بالاية انما الى ابناء من نجى من آل فرعون واخلافهم
والمعنى واذ نجينا اباءكم واسلافكم والنعمة على السلف نعمة على الخلف
قال سيدنا رضي الله عنه ومن حسن الشعر في تعود الضيافة والانس
بها والاستمرار عليها قول حاتم بن عبد الله الطائي

اذا ما بخيل القوم هرت كلابه … وشق على الضيف الغريب عقورها
فاني جبان الكلب بيتي موطأ … جواد اذا ما النفس شح ضميرها
وان كلابي قد أقرت وعودت … قليل على من يعتريها هريرها

خ الناس

خ أقرت

اراد بقوله قليل على من يعتريها هريرها انها لا تهر جملة ولذلك نظاير
كثيرة ومثله قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون ومثل قوله فاني
جبان الكلب معنى ولفظا قول الشاعر

وما يك فيّ من عيب فاني … جبان الكلب مهزول الفصيل

وانما اراد اني اوثر الضيوف بالالبان فتصل الى فصالي مهازيل ومثل اللفظ
والمعنى ايضا قول ابي وجزة السعدي

وآل الزبير بنو حرّة مرّوا بالسيوف الصدور الجنافا
يموتون والقتل من دابهم ويغشون يوم السيوف السيافا
وأجبن من صافر كلبهم وإن قذفته حصاة أضافا

يقول أذكوا بسيوفهم ثاراتهم فكأنهم شفوا وغر قلوبهم وأزالوا ما كان فيها من الأحقاد ومعنى مرّوا أي استخرجوا كما تمري الناقة إذا أردت أن تحلبها الدرّة والجانف المائل ثم قال وإن مات بعضهم على فراشه فإنّ أكثرهم يموت مقتولا لشجاعتهم وإقدامهم فلذلك قال والقتل من دابهم وجعل كلبهم جبانا لكثرة من يغشاهم ويطرقهم من النزّال والأضياف فقد ألفتهم كلابهم وأنست بهم فهي لا تنبحهم وقيل أيضا إنها لا تهرّ عليهم لأنها تصيب مما ينحر لهم وتشاركهم فيه ومعنى وإن قذفته حصاة أضافا أي أشفق وهذا تأكيد لجبنه يقال أضاف الرجل من الأمر إذا أشفق منه ومعنى وأجبن من صافر كلبهم قد تقدم ذكره في الأمالي ومثله في المعنى

يغشون حتى ما تهرّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

وقال المرّار بن منقذ العدوي

أعرف الحق ولا أنكره وكلابي أنس غير عقر
لا ترى كلبي إلّا آنسا إن أتى خابط ليل يهرّ
كثر الناس فما ينكرهم من أسيف يبتغي الخير وحر

الأسيف ها هنا العبد وقال آخر

إلى ماجد لا ينبح الكلب ضيفه ولا يتأداه احتمال المغارم

معنى يتأداه يثقله وأراد أن يقول يتآوده فقلب وقال ابن هرمة

وإذا أتانا طارق متنوّر نبحت فدلته على كلابي
وفرحن إذ أبصرنه فلقينه يضربنه بشراشر الأذناب

وإنما تفرح لأنها قد تعوّدت إذا نزل الضيوف أن ينحر لهم فتصيب من قراهم ومثله له

ومستنبح تستكشط الريح ثوبه ليسقط عنه وهو بالثوب معصم

عوى في سواد الليل بعد اعتسافه لينبح كلب او ليفزع نوّم

فجاوبه مستسمع الصوت للقرى له مع اتيان المهبين مطعم

يكاد اذا ما ابصر الضيف مقبلا يكلمه من حبه وهو اعجم

اراد بقوله فجاوبه مستسمع انه جاوبه كلب والمهبون الموقظون

له ولاهله وهم الاضياف وانما كان له معهم مطعم لانه ينحر لهم

ما يصيب منه واراد بقوله يكلمه من حبه وهو اعجم بصبصته

وتحريكه ذنبه فاما قوله ليفزع نوّم فانما اراد ليعين نوّم

يقال فزعت لفلان اذا اعنته ومعنى عوى في سواد الليل ان العرب

تزعم ان الساري بالليل اذا اظلم عليه وادلهم فلم يستبن محجة ولم

يدر اين الحلة وضع وجهه مع الارض وعوى عواء الكلب ليسمع ذلك

الصوت الكلاب ان كان الحي قريبا منه فتجيبه فيقصد للابيات

وهذا معنى قوله ايضا مستنبح اي ينبح نباح الكلاب وقال

الفرزدق في مثله

الصوت م — خ أغنته — خ الكلب

وداع يلحن الكلب يدعو ودونه من الليل سجفا ظلمة وغيومها

دعا وهو يرجو ان ينبه اذ دعا فتى كابن ليلى حين غارت نجومها

ابن ليلى يعني اباه غالبا

بعثت له دهماء ليست بلقحة تدر اذا ما هب نحسا عقيمها

معنى بعثت له اي دفعتها على اثافيها ويعني بالدهماء قدرا واللقحة

الناقة واراد ان قدره تدر اذا هبت الريح عقيما لا مطر فيها

كأن الحال الغر في حجراتها عذارى بدت لما اصيب حميمها

اراد ان قطع اللحم لا تستتر منها بشيء كما لا تستتر العذارى اللواتي

اصيب حميمهن فيظهرن حواسر

غضوبا كحيزوم النعامة احمشت باجواز خشب زال عنها هشيمها

محضرة لا يجعل الستر دونها اذا المرضع العوجاء جال بريمها

البريم الحقاب وانما يجول من الهزال والجهد والطوى والعوجاء التي قد

اعوجت من الطوى وقال الاخطل في الضيف

دعاني بصوتي واحدٍ فأجابه ... منادٍ بلا صوتٍ وآخر صيّتُ

ذكر ضيفاً عوى بالليل والصدى من الجبل يجيبه فذلك معنى قوله بصوتي واحدٍ وقوله فأجابه منادٍ بلا صوتٍ يعني ناراً رفعها له فرأى سناها فقصدها والآخر الصيّت الكلب أجاب عواءه ومثله

وساري ظلامٍ مقفعلٍّ وهبوةٍ ... دعوتُ بضوءٍ ساطعٍ فاهتدى ليا

يعني ناراً رفعها ليقصده طرّاق الليل والمقفعلّ المنقبض من شدّة البرد وأنشد محمد بن يزيد

ومستنبحٍ تهوي مساقط رأسه ... إلى كل شخصٍ فهو للصوت أصورُ

حبيبٍ إلى كلب الكرام مناخه ... بغيضٍ إلى الكوماء والكلب أعذرُ

دعته بغير اسمٍ هلمّ إلى القرى ... فأسرى يبوع الأرض شقراء تزهرُ

معنى أصور مائل أراد أنه يميل رأسه إلى كل شخصٍ يتخيل له يظنه إنساناً ومعنى حبيب إلى الكلب المعنى الذي تقدم ومعنى بغيض إلى الناقة أنها تنحر له وقوله دعته شقراء بغير اسمٍ يعني ناراً أي ضوءها فقصدها فكأنها

دعته وقال ابن هرمة ونزل به ضيف

فقلت لقينيَّ ارفعاها وحرّكا ... لعلّ سنا ناري بآخر يهتفُ

وفي معنى قوله بغيض إلى الكوماء قول بعض الشعراء يمدح رسول الله صلى الله عليه وآله

وأبيك خيرٍ إنّ إبل محمدٍ ... عزلٌ تناوح أن تهبّ شمالُ

وإذا أتين لدى الفناء غريبةً ... ذرفت لهنّ من الدموع سجالُ

وترى لها زمن الشتاء على الثرى ... رخماً وما تحيا لهنّ فصالُ

أراد وأبيك الخير فلما طرح الألف واللام نصب والعزل التي لا سلاح معها وسلاح الإبل سمنها وأولادها وإنما جعلوا ذلك كالسلاح لها من حيث كان صاحبها إذا رأى سمنها وحسن أجسامها ورأى أولادها تتبعها نفس بها على الأضياف فامتنع من نحرها فلما كان ذلك كالصادّ عن النحر ومانعاً منه جرى مجرى السلاح لها فكأنه يقول هذه الإبل وإن كانت ذوات سلاحٍ من حيث كانت شحيمةً سمينةً فهي كالعزل إذ كان سلاحها لا

يغني عنها شيئاً ولا يمنع من عقرها ومعنى تناوح تقابل بعضها بعضاً أي هن مدفيات بأسنمتها وأوبارها الإبل إلى هبوب الشمال ولا يدخل بعضها في بعض من البرد وقوله وإذا رأين لدى الفناء غريبة أي إذا نزل ضيف فعقل ناقته التي جاء عليها وهي الغريبة علمن أنه سينحر بعضهن لا محالة فلذلك تذرف دموعهن وقوله وترى لها زمن الشتاء على الثرى رخماً فقد قيل إنه أراد به أنه يهب فصالهن فتبقى ألبانها على الأرض كهيئة الرخم ۞ وحكي عن أبي العباس ثعلب أنه قال الرخم قطع العلق من الدم وعندي أن المعنى غير هذين جميعاً وأنه إنما أراد أنها تنحر وتعقر فتسقط الرخم على موضع عقرها وتقابا دمها وأشلاءها (خ دمائها) فهذا معنى قوله لا ما تقدم ۞ وقال آخر في معنى سلاح الإبل يمدح بني عوذ بن غالب من عبس ۞

جزى الله عني غالباً خير ما جزى إذا حدثان الدهر نابت نوائبه

إذا أخذت بزل المخاض سلاحها تجرد فيهم متلف المال كاسبه

[illegible]

تاسعة عشرة

أراد أن شحمها وحسنها وتمامها لا يمنعني من عقرها للأضياف ومثله

إذا البقل في أصلاب شول ابن مسهر نمى لم يرده البقل إلا تكرما

إذا أخذت شول البخيل رماحها دحا برماح الشول حتى تحطما

وقوله أخذت رماحها من المعنى المتقدم ۞ وقال مسكين الدارمي

فقمت ولم تأخذ إلي رماحها عشاري ولم أرجب عراقيبها عقرا

لم أرجب لم أكبر ذلك ولم يعظم علي وسمي رجب رجباً من ذلك لأنه شهر يعظم ۞ وقالت ليلى الأخيلية ۞

في ديوان شعره ترجبه بالكسر ولم احفل أي هيبته وعظمته

ولا تأخذ الكوم الجياد (خ الجلاد) سلاحها لتوبة في قر الشتاء الصنابر

ومثله

لا أخون الصديق ما حفظ العهد ولا تأخذ السلاح لقاحي

وقال النمر بن تولب

الجلة المسان جمع جليل مثل صبي وصبية

أزمان لم تأخذ إلي سلاحها إبلي بجلتها ولا أبكارها

أبرزها ألبانها ولحومها فأهين ذلك لضيفها وجارها

وقال مضرس بن ربعي الأسدي

وما نلعن الأضياف إن نزلوا بنا ولا يمنع الكوماء منا نصيرها

ومعنى لا نلعنه أي لا نبعده واللعن التبعيد ونصيرها هاهنا ما يمنع من عقرها من حشم وتمام وولد وما جرى مجرى ذلك والنصير والسلاح في المعنى واحد

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله فقال ما تنكرون أن يكون ظاهر هذه الآية يقتضي أن يكون جميع ما نفعله يشاؤه ويريده لأنه لم يخص شيئا من شيء وهذا بخلاف مذهبكم وليس لكم أن تقولوا إنه خطاب للرسول عليه السلام خاصة وهو لا يفعل إلا ما يشاؤه الله لأنه قد يفعل المباح بلا خلاف ويفعل الصغائر عند أكثركم فلا بد من أن يكون في أفعاله ما لا يشاؤه عندكم ولأنه أيضا تأديب لنا كما أنه تعليم له عليه السلام ولذلك يحسن منا أن نقول ذلك فيما نفعله

الجواب قلنا تأويل هذه الآية مبني على وجهين أحدهما أن نجعل حرف الشرط الذي هو إن متعلقا بما يليه وبما هو متعلق به في الظاهر من غير تقدير محذوف ويكون التقدير ولا تقولن إنك تفعل إلا ما يريد الله وهذا الجواب ذكره الفراء وما أراه إلا له ومن العجب تغلغله إلى مثل هذا مع أنه لم يكن متظاهرا بالقول بالعدل وعلى هذا الجواب لا شبهة في الآية ولا سؤال للقوم علينا وفي هذا الوجه ترجيح لبس لغيره من حيث اتبعنا فيه الظاهر ولم نقدر محذوفا وكل جواب طابق الظاهر ولم يبن على محذوف كان أولى والجواب الآخر أن نجعل إن متعلقة بمحذوف ويكون التقدير ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن تقول إن شاء الله لأن من عادتهم إضمار القول في مثل هذا الموضع واختصار الكلام إذا طال وكان في الموجود منه دلالة على المفقود وعلى هذا الوجه نحتاج إلى الجواب عما سئلنا عنه فنقول هذا تأديب من الله تعالى لعباده وتعليم لهم أن يعلقوا ما يخبرون به بهذه اللفظة حتى يخرج من حد

المعنى أن الله تعالى نهى عن أن تقول إني فاعل ذلك ... الا ان يشاء الله ... جميع ما يفعلونه ... افعالهم ... الله عز وجل

... الا ان يشاء الله ... المصدر فكأنه قال ... والمعنى الا ما يريد الله ... فكأنه قال لا تقل اني افعل الا ... الطاعات وما يقرب الى الله وهذا وجه حسن

القطع ولا شبهة في أن ذلك مخصص بالطاعات وأن الأفعال
القبيحة خارجة منه لأن أحدا من المسلمين لا يستجيز أن يقول إني
أزني غدا إن شاء الله وكلهم يمنع من ذلك أشد المنع فعلم سقوط شبهة
من ظن أن الآية عامة في جميع الأفعال وأما أبو علي محمد بن عبد الوهاب
فإنه ذكر في تأويل هذه الآية ما نحن ذاكروه بعينه قال إنما عنى بذلك
أن من كان لا يعلم أنه يبقى إلى غد حيا فلا يجوز أن يقول إني سأفعل غدا
كذا وكذا فيطلق الخبر بذلك وهو لا يدري لعله سيموت فلا يفعل ما
خبر به لأن هذا الخبر إذا لم يوجد مخبره على ما أخبر به فهو كذب وإذا
كان المخبر لا يأمن أن لا يوجد مخبره لحدوث أمر من فعل الله تعالى
نحو الموت أو العجز أو بعض الأمراض أو لا يحدث ذلك أن يبدو له هو
في ذلك فلا يأمن أن يكون خبره كذبا في معلوم الله عز وجل فإذا لم يأمن
ذلك لم يجز أن يخبر به ولا يسلم خبره هذا من الكذب إلا بالاستثناء الذي
ذكره الله تعالى فإذا قال إني صائر غدا إلى المسجد إن شاء الله فاستثنى في

مصيره مشيئة الله أمن أن يكون خبره في هذا كذبا لأن الله إن شاء أن
يلجئه إلى المصير إلى المسجد غدا ألجأه إلى ذلك وكان المصير منه لا
محالة فإذا كان ذلك على ما وصفنا لم يكن خبره هذا كذبا وإن لم يوجد
منه المصير إلى المسجد لأنه لم يوجد ما استثناه في ذلك من مشيئة
الله تعالى قال وينبغي أن لا يستثني مشيئة الله دون مشيئته لأنه
إن استثنى في ذلك مشيئة لمصيره إلى المسجد على وجه التعبد فهو أيضا الله صح
لا يأمن أن يكون خبره كذبا لأن الإنسان قد يترك كثيرا مما يشاؤه
الله تعالى منه ويتعبده به ولو كان استثنى مشيئة الله لأن يبقيه
ولأن يقدره ويرفع عنه الموانع كان أيضا لا يأمن أن يكون خبره
كذبا لأنه قد يجوز أن لا يصير إلى المسجد مع تبقية الله تعالى له قادرا
مخلى فلا يأمن الكذب في هذا الخبر دون أن يستثني المشيئة العامة
التي ذكرناها فإذا دخلت هذه المشيئة في الاستثناء فقد أمن أن
يكون خبره كذبا إذا كانت هذه المشيئة متى وجدت وجب أن يدخل

المسجد لا محالة قال ومثل هذا الاستثناء يزول الحنث عمن حلف فقال
والله لأصيرن غدا إلى المسجد إن شاء الله لأنه إذا استثنى على سبيل ما
بيناه لم يجز أن يحنث في يمينه ولو خص استثناءه بمشية الله بعينها
ثم كان لم يدخل معها المسجد لحنث في يمينه وقال غير أبي علي إن
المشية المستثناة هاهنا هي مشية المنع والحيلولة فكأنه قال إن شاء
الله تخليتي ولم يمنعني وفي الناس من قال المقصد بذلك أن يوقف
الكلام عن جهة القطع ولم يلزم بذلك (خ به) ما كان يلزم لولا الاستثناء ولا
ينوي في ذلك الحا ولا غيره وهذا الوجه يحكى عن البصري
واعلم أن الاستثناء الداخل (خ في) على الكلام وجوهها مختلفة فقد
يدخل في الأيمان والطلاق والعتاق وسائر العقود وما يجري مجراها
من الأخبار فإذا دخل في ذلك اقتضى التوقف عن إمضاء الكلام والمنع
من لزوم ما يلزم به وإزالته عن الوجه الذي وضع له فلذلك يصير ما
تكلم به كأنه لا حكم له ولذلك يصح على هذا الوجه أن يستثني في الماضي

فيقول قد دخلت الدار إن شاء الله ليخرج بهذا الاستثناء من أن يكون كلامه
خبرا قاطعا أو يلزم (خ يلزمه) به حكم وإنما لم يصح دخوله في المعاصي على هذا
الوجه لأن فيه إظهار الانقطاع إلى الله تعالى والمعاصي لا يصح ذلك فيها
وهذا الوجه أحد (خ أجود) ما يحتمله تأويل الآية وقد يدخل الاستثناء في الكلام
ويراد به اللطف والتسهيل وهذا الوجه يخص الطاعات ولهذا
يجري قول القائل لأقضين غدا ما علي من الدين ولأصلين غدا إن شاء
الله مجرى أن يقول إني أفعل ذلك إن لطف الله تعالى فيه وسهله (وأنه صح)
فيعلم أن المقصد واحد منهما متى قصد الحالف فيه هذا الوجه لم يجب إذا لم
يقع منه الفعل أن يكون حانثا أو كاذبا لأنه بأن (خ إن) لم يقع علمنا أنه لم
يلطف له (خ فيه) لأنه لا لطف له وليس لأحد أن يعترض على هذا بأن يقول
الطاعات لا بد فيها من لطف وذلك لأن فيها ما لا لطف فيه جملة فإن نفاع
ما هذه سبيله يكشف عن أنه لا لطف فيه وهذا الوجه لا يصح أن يقال
في الآية لأنه يخص الطاعات والآية تتناول كل ما لم يكن قبيحا بدلالة الإجماع

المسلمين على حسن استثناء ما تضمنته في فعل كل ما لم يكن قبيحا وقد
يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به التسهيل والاقرار والتخلية والبقاء
على ما هو عليه من الاحوال وهذا هو المراد به اذا دخل في المباحات
وهذا الوجه يمكن في الآية الا انه يعترضه ما ذكره ابو علي الجبائي صح فيما
حكيناه من كلامه وقد يذكر استثناء المشيئة ايضا في الكلام وان لم
يرد به شيء مما تقدم بل يكون الغرض اظهار الانقطاع الى الله تعالى من
غير ان يقصد به الى شيء من الوجوه المتقدمة ويكون هذا الاستثناء
غير معتد به في كونه كاذبا او صادقا لانه في الحكم كانه قال لافعلن
كذا اذا وصلت الى مرادي مع انقطاعي الى الله عز وجل واظهاري الحاجة
اليه وهذا الوجه ايضا مما يمكن في تاويل الآية ومتى تامل جملة ما
ذكرناه من الكلام عرف منه الجواب عن المسئلة التي لا يزال يسئل عنها
المخالفون من قولهم لو كان الله تعالى انما يريد العبادات من الافعال دون
المعاصي لوجب اذا قال من لغيره عليه دين طالبه به والله لاعطينك حقك

غدا ان شاء الله ان يكون كاذبا او حانثا اذا لم يفعل لان الله تعالى قد شاء
منه ذلك عندكم وان كان لم يقع وكان يجب ان تلزمه الكفارة وان لا
يؤثر هذا الاستثناء في يمينه ولا يخرجه من كونه حانثا كما انه لو قال
والله لاعطينك حقك غدا ان قدم زيد فقدم ولم يعطه يكون حانثا
وفي التزام هذا الحنث خروج عن اجماع المسلمين فصار ما اوردناه
جامعا للبيان تاويل الآية والجواب عن هذه المسئلة ونظايرها من المسايل
والحمد لله ۞ قال سيدنا رضي الله عنه تاملت ما اشتملت عليه
تشبيهات الشعراء فوجدت اكثر ما شبهوا فيه الشيء بالشيء الواحد
او الشيئين بالشيئين وقد تجاوزوا ذلك الى تشبيه ثلثة بثلثة واربعة
باربعة وهو قليل ولم اجد ما تجاوز هذا القدر الا قطعة من نسيب
لابن المعتز فانها تضمنت تشبيه ستة اشياء فاما تشبيه الواحد
بالواحد فمثل قول عنترة في وصف الذباب

هزجا يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الاجذم

بتشبيه ستة باشياء

ومثل قول عدي بن الرقاع

تزجي أغن كأن إبرة روقه ... قلم أصاب من الدواة مدادها

ومثل قول امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا ... وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

وقوله

إذا ما الثريا في السماء تعرضت ... تعرض أثناء الوشاح المفصل

وقول ذي الرمة

وردت اعتسافا والثريا كأنها ... على قمة الرأس ابن ماء محلق

وهذا الباب أكثر من أن يحصى وأما تشبيه شيئين بشيئين

فمثل قول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

وقوله

وكشح لطيف كالجديل مخصر ... وساق كأنبوب السقي المذلل

وكقول بشار

كأن مثار النقع فوق رؤوسهم ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقول الآخر

كأن سمو النقع والبيض حولنا ... سماوة ليل أسفرت عن كواكب

(خ حوله)

وقول أبي نواس

كأن صغرى وكبرى من فواقعها ... حصباء در على أرض من الذهب

(أخذ على أبي نواس استعماله فعلى بلا ألف ولام أو إضافة وهو مما أخذ عليه)

وآخر
إن الشمول هي التي جمعت ... لأهل الود شملا

شبهتها وحبابها ... يشفى أبو يحمل طلا

(خ شبهتها)

وآخر
أبصرته والكأس بين فم منه ... وبين أنامل خمس

فكأنها وكأن شاربها ... قمر يقبل عارض الشمس

(خ فكأنه والكأس في يده)

وآخر
حتى إذا جليت في الكأس خلت به ... عقيقة خلقت في قشر بلور

تعلى إذا مزجت في كأسها حببا ... كأنه عرق في خد مخمور

(بلور كسنور وبلور كتنور وبلور كسبطر كلاهما [illegible])

وقال البحتري

شقائق يحملن الندى فكأنه دموع التصابي في خدود الخرائد

وقال آخر فكأن الربيع يجلو عروسا وكأنا من قطره في نثار

ولأبي العباس الناشي

كأن الدموع على خدها بقية طل على جلنار

وقال ابن الرومي فأحسن

لو كنت يوم الفراق حاضرنا وهن يطفين غلة الوجد

لم تر إلا الدموع سافحة تسفح من مقلة على خد

كأن تلك الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد

وقال جران العود

أبيت كأن الليل أفنان سدرة عليها سقيط من ندى الطل ينطف

أراقب لمحا من سهيل كأنه إذا ما بدا في آخر الليل يطرف

ولابن المعتز

سقتني في ليل شبيه بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب

فأمسيت في ليلين بالشعر والدجى وشمسين من خمر ووجه حبيب

وقال المتنبي

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فأرت ليالي أربعا

واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقت معا

فأما تشبيه ثلاثة بثلاثة فمثل قول ماني الموسوس

نشرت غدائر شعرها لتظلني خوف العيون من الوشاة الرمق

فكأنه وكأنها وكأنني صبحان باتا تحت ليل مطبق

خ مطبق

ولبعضهم روض ورد خلاله نرجس غض يحفان أقحوانا نضيرا

ذا يباهي لنا خدودا وذا يحكي عيونا وذا يضاهي ثغورا

وللآخر في النرجس

مداهن تبر بين أوراق فضة لها عمد مخروطة من زبرجد

وللبحتري يصف ضمر المطايا ونحولها

كالقسي المعطفات بل الأسهم مبرية بل الأوتار

خ المعطلات

ولبعض الطالبيين

وأنا ابن معتلج البطاح إذا غدا غيري وراح على متون ظواهر
يفتر عني ركنها وحطيمها كالجفن يفتح عن سواد الناظر
كجبالها شرفي ومثل سهولها خلقي ومثل ظبائهن مجاوري

فأما تشبيه أربعة بأربعة فمثل قول امرئ القيس

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

ولآخر

كف تناول راحها بزجاجة خضراء تقذف بالحباب وتزبد
فالكف عاج والحباب لآلئ والراح تبر والإناء زبرجد

ولبعضهم وقد أهدي إليه نرجس وأقحوان وشقائق وآس فكتب إلى المهدي

لله ما أظرف أخلاقك يا بدر الكرم — أهديت ما أشبهها حسنا وظرفا وشمم
وما رأينا مهديا قبلك في كل الأمم — أهدى العيون والخدود والثغور واللمم

ولآخر

أفدي حبيبا له بدائع أوصاف تعالت عن كل ما أصف
كالبدر يعلو والشمس تشرق والغزال يعطو والغصن ينعطف

وللمتنبي

بدت قمرا ومالت خوط بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا

ومثله

سفرن بدورا وانتقبن أهلة ومسن غصونا والتفتن جآذرا

فأما تشبيه خمسة بخمسة فقول الوأواء

وأسبلت لؤلؤا من نرجس فسقت وردا وعضت على العناب بالبرد

فأما تشبيه ستة بستة فلم أجده إلا لابن المعتز في قوله

بدر وليل وغصن وجه وشعر وقد
خمر وورد ودر ريق وثغر وخد

بلغت المعارضة بالاصل

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا فقال كيف يجوز أن يأمرنا على سبيل العبادة لنا بالدعاء بذلك وعندكم أن النسيان من فعله تعالى ولا تكليف على الناسي في حال نسيانه وهذا يقتضي أحد أمرين إما أن يكون النسيان من فعل العباد على ما يقوله كثير من الناس أو تكون متعبدين بمسألته تعالى ما نعلم أنه واقع حاصل لأن مؤاخذة الناسي

مأمونة منه تعالى والقول في الخطإ إذا أريد به ما وقع سهوا وعن
غير عمد يجري على هذا المجرى

الجواب

قلنا قد قيل في تأويل هذه الآية إن المراد بنسينا تركنا قال أبو علي قطرب بن المستنير
معنى النسيان هاهنا الترك كما قال تعالى ولقد عهدنا إلى آدم من
قبل فنسي أي ترك ولولا ذلك لم يكن فعله معصية وكقوله تعالى
نسوا الله فنسيهم أي تركوا طاعته فتركهم من ثوابه ورحمته وقد
يقول الرجل لصاحبه لا تنسني من عطيتك أي لا تتركني منها
وأنشد ابن عرفة

وما أنا عند الجود للجود قاليا ولا كنت يوم الروع للطعن ناسيا

أي تاركا ومما يمكن أن يكون شاهدا على ذلك قوله تعالى أتأمرون الناس
بالبر وتنسون أنفسكم أي تتركون أنفسكم ويمكن في الآية وجه
آخر على أن يحمل النسيان على السهو وفقد العلوم ويكون وجه الدعاء
بذلك ما قد بيناه فيما تقدم من الأمالي على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى

وإظهار الفقر إلى مسألته والاستعانة به وإن كان مأمونا منه
المؤاخذة بمثله ويجري مجرى قوله تعالى رب احكم بالحق وقوله ولا
تخزني يوم يبعثون وقوله حاكيا عن الملائكة فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم وهذا الوجه أيضا يمكن في قوله
أو أخطأنا إذا كان الخطأ ما وقع سهوا أو عن غير عمد فأما على ما يطابق
الوجه الأول فقد يجوز أن يريد بالخطإ ما يفعل من المعاصي بالتأويل
السيء وعن جهل بأنها معاص لأن من قصد شيئا على اعتقاد أنه بصفة
فوقع ما هو بخلاف معتقده يقال قد أخطأ فكأنه أمرهم بأن يستغفروا
مما تركوه متعمدين من غير سهو ولا تأويل ومما أقدموا عليه مخطئين
متأولين ويمكن أيضا أن يريد بأخطأنا هاهنا أذنبنا وفعلنا قبيحا
وإن كانوا له متعمدين وبه عالمين لأن جميع معاصينا لله تعالى قد توصف
بأنها خطأ من حيث فارقت الصواب وإن كان فاعلها متعمدا فكأنه أمرهم
بأن يستغفروا مما تركوه من الواجبات ومما فعلوه من المقبحات ليشتمل

ويجري مجرى قوله في الدعاء ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ربنا [illegible] في تعليمنا وتأديبنا (?) خ شبهة

الكلام على جهتي الذنوب والله أعلم بمراده أخبرنا أبو عبيد
الله المرزباني قال حدثني محمد بن العباس قال قال رجل يوما لأبي
العباس محمد بن يزيد النحوي ما أعرف ضادية أحسن من ضادية
أبي الشيص فقال كم ضادية حسنة لا تعرفها ثم أنشد لبشار

غمض الجديد بصاحبيك فغمضا — وبقيت تطلب في الحبالة منهضا
وكأن قلبي عند كل مصيبة — عظم تكرر صدعه فتهيضا
وأخ سلوت له فأذكره أخ — فمضى وتذكر للحوادث ما مضى
فاشرب على تلف الأحبة إننا — جزر المنية ظاعنين وخفضا
ولقد جريت مع الصبي طلق الصبي — ثم ارعويت فلم أجد لي مركضا
وعلمت ما علم امرؤ في دهره — فأطعت عذالي وأعطيت الرضا
وصحوت من سكر وكنت موكلا — أرعى الحمامة والغراب الأبيضا

الحمامة المرآة والغراب الأبيض الشعر الشائب فيقول كنت كثيرا
أتعهد نفسي بالنظر في المرآة وترطيل الشعر وقوله الغراب الأبيض
لأن الشعر كان غرابا أسود من حيث كان شابا ثم أبيض بالشيب

ما كل بارقة تجود بمائها — وكذاك لو صدق الربيع لروضا

هكذا أنشده المبرد ويحيى بن علي وأنشده ابن الأعرابي

ما كل بارقة تجود بمائها — ولربما صدق الربيع فروضا
قد ذقت ألفته وذقت فراقه — فوجدت ذا عسلا وذا جمر الغضا
يا ليت شعري فيم كان صدوده — أأسأت أم رعد السحاب وأومضا
وغبرت من ذكر بأربوبه — أم أجم الخلال فأحمضا
ويلي عليه وويلتي من بينه — كان التي قد كان حلما فانقضا

قال المبرد وهي طويلة وذكر يوسف بن يحيى بن علي عن أبيه أن أبا نواس
أخذ قوله جريت مع الصبي طلق الجموح من قول بشار

ولقد جريت مع الصبي طلق الصبي

قال سيدنا الشريف المرتضى
رضي الله عنه ولأبي تمام والبحتري على هذا الوزن والقافية
وحركة القافية قصيدتان لم تزيدا على ضادية بشار التي استحسنها

المبرّد لم تقصر عنها فأول قصيدة أبي تمّام

أهلوك أضحوا شاخصا ومقوّضا ومزمّما يصف النوى ومغرّضا

إن يدّج عيشك إنهم أمّوا اللوى فبما أضا وهم على ذات الأضا

بدّلت من برق الثغور وبردها برقا إذا ظعن الأحبة أومضا

يقول فيها

ما أنصف الشرخ الذي بعث الهوى فقضى عليك بلوعة ثم انقضى

عندي من الأيام ما لو أنه أمسى بشارب مرقد ما غمّضا

لا تطلبن الرزق بعد شماسه فترومه سبعا إذا ما غيّضا

ما عوّض الصبر امرؤ إلا رأى ما فاته دون الذي قد عوّضا

يقول فيها

يا أحمد بن أبي دؤاد دعوة ذلّت بذكرك لي وكانت ريّضا

لما انتضيتك للخطوب كفيتها والسيف لا يرضيك حتى ينتضى

قد كان صوّح نبت كل قرارة حتى تروّح في نداك فروّضا

أوردتني العدّ الخسيف وقد أرى أني أبرّض الثمد البكيّ تبرّضا

وأما قصيدة البحتري فهي

العدّ الماء الكثير والثمد الماء القليل والبكيّ الناقة القليلة اللبن

عشرون

يعني الشباب — لبس البياض يعني الشيب

ترك السواد للابسيه وبيّضا ونضا من الستين عنه ما نضا

في شعره ديباجة

وشأه أغيد في تصرف لحظه مرض أعلّ به القلوب وأمرضا

وكأنه وجد الصبي وجديده دينا دنا ميقاته أن يقتضى

أسيان أثرى من جوى وصبابة وأساف من وصل الحسان وأنفضا

كلف يكفكف عبرة مهراقة أسفا على عهد الشباب وما انقضى

يقول فيها

عدد تكامل للشباب مجيئه وإذا مضى الشيء انقضى فقد مضى

في ديوانه ويذهب قاصل أن ينبضا

فتقعقعت للنخلاء إذ عرجا شهم ونذيرة من قاصل أن ينبضا

وفيها

وكفاك من حنش الصريم تهدّدا أن مدّ فضل لسانه أو نضنضا

حنش الصريم حيّة

لا تنزرن من جار بيتك أن طوى أطناب جانب بيته أو قوّضا

فالأرض واسعة لنقلة راغب عمن تنقّل ودّه وتقبّضا

لا تهتبل أغضاء حين كنت قد أغضيت مشتملا على جمر الغضا

لست الذي إن عارضته ملمّة أضغى إلى الحلم الزمان وفوّضا

لا يستفزني الطفيف ولا أرى تبعا لبارق خلّب إن أومضا

خ خلّة

أنا من لحب تجربًا وكأنني فيما أعالج منك ممن أبغضا

أغمدت سيفك كي يجم وإنما غمد الحسام المشرفي لينتضى

وسكت إلا أن أعرض قائلًا نزرًا وصرح جهده من عرضا

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني يوسف بن يحيى عن أبيه قال من مختار شعر بشار قوله في وصف الزمان

عتبت على الزمان وأي حي من الأحياء أعتبه الزمان

وآمنة من الحدثان تزري علي وليس من حدث أمان

وليس بزائل يرمي ويرمى معان مرة أو مستعان

متى تأب الكرامة من لئيم فما لك عنده إلا الهوان

قال وله في نحوه

يا خليلي أصبا أو ذرا ليس كل البرق يهدي المطرا

لا تلوما كامرئ صاحبته يترك العين ويبغي الأثرا

ذهب المعروف إلا ذكره ربما أبكى الفتى ما ذكرا

ويبقينا في زمان معضل يشرب الصفو ويبقى الكدرا

قال وله أيضًا

قد أدرك الحاجة ممنوعة وتولع النفس بما لا ينال

والهم ما أسكنته في الحشا داء وبعض الداء لا يستقال

فاحمل الهم على عاتق إن لم يسعك العلندى الجلال

قال يحيى قوله عاتق يعني الخمر وهذا مثل قوله

رحلت عنسًا من شراب بابل فحط من عقلي على مراحل

لما رأيت الدهر دهر الجاهل ولم أر المغبون غير العاقل

قال سيدنا رضي الله عنه هذا الذي ذكره يحتمله البيت على استكراه ويحتمل أيضًا أن يريد بالعاتق العضو ويكون المعنى إن لم تجد من يحمل عنك همومك ويقوم بأثقالك ويخفف عنك فتحمل أنت ذلك بنفسك واصبر عليه كأنه يأمر نفسه بالتجلد والتصبر عند البأس وهذا البيت له نظائر في الشعر وأخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن هرون قال حدثني أبي قال من بارع شعر بشار

قوله يصف جارية مغنية قال علي وما في الدنيا القديم ولا محدث من
منثور ولا منظوم في صفة الغناء واستحسانه مثل هذه الأبيات

ورائحة للعين فيها مخيلة اذا برقت لم تسق بطن صعيد
من المستهلات الهموم على الفتى خفا برقها في عصفر وعقود
حسدت عليها كل شيء يمسها وما كنت لولا حبها بحسود
وأصفر مثل الزعفران شربته على صوت صفراء الترائب رود
كأن أميرا جالسا في ثيابها تؤمل رؤياه عيون وفود خ شبابها
من البيض لم تسرح على أهل ثلة سواما ولم ترفع حداج قعود
تميت به ألبابنا وقلوبنا مرارا وتحييهن بعد همود
اذا نطقت صحنا وصاح لنا الصدى صياح جنود وجهت لجنود
ظللنا بذاك الديدن اليوم كله كأنا من الفردوس تحت خلود
ولا بأس الا أننا عند أهلها شهود وما ألبابنا بشهود

قال وأنشدني أبي له في وصف مغنية

لعمر أبي زوارها الصيد انهم لفي منظر منها وحسن سماع
تصلي له آذاننا وعيوننا اذا ما التقينا والقلوب دواع
وصفرا مثل الخيزران لم تعش ببؤس ولم تركب مطية راع
جرى اللؤلؤ المكنون فوق لسانها لزوارها من مزهر ويراع
اذا قلدت أطرافها العود زلزلت قلوبا دعاها للوساوس داع
كأنهم في جنة قد تلاحقت محاسنها من روضة وبقاع
يروحون من تغريدها وحديثها نشاوى وما تسقيهم بصواع
لعوب بألباب الرجال وان دنت أطيع التقى والغي غير مطاع

قال علي يهوون الصواع المكيال يقول اذا غنت شربوا جزافا بلا كيل
ولا مقدار من حسن ما يسمعونه فقال سيدنا رضي الله عنه وهذا
خطأ منه وانما المراد ان غناها لفرط حسنه وشدة إطرابه ينشي
نشوة الخمر وان لم يكن هناك شرب بصواع وهذا يجري مجرى قول الشاعر

ويوم ظللنا عند أم محلم نشاوى ولم نشرب طلا ولا خمرا

الطلاء المطبوخ من الخمر

وما كان عندي أنّ أحدًا يتوهّم في معنى هذا البيت ما ظنّه هذا الرجل فأمّا قوله في القطعة الأولى

وأصفر مثل الزعفران شربته على صوت صفراء الترائب رود

فيحتمل وجوهًا ثلاثة أوّلها أن يكون أراد بصفرة ترائبها الكناية عن كثرة تطيّبها وتضمّخها وأنّ ترائبها تصفرّ لذلك كما قال الأعشى

بيضاء ضحوتها وصفراء العشيّة كالعراره

والعرار بهار البرّ وإنّما أراد أنّها تتضمّخ بالعشيّ بالطيب فيصفّرها ومثله لذي الرمّة

بيضاء في دعج كحلاء في برج كأنّها فضّة قد مسّها ذهب

وقيل في بيت قيس بن الخطيم

فرأيت الشمس عند طلوعها في الحسن أو كدنوّها لغيوب

وجهان أحدهما أنّه أراد أنّها تتطيّب بالعشيّ فتصفرّ لأنّ الشمس تغيب صفراء والوجه الآخر أنّه أراد المبالغة في الحسن لأنّ الشمس

أحسن ما تكون في وقتيها هاذين ومن ذلك أيضًا قول قيس

صفراء أعجلها الشباب لداتها

ومثله قول الأعشى

إذا جرّدت يومًا حسبت خميصة عليها وجريال النضير الدلامصا

الخميصة ثوب ناعم لين شبّه به نعمة جسمها والنضير الذهب والجريال كلّ صبغ أحمر وإنّما يعني لون الطيب عليها والدلامص البرّاق فهذا وجه والوجه الثاني أن يكون أراد بوصفها بالصفرة رقّة لونها فعندهم أنّ المرأة إذا كانت صافية اللون رقيقة ضرب لونها بالعشيّ إلى الصفرة قال علي بن عيسى بن علي بن مهدي الأصبهاني قال لي أبي قال لي الجاحظ زعموا أنّ المرأة إذا كانت صافية اللون رقيقة يضرب لونها بالغداة إلى البياض وبالعشيّ إلى الصفرة واحتجّ في ذلك بقول الراجز

قد علمت بيضاء صفراء الأصل

وزعم أنّ بيت ذي الرمّة الذي أنشدناه والأبيات محتملة للأمرين فأمّا الذي لا يحتمل إلّا وجهًا واحدًا

فهو قول الشاعر

وقد خنقتها عبرة فدموعها على خدها حمر وفي نحرها صفر

لأنها لا تكون صفرا في نحرها إلا لأجل الطيب فأما قوله على خدها
حمر فإنما أراد أنها تصبغ بلون خدها والوجه الثالث أن تكون المرأة
كانت صفرا على الحقيقة فإن بشارا كثيرا يشبب بامرأة صفرا كقوله

أصفر ألا أنسى هواك ولا ودي ولا ما مضى بيني وبينك من عهد
لقد كان ما بيني زمانا وبينها كما كان بين المسك والعنبر الورد

وكقوله

أصفر أكان الود منك مباحا ليالي كان الهجر منك مزاحا خ وكان
وكن جواري الحي إذ كنت فيهم قباحا فلما غبت صرن ملاحا

وقد يروى ملاحا فلما غبت صرن قباحا وقوله قباحا فلما غبت صرن
ملاحا يشبه قول السيد بن محمد الحميري

وإذا حضرن مع الملاح بمجلس أبصرتهن وما قبحن قباحا

فأما قوله من البيض لم تسرح سواما فإنه لا يكون مناقضا لقوله
صفرا وإن أراد بالصفرة لونها لأن البياض هاهنا ليس بعبارة عن
اللون وإنما هو عبارة عن نقاء العرض وسلامته من الأدناس
والعرب لا تكاد تستعمل بيضا إلا في هذا المعنى دون اللون خ البياض
لأن البياض عندهم البرص ويقولون في الأبيض الأحمر ومنه قول الشاعر

جاءت به بيضاء تحمله من عبد شمس صلتة الخد

كريمة أحسابهم صح

ومثله بيض الوجوه فأما قول بشار في القطعة الثانية وصفراء
مثل الخيزرانة فإنه يحتمل ما تقدم من الوجوه وإن كان باللون
الحقيقي أخص لقوله كالخيزرانة لأن الخيزران تضرب إلى الصفرة
ويحتمل أيضا أن يريد بصفراء غير اللون الثابت ويكون قوله كالخيزرانة
أنها مثلها في التثني والتعطف ولقد أحسن جران العود في قوله
في المعنى الذي تقدم

كأن سبيكة صفراء صبت عليها ثم ليثت بالإزار

برود العارضين كأن فاها بعيد النوم مسك مستثار

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى
الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون فقال كيف أضاف
الاستهزاء إليه وهو مما لا يجوز في الحقيقة عليه وكيف يخبر بأنه
يمدهم في الطغيان والعمه وذلك بخلاف مذهبكم **الجواب**
قلنا في قوله تعالى الله يستهزئ بهم وجوه أولها أن يكون معنى
الاستهزاء الذي أضافه تعالى إلى نفسه تجهيله لهم وتخطئته إياهم
في إقامتهم على الكفر وإصرارهم على الضلال وسمى الله تعالى
ذلك استهزاء مجازا وتشبيها كما يقول القائل إن فلانا ليستهزأ به
منذ اليوم إذا فعل فعلا عابه الناس به وخطؤوه فيه فأقيم عيب
الناس على ذلك الفعل وإزراؤهم على فاعله مقام الاستهزاء به
وإنما أقيم مقامه لتقارب ما بينهما في المعنى لأن الاستهزاء الحقيقي
هو ما يقصد به إلى عيب المستهزأ به والإزراء عليه وإذا تضمنت

التخطئة والتجهيل والتبكيت هذا المعنى جاز أن يجري عليه اسم الاستهزاء
ويشهد بذلك قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات
الله يكفر بها ويستهزأ بها ونحن نعلم أن الآيات لا يصح عليها الاستهزاء
على الحقيقة ولا السخرية وإنما المعنى إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويزرى
عليها والعرب قد تقيم الشيء مقام ما قاربه في معناه ليجري عليه اسمه
قال الشاعر

كم أناس في نعيم عمروا في ذرى ملك تعالى فبسق
سكت الدهر زمانا عنهم ثم أبكاهم دما حين نطق

والسكوت والنطق على الحقيقة لا يجوزان على الدهر وإنما شبه
تركه الحال على ما هي عليه بالسكوت وشبه تغييره لها بالنطق وأنشد
الفراء إن دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالإحسان
ومثل ذلك في الاستعارة لتقارب المعنى قوله

سألتني بأناس [خ عن أناس] هلكوا شرب الدهر عليهم وأكل

وانما اراد بالأكل والشرب الإفساد لهم والتغيير لأحوالهم ومنه
قول الآخر

يقر بعيني ان أرى باب دارها وان كان باب الدار يحسبني جلدا

والجواب الثاني ان يكون معنى الاستهزاء المضاف اليه عز وجل ان
يستدرجهم ويهلكهم من حيث لا يعلمون ولا يشعرون ويروى عن ابن
عباس قال في معنى استدراجه اياهم انهم كلما احدثوا خطيئة جدد
لهم نعمة وانما سمى هذا الفعل استهزاء من حيث غيب تعالى عنهم
من الاستدراج الى الهلاك غير ما اظهره لهم من النعم كما ان المستهزئ
منا المخادع لغيره يظهر امرا ويضمر غيره فان قيل على هذا الجواب
فالمسألة قائمة واي وجه لان يستدرجهم بالنعمة الى الهلاك قلنا
ليس الهلاك ها هنا هو الكفر وما اشبهه من المعاصي التي يستحق بها
العقاب وانما يستدرجهم الى الضرر والعقاب الذي استحقوه بما تقدم
من كفرهم ولله تعالى ان يعاقب المستحق بما يشاء اي وقت شاء فكانه تعالى

لما كفروا وبدلوا نعمه وعاندوا رسله لم يغير نعمه عليهم في الدنيا بل بقاها
لتكون متى نزعها عنهم وابدلهم بها نقما الحسرة منهم اعظم والضرر
عليهم اكبر فان قيل فهذا يؤدي الى التجويز ان يكون بعض ما ظاهره
ظاهر النعمة على الكفار نقمة لا يستحق الله به الشكر عليهم قلنا ليس يمتنع
هذا فيمن استحق العقاب وانما المنكر ان تكون النعم المبتدأة بهذه
الصفة على ما تلزمه مخالفنا الا ترى ان الحياة وما جرى مجراها من حفظ
التركيب والصحة لا يبعد على اهل النار نعمة وان كان على اهل الجنة (الدنيا) نعما من
حيث كان الغرض فيه ايصال العذاب اليهم والجواب الثالث ان يكون
معنى استهزائه بهم انه جعل لهم بما اظهروه من موافقة اهل الايمان
ظاهر احكامهم من نصرة ومناكحة وموارثة ومدافنة وغير ذلك من
الاحكام وان كان تعالى معدا لهم في الآخرة اليم العقاب لما ابطنوه من
النفاق واستسروا به من الكفر فكانه تعالى قال ان كنتم ايها المنافقون
لما تظهرونه للمؤمنين من المتابعة والموافقة وتبطنونه من النفاق وتطغون

عَلَيهِ شياطينكم اذا خلوتم بهم تظنون أنكم مستهزؤن فالله تعالى
هو المستهزئ بكم من حيث جعل لكم احكام المؤمنين ظاهرا حتى ظننتم
أن ما لكم ما لهم ثم ميّز بينكم في الآخرة ودار الجزاء من حيث أثاب
المخلصين الذين توافق ظواهرهم بواطنهم وعاقب المنافقين وهذا الجواب
يقرب معناه من الجواب الثاني وان كان بينهما خلاف من بعض الوجوه
والجواب الرابع ان يكون معنى ذلك أن الله تعالى هو الذي يرد
استهزاءكم ومكركم عليكم وان ضرر ما فعلتموه لم يتعدكم ولم يخط
بسواكم ونظير ذلك قول القائل ان فلانا اراد ان يخدعني فخدعته
وقصد الى أن يمكر بي فمكرت به والمعنى ان ضرر خداعه ومكره عاد
اليه ولم يضرني به والجواب الخامس أن يكون المعنى انه يجازيهم على
استهزائهم فسمى الجزاء على الذنب باسم الذنب والعرب تسمي الجزاء على الفعل
باسمه قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال تعالى فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا

بمثل ما عوقبتم به والمبتدأ ليس بعقوبة وقال الشاعر

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ومن شأن العرب أن تسمي الشيء باسم ما يقاربه ويصاحبه ويشتد
اختصاصه وتعلقه به اذا انكشف المعنى وأمن الابهام وربما غلبوا
ايضا أحد الشيئين على الآخر لقوة التعلق بينهما وشدة الاختصاص فيهما
فمثال الأول قولهم للبعير الذي يحمل المزادة راوية وللمزادة المحمولة على
البعير راوية فسموا البعير باسم ما يحمل عليه قال الشاعر

مشي الروايا بالمزاد الأثقل

أراد بالروايا الإبل ومن ذلك انهم يقولون صرعته الكأس واستلبت
عقله وقال الشاعر

وما زالت الكأس تغتالنا وتذهب بالأول الأول

والكأس هي ظرف الشراب والفعل الذي أضافوه اليها انما هو مضاف الى
الشراب الذي يحل الكأس الا ان الفراء لا تقول الكأس الا بما فيه من الشراب

اسم صح

وكان لأن الفارغ لا يسمى كأسا وعلى هذا القول تكون إضافة أخلاس
العقل والتصريع وما جرى مجرى ذلك إلى الكأس على وجه الحقيقة لأن
الكأس على هذا القول اسم للإناء وما حله من الشراب ومثال الوجه
الثاني الذي ذكرناه عنهم من التغليب تغليبهم اسم القمر على الشمس قال الشاعر

أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

أراد لنا شمسها وقمرها فغلب ومنه قول الآخر

فقولا لأهل المكتين تحاشدوا وسيروا إلى آطام يثرب والنخل

أراد بالمكتين مكة والمدينة فغلب وقال الآخر

فبصرة الأزد منا والعراق لنا والموصلان ومنا مصر والحرم

أراد بالموصلين الموصل والجزيرة وقال الآخر

نحن سبينا أمكم مقربا يوم صبحنا الحيرتين المنون

أراد الحيرة والكوفة وقال الآخر

إذا اجتمع العمران عمرو بن عامر وبدر بن عمرو خلت ذبيان تبعا

وألقوا مقاليد الأمور إليهم جميعا فكانوا رهين وطوعا

أراد بالعمرين رجلين يقال لأحدهما عمرو وللآخر بدر وقد فسره الشاعر في
البيت ومثله

جزاني الزهدمان جزاء سوء وكنت المرء يجزى بالكرامه

أراد بالزهدمين رجلين يقال لأحدهما زهدم وللآخر كردم فغلب وكل
الذي ذكرناه يقوي هذا الجواب من جواز التسمية للجزاء على الذنب باسمه
أو تغليبه عليه للمقاربة والاختصاص التام بين الذنب والجزاء عليه
والجواب السادس وهو ما روي عن ابن عباس قال يفتح لهم وهم في النار
باب من الجنة فيقبلون إليه مسرعين حتى إذا انتهوا إليه سد عليهم وفتح لهم
باب آخر في موضع آخر فيقبلون إليه مسرعين حتى إذا انتهوا إليه سد عليهم
فيضحك المؤمنون منهم إذا رأوا الأبواب قد أغلقت دونهم فلذلك قال
عز وجل فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون
فإن قيل وأي فائدة في هذا الفعل وما وجه الحكمة فيه قلنا وجه الحكمة

في النار صح

من الجنة صح

فيه ظاهر لأن ذلك أغلظ على نفوسهم وأعظم في مكروههم وهو ضرب
من العقاب الذي يستحقونه بأفعالهم القبيحة لأن من طمع في النجاة
والخلاص من المكروه واشتد حرصه على ذلك ثم حيل بينه وبين الفرج
ورد إلى المكروه يكون عذابه أصعب وأغلظ من عذاب من لا طريق للطمع
عليه فإن قيل فعلى هذا الجواب ما الفعل الذي هو الاستهزاء قلنا في ترداده
لهم من باب إلى آخر على سبيل التعذيب معنى الاستهزاء من حيث كان
إظهاراً لما المراد بخلافه وإن لم يكن فيه من فعل الاستهزاء ما يقتضي قبحه
من اللهو والعبث وما جرى مجرى ذلك والجواب السابع أن يكون ما
وقع منه تعالى ليس باستهزاء على الحقيقة لكنه سماه بذلك ليزدوج
اللفظ ويخف على اللسان وللعرب في ذلك عادة معروفة في كلامها
والشواهد عليه مذكورة مشهورة وهذا الوجه الذي ذكرناها في الآية يمكن
أن يذكر في قوله تعالى ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وفي قوله تعالى إن
المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم فليتأمل ذلك فأما قوله تعالى

ويمدهم في طغيانهم يعمهون فيحتمل وجهين أحدهما أن يريد أني أملي لهم
ليؤمنوا ويطيعوا وهم مع ذلك متمسكون بطغيانهم وعمههم والوجه
الآخر أن يريد بمدهم أنه يتركهم من فوائده ومنحه التي يؤتيها المؤمنين
ثواباً لهم ويمنعها الكافرين عقاباً كشرحه لصدورهم وتنويره لقلوبهم وكل
هذا واضح بحمد الله قال سيدنا رضي الله عنه إني لأستحسن لبعض الأعراب قوله

خليلي هل يشفي من الشوق والجوى بدوّ ذرى الأوطان لا بل يشوقها
ويزداد في قرب إليها صبابة ويبعد من فرط اشتياق طريقها
وما ينفع الحران ذا اللوح أن يرى حياض القرى مملوءة لا يذوقها

ولآخر في ذكر الأوطان والحنين إليها

ألا قل للدارين بكثبة الحمى وذات الغضا جادت عليك الهواضب
أجدك لا آتيك إلا تفلتت دموع أضاعت ما حفظت سواكب
ديار بنا سمت الهوى بجوها وطاوعني فيها الهوى والحبائب
ليالي لا الهجران مختلم بها على وصل من أهوى ولا الظن كاذب

يعني أنه من فرط محبته لها يستبعد الطريق القريب إليها

وأنشد أبو نصر صاحب الأصمعي لأعرابي

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بأكناف نجد وهي خضر متونها

وهل أشربن الدهر من ماء مزنة بحرة ليلى حيث فاض معينها

بلاد بها كنا نحل فأصبحت خلاء ترعاها مع الأدم عينها

تفيأت فيها بالشباب وبالصبى تميل بما أهوى علي غصونها

وأنشد الأصمعي لصدقة بن نافع الغنوي

ألا ليت شعري هل تحنن ناقتي ببيضاء نجد حيث كان مسيرها

فتلك بلاد حبب الله أهلها إلي وإن لم يعط نصفا أميرها

بلاد بها أنضيت راحلة الصبى ولانت لنا أيامها وشهورها

فقد نابها الهم المكدر شربه ودار علينا بالنعيم سرورها

وأنشد أبو محلم السوار بن المضرب

سقى الله اليمامة من بلاد نوافحها كأرواح الغواني

وجو زاهر للريح فيه نسيم لا يروع الترب وان

خ بإسناد مع سند وهي ...

خ وجوا زاهرا

حادية وعشرون

بها شفت الشباب إلى مشيب يقبح عندنا حسن الزمان

وأنشد إسحق الموصلي

ألا يا حبذا جنبات سلمى وجاد بأرضها جون السحاب

خلعت بها العذار ونلت فيها مناي بطاعة أو باغتصاب

أسوم بباطلي طلبات لهوي ويعذرني به عصر الشباب

فكل هؤلاء على ما ترى قد أفصحوا بأن سبب حنينهم إلى الأوطان ما لبسوه فيها من ثوب الشباب واستظلوه من ظله وأنضوه من رواحله وإنه كان يعذرهم ويحسن قبائحهم فعلى أي شيء يغلو الناس في قول ابن الرومي

وحبب أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشباب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبى فيها فحنوا لذلكا

ويزعمون أنه سبق إلى ما لم يسبق إليه وكشف عن هذا المعنى مستورا ووسم غفلا وقوله وإن كان جيد المعنى سليم اللفظ فلم يزد فيه على

على

ما تقدّم ولا أبدع بل اتّبع ولكن الجيّد اذا ورد ممّن يعهد منه
الرديّ كثر استحسانه وزاد استطرافه ولقد أحسن البحتري
في قوله في هذا المعني

فسقي الغضا والنازليه وان هم شبّوه بين جوانح وقلوب
وقصار أيّام به سُرقت لنا حسناتها من كاشح ورقيب
خضر تساقطها الصبي فكأنّها ورق تساقطه اهتزاز قضيب
كانت فنون بطالة فتقطّعت عن هجر غانية ووصل مشيب

خ في

وأحسن في قوله

سقي الله أخلافا من الدهر رطبة سقتنا الجوي اذ أبرق الحزن أبرق
ليال سرقناها من الدهر بعد ما أضاء بإصباح من الشيب مفرق
تداويت من ليلي بليلي فما اشتفي بماء الربي من بات بالماء يشرق

ولأبي تمّام في هذا المعني ما لا يقصر عن إحسان وهو

سلام ترجف الأحشاء منه علي الحسن بن وهب والعراق

ح ديوانه والفتي الحلو

علي البلد الحبيب الي غورا ونجدا والأخ العذب المذاق
ليالي نحن في وسنات عيش كأنّ الدهر عنها في وثاق
وأيّام له ولنا لذاذ غنينا في حواشيها الرقاق

خ لذات

كأنّ العهد عن عفر لدينا وان كان التلاقي عن تلاق

قال ... في شعره
تبكي بعده غفلات عيش كأنّ الدهر عنها في وثاق
وأيّاما له ولنا لذاذا غنينا من حواشيها الرقاق

بلغت المعارضة بالأصل

مجلس آخر تأويل آية

ان سأل سائل عن قوله تعالي وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ ولكم في الأرض مستقرّ ومتاع الي حين فقال كيف خاطب آدم وحوّا عليهما السلم بخطاب الجمع وهما اثنان وكيف نسب اليهما العداوة وأيّ عداوة كانت بينهما

الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه أوّلها أن يكون الخطاب متوجّها الي آدم وحوّا وذرّيّتهما لأنّ الوالدين يدلّان علي الذرّيّة ويتعلّق بهما ويقوّي ذلك قوله تعالي حاكيا عن ابرهيم واسمعيل عليهما السلم ربّنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرّيّتنا أمّة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وثانيها أن يكون الخطاب لآدم وحوّا عليهما السلم

ولابليس اللعين وأن يكون الجميع مشتركين في الأمر بالهبوط وليس لاحد
أن يستبعد هذا الجواب من حيث لم يتقدم لابليس ذكر في قوله تعالى وما
آدم اسكن أنت وزوجك الجنة لأنه وان لم يخاطب بذلك فقد جرى
ذكره في قوله تعالى فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه فجائز
أن يعود الخطاب الى الجميع ۞ وثالثها أن يكون الخطاب متوجها
الى آدم وحوا والحية التي كانت معهما على ما روي عن كثير من المفسرين
وفي هذا الوجه بعد من قبل ان خطاب من لا يفهم الخطاب لا يحسن فلا بد
أن يكون قبيحا اللهم الا ان يقال انه لم يكن هناك قول في الحقيقة ولا
خطاب وانما كنى عن اهباطهم بالقول كما يقول احدنا قلت فلقيت
الأمير وقلت فضربت زيدا وانما اخبر عن الفعل دون القول وهذا
خلاف للظاهر وان كان مستعملا وفي هذا الوجه بعد من وجه
آخر وهو أنه لم يتقدم للحية ذكر في نص القرآن والكناية عن غير
مذكور لا تحسن الا حيث لا يقع لبس ولا يسبق وهم الى تعلق الكناية

بغير مكني عنه حتى يكون ذكره كترك ذكره في البيان عن المعنى المقصود
مثل قوله تعالى حتى توارت بالحجاب وكل من عليها فان وقول الشاعر
أماوي ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
فأما بحيث لا تكون الحال على هذا فالكناية عن غير مذكور قبيحة ۞
ورابعها أن يكون الخطاب يختص آدم وحوا عليهما السلم وخاطب
الاثنين بالجمع على عادة العرب في ذلك ولأن التثنية أول الجمع قال
الله تعالى اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين اراد
لحكم داود وسليمن عليهما السلم وكان بعض أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وآله يتأول قوله تعالى فان كان له اخوة على معنى فان كان
له أخوان ۞ وقال الراعي
أخليد ان اباك ضاف وساده همان باتا جنبة ودخيلا
طرقا فتلك هماهمي اقريهما قلصا لواقح كالقسي وحولا
فعبر بالهماهم وهي جمع عن الهمين وهما اثنان ۞ فان قيل فما معنى

[illegible] ابن الاعرابي [illegible]

الهبوط الذي أمروا به قلنا أكثر المفسرين على أن الهبوط هو النزول من
السماء إلى الأرض وليس في ظاهر القرآن ما يوجب ذلك لأن الهبوط كما
يكون النزول من علو إلى سفل فقد يراد به الحلول في المكان والنزول به قال
الله تعالى اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم ويقول القائل من العرب هبطنا
بلد كذا وكذا يريد حللنا قال زهير
ما زلت أرمقهم حتى إذا هبطت أيدي المطي بهم من راكس فلقا
[illegible]
فقد يجوز على هذا أن يريد بالهبوط الخروج من المكان وحلول غيره ويحتمل
أيضا أن يريد بالهبوط غير معنى المسافة بل الانحطاط من منزلة إلى دونها
كما يقولون قد هبط فلان عن منزلته ونزل عن مكانه إذا كان على رتبة
فانحط إلى دونها فإن قيل فما معنى بعضكم لبعض عدو قلنا أما عداوة قوله صح
إبليس لآدم عليه السلام وذريته فمعروفة مشهورة وأما عداوة آدم
عليه السلام والمؤمنين من ذريته لإبليس فهي واجبة لما يجب على
المؤمنين من معاداة الكفار المارقين عن طاعة الله تعالى المستحقين

للعنته وعداوته وعداوة الحية على الوجه الذي تضمن إدخالها
في الخطاب لبني آدم معروفة ولذلك نحذرهم منها ونجنبهم فأما
على الوجه الذي تضمن أن الخطاب اختص آدم وحواء دون غيرهما
فيجب أن نحمل قوله بعضكم لبعض عدو على أن المراد به الذرية
خ للاختصاص كأنه قال اهبطوا وقد علمت من حال الذرية أن بعضهم يعادي بعضا
وعلق الخطاب بهما على الاختصاص بين الذرية وبين أصلهما
فإن قيل أليس ظاهر قوله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو يقتضي
الأمر بالمعاداة كما أنه أمر بالهبوط وهذا يوجب أن يكون تعالى
أمرهما بالقبيح على وجه لأن معاداة إبليس لآدم عليه السلام قبيحة وعداوة
بعضهم بعضا ~~بالأمر مختص بالهبوط~~ ومعاداة الكفار من ذريته
منهم صح للمؤمنين كذلك قلنا ليس يقتضي الظاهر ما ظننتموه وإنما يقتضي
أنه أمرهما بالهبوط في حال عداوة بعضهم بعضا فالأمر مختص
بالهبوط والعداوة تجري مجرى الحال وهذا له نظائر كثيرة في ..

كلام العرب ويجري مجرى هذه الآية في أن المراد بها الحال قوله تعالى
إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم
كافرون وليس معنى ذلك اراد كفرهم كما اراد تعذيبهم وازهاق أنه صح
نفوسهم بل اراد ان تزهق أنفسهم في حال كفرهم وكذلك القول في
الأمر بالهبوط وهذا بين ه قال سيدنا رضي الله عنه ومن حسن مدح
السادة الكرام قول الشاعر

وبل ام قوم غدوا عنكم لطيتهم لا يكتنون غداة العل والنهل
صد السرابيل لا توكا مقانبهم عجر البطون ولا تطوى على الفضل

قوله وبل ام قوم من الزجر المحمود الذي لا يقصد به الشر مثل
قولهم قاتل الله فلانا ما أشجعه وترحه الله ما أسمحه وقد قيل في
قول جميل

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغر من أنيابها بالقوادح أيضا صح

إنه اراد هذا المعنى بعينه وقيل انه دعا لها بالهرم وعلو السن

لأن الكبير يكثر قذى عينيه وتتحتم أسنانه وقيل انه اراد بعينيها
رقيبيها وبغر أنيابها سادات قومها ووجوههم والأول أشبه بطريقة
القوم وان كان القول محتملا للكل ه فاما قوله لا يكتنون غداة العل
والنهل فانما اراد أنهم ليسوا برعاة يسقون الإبل بل لهم من يخدمهم ويكفيهم
ويرعى لهم وانما يكتني ويرتجز على الدلو السقاة والرعاة ه وفيه وجه
آخر قيل انهم يسامحون شربهم ويؤثرونه بالسقي قبل أموالهم ولا يصولون
عليه ولا يكتنون وهذا من الكرم والتفضل لا من الضعف ه وقيل أيضا
انهم أعزاء ذوو منعة اذا وردت ابلهم ما أفرج الناس لها عنه لأنها قد
عرفت فليس يحتاج أربابها الى الاكتناء والتعرف ه وقد قال قوم في
قوله يكتنون انه من قولهم كتنت يده تكتن اذا اخشنت من العمل فيقول
ليسوا بأهل مهنة فتكتن أيديهم وتخشن من العمل بل لهم عبيد يكفونهم
ذلك ه وقوله صد السرابيل فانما اراد به طول حملهم للسلاح ولبسهم له
والمقانب هي الأوعية التي يكون فيها الزاد فكأنه يقول اذا سافروا لم

بشدوا الأوعية على ما فيها وأطعموا أهل الرفقة وهذه كناية
عن الإطعام وبذل الزاد مليحة وعجر البطون من صفات المقانب وإنها
لا تولي عجر البطون ولا تطوي على فضل الزاد ولبعض بني أسد وأحسن غاية
الإحسان
رأت صرمة لابني عبيد تمنعت من الحقوق لم تؤزل بحق فصالها
فقالت ألا تغدو فصالك هكذا فقلت أبت ضيفانها وعيالها
فما حلبت إلا الثلاثة والثني ولا قيلت إلا قريبا مقالها
حلابين من كل العيال كأنها أناضي شقر حل عنها جلالها
شكا هذا الشاعر امرأته وحكى عنها أنها رأت إبلا لجيرانها
لم يعط منها في حمالة ولم تحلب لضيف ولا جار فهي سمان وقوله لم
تؤزل من الأزل وهو الضيق في العيش والشدة فيقول فصال هؤلاء
سمان لم تلق بؤسا لأن ألبان أمهاتها موفورة عليها وحكى عن امرأته أيضا
أنها تقول له غدا أنت فصالك هكذا فقال لها تأبى ذلك الحقوق وعيالها
وهم الجيران والضيفان ثم أخبر أنه لم يلتفت إلى لومها وأن لإبل ما

خ فضلة الزاد

خ فلا

حلبت بعد مقالها إلا مرتين أو ثلاثا ولا قيلت من القايلة إلا بقرب
البيوت حتى نحرها ووهبها والحلابين أمهاتها ذبل وإنما يعني فصاله
وهزالها لأجل أنها لا تسقى الألبان وتقفوا أمهاتها وأناضي جمع نضو
وقوله حلابين من كل العيال فيه معنى حسن لأنه أراد أنها من بين جميع
العيال أمهاتها ذبل وهذا تأكيد لأن سبب هزالها الإيثار بألبانها وخصصت
بالهزال من بين كل العيال والعيال هاهنا هم الجيران والضيفان
وإنما جعلهم عيالا للكرمه وأن جوده قد لزمه مؤونتهم فصاروا
كأخص عياله ومثل ذلك قول الشاعر
تعيرني الحظلان أم محلم فقلت لها لا تقذفيني بدائيا
فإني رأيت الضامرين متاعهم يذم ويفنى فارضخي من وعائيا
فلم تجديني في المعيشة عاجزا ولا حصرما خبا شديدا وكائيا
الحظلان الممسكون البخلاء والحظل الإمساك وأم محلم امرأته ومعنى
قوله تعيرني الحظلان أي بالحظلان تقول ما لك لا تكون مثل هؤلاء الذين

يحفظون أموالهم والضامرون أيضا البخلاء فقال الهاد أبنا البخلاء يضنون بما عندهم وهو يفني ويبقى الذم فارضخي من وعاء وهذا مثل أي أعطي الناس مما عندي وهو من قولك رضخ له بشي من عطيته والحصرم البخيل تقول العرب حصرم قوسك أي شدد وترها وقوله فلم تجديني في المعيشة عاجزا أي أنا صاحب غارات أفيد وأستفيد وأتلف وأخلف فلا تخافي الفقر وقال مسكين الدارمي

في شعره قرمت

أصبحت عاذلتي معتلة قرما أم هي وحمى للصخب
أصبحت تتفل في شحم الذرى وتظن اللوم درا ينتهب

خ من امة

لا تلمها إنها من نسوة ملحها موضوعة فوق الركب

يقول إنها تكثر لومي فكأنها قرمة إلى اللوم كقرم الأشبال إلى اللحم

خ الانسان

وهي وحمى تشتهي الصخب والوحم شهوة الطعام عند الحمل

شدة قرم

وشحم الذرى الأسنمة وأراد تتفل فيها أي تعود إلى التزين بها في غنى وتعظم قدرها فلا أهب منها ولا أكرم أخبر أن أصلها من الزنج والملح

الشحم وشحم الزنج يكون على أوراكهم وأكفالهم وأنشد أبو العباس محمد بن يزيد

خ وابنة

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد
إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له أكيلا فإني لست آكله وحدي
قصيا كريما أو قريبا فإنني أخاف مذمات الأحاديث من بعدي
وإني لعبد الضيف ما دام نازلا وما من خلالي غيرها شيمة العبد

قال أبو العباس استثنى الكرم في القصي البعيد ولم يستثنه في القريب لأن أهله جميعا عنده كرام وأراد بقوله عبد الضيف أنه يخدم الضيف هو بنفسه لا يرضى أن تخدمه عبيده قال سيدنا رضي الله عنه ويشبه ذلك قول المقنع الكندي

خ ثاويا

وإني لعبد الضيف ما دام نازلا وما بي سواها خلة تشبه العبدا

وإنما اشترط في كونه عبدا للضيف في البيت الأول والثاني ثواءه ونزوله ليعلم أن الخدمة له لم تكن لضعة وصغر قدر بل لما يوجبه الكرم

من حق الأضياف وأنه يخرج عن أن يكون مخلًّا وما يخرجه من أن يكون
ضيفًا ولو قال وإني لعبد الضيف ولم يشترط لم يحصل هذا المعنى الجليل

مجلس آخر

إن سأل سائل فقال لم تدفعون من ٤
خالفكم في الاستطاعة وزعم أن المكلف يؤمر بما لا يقدر عليه ولا
يستطيعه إذا تعلق بقوله تعالى انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا
فلا يستطيعون سبيلا فإن الظاهر من هذه الآية يوجب أنهم غير
مستطيعين للأمر الذي هم غير فاعلين له وأن القدرة مع الفعل
وإذا تعلق بقوله تعالى في قصة موسى عليه السلم إنك لن تستطيع معي
صبرا وأنه نفى أن يكون قادرا على الصبر في حال هو فيها غير صابر وهذا
يوجب أن القدرة مع الفعل وبقوله تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما
كانوا يبصرون

الجواب

يقال له أول ما نقوله
أن المخالف لنا في هذا الباب من الاستطاعة لا يصح له فيه التعلق بالسمع
لأن مذهبه لا يسلم معه صحة السمع ولا يتمكن مع المقام عليه من معرفة

السمع بأدلته وإنما قلنا ذلك لأن من جوز تكليف الله تعالى
الكافر الإيمان وهو لا يقدر عليه لا يمكنه العلم بنفي القبائح
عن الله عز وجل وإذا لم يمكن ذلك فلا بد من أن يلزمه تجويز
القبائح في أفعاله وأخباره ولا يأمن من أن يرسل كذابا وأن
يخبر هو بالكذب تعالى عن ذلك فالسمع إن كان كلامه فقدح
في حجته تجويز الكذب عليه وإن كان كلام رسوله فقدح فيه
ما يلزمه من تجويز تصديق الكذاب وإنما طرق ذلك تجويز
بعض القبائح عليه وليس لهم أن يقولوا إن أمره تعالى الكافر
بالإيمان وإن لم يقدر عليه يحسن من حيث أتي الكافر فيه من
قبل نفسه لأنه تشاغل بالكفر وترك الإيمان وإنما كان يبطل
تعلقنا بالسمع لو أضفنا ذلك إليه تعالى على وجه يقبح وذلك
لأن ما قالوه إذا لم يؤثر في كون ما ذكرناه تكليفا لما لا يطاق
لم يؤثر في نفي ما ألزمناه عليهم لأنه يلزم على ذلك أن يفعل

الكذب وسائر القبائح ويكون حسنة منه بأن يفعلها من وجه
لا تقبح منه وليس قولهم انا لم نضفه اليه من وجه يقبح بشي
يعتمد بل يجري مجرى قول من جوّز عليه أن يكذب ويكون
الكذب منه حسناً ويدّعي مع ذلك صحة معرفة السمع بأن
يقول انني لم أضف اليه قبيحاً فيلزمني افساد طريقة السمع
فلما كان من ذكرناه لا عذر له في هذا الكلام لم يكن للمخالف في
الاستطاعة عذر بمثله ٭ ونعود الى تأويل الآي أما قوله تعالى
انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ٭
فليس فيه ذكر للشي الذي لا يقدرون عليه ولا بيان له وانما يصح
ما قالوه لو بين أنهم لا يستطيعون سبيلا الى أمر معين فأما
ولم يذكر ذلك فلا متعلق لهم ٭ فإن قيل فقد ذكر تعالى من قبل
ضلالهم فيجب أن يكون المراد بقوله فلا يستطيعون سبيلا الى
مفارقة الضلال ٭ قلنا انه تعالى كما ذكر الضلال فقد ذكر

ضرب المثل فيجوز أن يريد أنهم لا يستطيعون سبيلا الى تحقيق ما
ضربوه من الأمثال وذلك غير مقدور على الحقيقة ولا يستطاع
والظاهر بهذا الوجه أولى لأنه تعالى حكى عنهم أنهم ضربوا له الأمثال
وجعل ضلالهم وأنهم لا يستطيعون السبيل متعلقاً بما تقدم ذكره
وظاهر ذلك يوجب رجوع الأمرين جميعاً اليه وأنهم ضلوا بضرب
المثل وأنهم لا يستطيعون سبيلا الى تحقيق ما ضربوه من المثل على
أنه تعالى قد أخبر عنهم بأنهم ضلوا وظاهر ذلك الاخبار عن ماضي
فعلهم فإن كان قوله فلا يستطيعون سبيلا يرجع اليه فيجب أن يدل
على أنهم لا يقدرون على ترك الماضي وهذا مما لا نخالف فيه وليس فيه
ما نأباه من أنهم لا يقدرون في المستقبل أو في الحال على مفارقة الضلال
والخروج عنه ونعذر تركه وبعد فاذا لم يكن للآية ظاهر فلم
صاروا بأن يحملوا نفي الاستطاعة على أمر كلفوه بأولى منا اذا حملنا
ذلك على أمر لم يكلفوه أو على أنه أراد الاستثقال والخبر عن عظم المشقة

عليهم وقد جرت عادة اهل اللغة بأن يقولوا لمن يستثقل شيئا انه لا
يستطيعه ولا يقدر عليه ولا يتمكن منه الا ترى انهم يقولون فلان لا
يستطيع ان يكلم فلانا ولا ينظر اليه وما اشبه ذلك وانما غرضهم
الاستثقال وشدة الكلفة ٥ فان قيل فاذا كان لا ظاهر للآية
يشهد بمذهب المخالف فما المراد بها عندكم قلنا قد ذكر ابو علي ان
المراد انهم لا يستطيعون الى بيان تكذيبه سبيلا لانهم ضربوا الامثال
ظنا منهم بان ذلك يبين كذبه فاخبر تعالى ان ذلك غير مستطاع
لان تكذيب صادق وابطال حق مما لا تتعلق به قدرة ولا تتناوله
استطاعة ٥ وقد ذكر ابو هاشم ان المراد بالآية انهم لاجل ضلالهم
بضرب المثل وكفرهم لا يستطيعون سبيلا الى الخير الذي هو النجاة
من العقاب والوصول الى الثواب وليس يمكن على هذا ان يقال كيف لا
يستطيعون سبيلا الى الخير والهدى وهم عندكم قادرون على الايمان
والتوبة ومتى فعلوا ذلك استحقوا الثواب لان المراد انهم مع التمسك

بالضلال والمقام على الكفر لا سبيل لهم الى خير وهدى وانما يكون
لهم سبيل الى ذلك بان يفارقوا ما هم عليه ٥ وقد يمكن ايضا في معنى
الآية ما تقدم ذكره من ان المراد بنفي الاستطاعة انهم مستثقلون
للايمان فقد يخبر عمن استثقل شيئا بانه لا يستطيعه على ما
تقدم ذكره ٥ فاما قوله تعالى في قصة موسى عليه السلم انك لن
تستطيع معي صبرا فظاهره يقتضي انك لا تستطيع ذلك في
المستقبل يدل على انه غير مستطيع للصبر في الحال ان يفعله في
الثاني وقد يجوز ان يخرج في المستقبل من ان يستطيع ما هو في الحال
مستطيع له غير ان الآية تقتضي خلاف ذلك لانه قد صبر عن المسئلة
اوقاتا وان لم يصبر عنها في جميع الاحوال المستقبلة على ان المراد
بذلك واضح وانه تعالى خبر عن استثقاله الصبر عن المسئلة عما
لا يعرف ولا يقف عليه لان مثل ذلك يصعب على النفس ولهذا نجد
احدنا اذا جرى بين يديه ما ينكره ويستبدعه تنازعه نفسه

عنهم صح

الى المسألة عنه والبحث عن حقيقته ويثقل عليه الكف عن الفحص
عن امره فلما حدث من صاحب موسى ما يستنكر ظاهره استثقل الصبر
عن المسألة عن ذلك ويشهد لهذا الوجه قوله تعالى وكيف تصبر على ما لم
تحط به خبرا فبين ان العلة في قلة صبره ما ذكرناه دون غيره ولو كان على
غيره ما ظنوه لوجب ان يقول له كيف تصبر وانت مطيق للصبر ۞ فاما قوله
تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فلا تعلق لهم بظاهره
لان السمع ليس بمعنى فيكون مقدورا لان الادراك على المذهب الصحيح
ليس بمعنى ولو ثبت انه معنى على ما يقوله ابو علي لكان ايضا غير مقدور
للعبد من حيث تختص القديم تعالى بالقدرة عليه هذا ان اريد بالسمع
الادراك وان اريد به نفس الحاسة وهي ايضا غير مقدورة للعباد لان الجواهر
وما تختص به الحواس من البنية والمعاني التي يصح بها الادراك مما ينفرد القديم
تعالى بالقدرة عليه فالظاهر لا حجة لهم فيه ۞ فان قالوا ولعل المراد
بالسمع كونهم سامعين كانه نفى عنهم استطاعة ان يسمعوا ۞ قلنا

هذا خلاف الظاهر ولو ثبت ان المراد ذلك لحملنا نفي الاستطاعة
ها هنا على ما تقدم ذكره من الاستثقال وشدة المشقة كما يقول
القائل فلان لا يستطيع ان يراني ولا يقدر على ان يكلمني وما اشبه
ذلك وهذا بين لمن تامله ۞

تاويل خبر ۞

ان سال سائل فقال ما تاويل ما رواه يسار عن معوية بن الحكم
قال قلت يا رسول الله كانت لي جارية كانت ترعى غنما لي قبل احد
فذهب الذيب بشاة من غنمها وانا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون
لكنني غضبت فصككتها صكة قال فعظم ذلك على النبي صلى
الله عليه وآله فقال قلت يا رسول الله افلا اعتقها قال ايتني بها فاتيته
بها فقال لها اين الله فقالت في السماء قال من انا قالت انت رسول الله فقال
اعتقها فانها مؤمنة ۞

الجواب

اما قوله انا رجل من
بني آدم آسف كما يأسفون فمعناه اني اغضب كما يغضبون قال محمد بن
حبيب الاسف الغضب وانشد للراعي ۞

فما لحقتني العيش حتى وجدتني أسيفاً على حادثهم المتجرّد

(خ: أسفت)

والأسف أيضاً الحزن قال ابن الأعرابي الأسف الحزن والأسف الغضب

قال كعب بن زهير

في كل يوم أرى فيه مبيّنة تكاد تسقط مني منّة أسفا

(خ: منه)

وقوله لكني غضبت فصككتها أراد لطمتها يقال صكّ جبهته إذا لطمها بيده قال الله تعالى فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم وقال بشر بن أبي خازم يصف حمار وحش وأتانا

فصكّ بجحره إذا ما سافها وجبينه بحوافر لم تنكب

سافها أي شمها وقولها في السماء فالسماء هو الارتفاع والعلو ومعنى ذلك أنه تعالى عال في قدرته عزيز في سلطانه لا يبلغ ولا يدرك يقال سما فلان يسمو سمواً إذا ارتفع شأنه وعلا أمره قال الله تعالى أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فأخبر بقدرته وسلطانه

فستعلمون كيف نذير ح

[illegible]

وعلو شأنه ونفاذ أمره وقد قيل في قوله أأمنتم من في السماء غير هذا وأن المراد أأمنتم من في السماء أمره وآياته ورزقه ومجاري مجري ذلك وقال أمية بن أبي الصلت شاهداً لما تقدم

وأشهد أن الله لا شيء فوقه علياً وأمسى ذكره متعاليا

وقال سليمن بن يزيد العدوي

(خ: زيد)

لك الحمد يا ذا الطول والملك والغنى تعاليت محموداً كريماً وجازيا

علوت على قرب بعز وقدرة وكنت قريباً من دنوك عاليا

(خ: في دنوك)

والسماء أيضاً سقف البيت ومنه قوله تعالى من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وقال ابن الأعرابي يقال لأعلى البيت سماء البيت وسماوته وسراته وصهوته وصهاوته والسماء أيضاً المطر قال الله تعالى وأرسلنا السماء عليهم مدراراً ح ومنه الحديث الذي رواه أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله

مرّ على صبرة طعام فأدخل عليه السلم يده فيها فنالت أصابعه
بللاً فقال ما هذا يا صاحب البرّ قال أصابته السماء يا رسول الله
فقال عليه السلم لولا جعلته فوق الطعام يراه الناس من غشّ فليس
منّا ، وقال المثقّب العبدي

فلمّا أتاني والسماء تبلّه فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحبا

ويقال أيضاً لظهر الفرس سماء كما يقال لحوافره انها أرض وبعضهم
في فرس

وأحمر كالدينار أمّا سماؤه فخصب وأمّا أرضه فمحول

وإنّما أراد أنّه سمين الأعلى عريان القوائم ممشوقهما وكلّ معاني السماء
التي تتصرّف وتتنوّع ترجع إلى معنى الارتفاع والعلوّ والسموّ وإن
اختلفت المواضع التي أجريت هذه اللفظة فيها وأولى المعاني
بالخبر الذي سئلنا عنه ما قدّمناه من معنى العزّة وعلوّ الشأن
والسلطان وما عدا ذلك من المعاني لا يليق به تعالى لأنّ العلوّ بالمسافة

لا يجوز على القديم تعالى الذي ليس بجوهر ولا جسم ولا حالّ فيهما
ولأنّ الخبر والآية التي تضمّنت أيضاً ذكر السماء خرجت مخرج المدحة
ولا تمدّح في العلوّ بالمسافة وإنّما التمدّح بعلوّ الشأن والسلطان
ونفاذ الأمر ولهذا لا نجد أحداً من العرب مدح غيره في شعر أو
نثر بمثل هذه اللفظة وأراد بها علوّ المسافة بل لا يريدون إلّا
ما ذكرناه من معنى العلوّ وإنّما يظنّ في هذا الموضع خلاف هذا من لا
فطنة عنده ولا بصيرة له والحمد لله ربّ العالمين

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله
تعالى حتّى إذا جاء أمرنا وفار التنّور قلنا احمل فيها من كلّ زوجين اثنين
وأهلك إلّا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلّا قليل

الجواب قلنا أمّا التنّور فقد ذكر في معناه وجوه
أوّلها أنّه أراد بالتنّور وجه الأرض وأنّ الماء نبع وظهر على وجه الأرض
وفار وهذا قول عكرمة وقال ابن عبّاس مثله والعرب تسمّي وجه الأرض

تنورا ع وثانيها أن يكون المعنى أن الماء نبع من أعالي الأرض وفار من
الأماكن المرتفعة منها وهذا قول قتادة روي عنه في قوله وفار
التنور قال ذكر لنا أنه أرفع الأرض وأشرفها ع وثالثها أن يكون
المراد بفار التنور أي برز النور وظهر الضوء وتكاثفت أمارات دخول
النهار وتقضي الليل وهذا القول يروى عن أمير المؤمنين عليه السلم ع
ورابعها أن يكون المراد بالتنور الذي يختبز فيه على الحقيقة وأنه
تنور كان لآدم عليه السلم ع وقال قوم إن التنور كان في دار نوح
عليه السلم بعين وردة من أرض الشام وقال آخرون بل كان
التنور في ناحية الكوفة والذين روي عنهم أن التنور هو تنور
الخبز الحقيقي ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم ع وخامسها
أن يكون معنى ذلك واشتد غضب الله تعالى عليهم وحل وقوع
نقمته بهم فذكر التنور مثلا لحضور العذاب كما تقول العرب قد
حمي الوطيس إذا اشتدت الحرب وعظم الخطب والوطيس هو

التنور وتقول العرب أيضا قد فارت قدر القوم إذا اشتدت
حربهم وقال الشاعر

تفور علينا قدرهم فنديمها ونفثأها عنا إذا حميها غلا

أراد بقدرهم حربهم ومعنى نديمها نسكنها ومن ذلك الحديث
المروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه نهى عن البول في الماء الدائم
يعني الساكن ويقال قد دوم الطائر في الهواء إذا بسط جناحيه
وسكنهما ولم يخفق بهما ونفثأها معناه نسكنها يقال قد فثأت
غضبه عني وفثأت الحار بالبارد إذا كسرته به ع وسادسها
أن يكون التنور الباب الذي يجتمع فيه ماء السفينة فجعل فوران
الماء منه والسفينة على الأرض علما على ما أنذر به من إهلاك
قومه وهذا القول يروى عن الحسن وأولى الأقوال بالصواب قول من
حمل الكلام على التنور الحقيقي لأنه الحقيقة وما سواه مجاز ولأن
الروايات الظاهرة تشهد له وأضعفها وأبعدها من شهادة الأثر

قول من حمل ذلك على شدة الغضب واحتداد الأمر تمثيلاً وتشبيهاً لأن حمل الكلام على الحقيقة التي تعضدها الرواية أولى من حمله على المجاز والتوسع مع فقد الرواية وأي معاني أريد بالتنور فإن الله تعالى جعل فور الماء منه علماً لنبيه عليه السلام وأنه يدل على نزول العذاب بقومه لينجو بنفسه وبالمؤمنين فأما قوله تعالى من كل زوجين اثنين فقد قيل إن المراد به احمل من كل ذكر وأنثى اثنين وأنه يقال للكل واحد من الذكر والأنثى زوج وقال آخرون الزوجان ها هنا الضربان وقال آخرون اللون وأن كل ضرب يسمى زوجاً واستشهدوا ببيت الأعشى

له أكاليل بالياقوت فصّلها صوّاغها لا ترى عيباً ولا طبعا
وكل زوج من الديباج يلبسه أبو قدامة محبوراً بذاك معا

ومعنى من سبق عليه القول منهم أي أخبر الله تعالى بعذابه وحلول الهلاك به والله أعلم بمراده

تأويل خبر

إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه بشر بن بكر بن عمار الدهني عن صالح الحنفي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وآله في المنام وأنا أشكو إليه ما لقيت من الأود واللدد **الجواب** يقال له أما الأود فهو الميل تقول العرب لأقيمن ميلك وجنفك وأودك ودرأك وضلعك وصدعك وطلعك بالطاء وصعرك وصعلك وصدلك كله هذا بمعنى واحد وقال ثعلب الأود إذا كان من الإنسان في كلامه ورأيه فهو عوج وإذا كان من الشيء المنتصب مثل عصا وما أشبهها فهو عوج وهذا قول الناس كلهم إلا أبا عمرو الشيباني فإنه قال العوج بالكسر الاسم والعوج بالفتح المصدر قال ثعلب كأنه مصدر عوج عوجاً ويقال عصا معوجة وعود معوج وليس في كلامهم معوج فأما اللدد فهو الخصومات وقال ثعلب يقال رجل ألد وقوم لد إذا كانوا شديدي الخصومة وقوله تعالى وهو ألد الخصام وقال الأموي اللدد الاعوجاج والألد

في الخصومة الذي ليس بمستقيم أي هو أعوج الخصومة بميل
فلا يقوى عليه ولا يستمكن منه ومن ذلك قولهم لدّ الصبيّ وإنّما
يلدّ في شقّ فيه وليس بلدّ مستقيمًا فهو يرجع إلى معنى الميل
والاعوجاج وقال فسّر لنا الحكم بن ظهير فقال ألدّ الخصام
أي أعوج وأنشد أبو السمح لابن مقبل

لقد طال عن دهما لدّي وعذرتي وكتمانها أكني بأمّ فلان
جعلت لجمّال الرجال مخاضة ولو شئت قد بيّنتها بلساني

اللدّ الجدال والخصومة وقال أبو عمرو الألدّ الذي لا يقبل الحقّ ويطلب
الظلم وقوله مخاضة يقول إنّهم يخوضون في شعري فيطلبون
معانيه ولا يقفون عليه وأنشد أبو السمح

لا تقربنّ الكذب القبيح فإنّه للمرء معيبة وباب لئام
واصدق بقولك حين تنطق إنّه للصدق فضل فوق كلّ كلام
فإذا صدقت على الرجال خصمتهم والصدق مقطعة على الظلّام
وإذا رماك غشوم قوم فارمه بألدّ مستنغر المدى غشّام
لا تعرضنّ على العدوّ وسيلة واحذر عدوّك عند كلّ مقام
واعلم بأنّه ليس يومًا نافعًا عند اللئيم وسائل الأرحام
ما لم يخفك ويلق عندك جانبًا خشنًا وتصبحه بكأس سمام
وإذا أحلت بمازق فالزم به حتى تفرّج حلبة الأظلام
واصبر على كرب البلاء فإنّه ليس البلاء على الفتى بلزام
واعلم بأنّك ميّت ومحدّث عمّا فعلت معاشر الأقوام

معنى قوله مستنغر المدى أي بعيد المدى وقوله لا تعرضنّ على
العدوّ وسيلة أي لا تقاربه ولا تصانعه ولا يكن بينك وبينه
إلّا صدق العداوة وأنشد أيضًا شاهدًا لما تقدّم

يا وهب أشبه باطلي وجدّي أشبهن أخلاقي فأشبه مجدي
وجدالي عند الخصوم اللدّ

قال سيّدنا رضي الله عنه ومن حسن ما وصف به الثغر

خ بأنّه
خ حللت
خ على الخصام
خ أحسن

قول فضالة بن وكيع البكري

تبسم عن جم اللثات كأنها حصا برد او اقحوان كثيب

اذا ارتفعت عن مرقد علّلت به من البانع العودي فرع قضيب

قضيب نحاه الركب أيام عرّفوا لها من ذرى مال النبات خضيب

يعني من يانع الاراك ومعنى نحاه أي قطعه ومثله استحاه أيضا
ومال النبات اي ناعمه وحسنه يقال عشب مال وماد سواء
اي مياد ناعم ومعنى أيام عرّفوا أي اجتنوه من عرفات وذكر
أنه خضيب بالطيب الذي بيديها لادمانها استعماله وقال
الأخطل يصف ثغرا

شتيتا يرتوي الظمآن منه اذا الجوزاء أجحرت الضبابا

الشتيت المتفرق المفلج الذي ليس بمتراكب ومعنى قوله اذا الجوزاء
أجحرت الضبابا فيه وجهان أحدهما أنه أراد عند سقوط الجوزاء
وذلك في شدة البرد وطول الليل اذا أجحرت الضباب من البرد وتغيرت
الأفواه لطول ليل الشتاء يقول فثغرها حينئذ عذب غير متغير
والوجه الآخر أنه أراد عند طلوع الجوزاء في شدة الحر اذا أجحرت
الضباب من شدة الحر والقيظ فالظمآن حينئذ أشد عطشا وأحرّ
غلة فريقها يرويه ويبرد غلته وقال آخر

فويل بها لمن تكون ضجيعه اذا ما الثريا ذبذبت كل كوكب

قوله فويل بها من الزجر المحمود مثل قولهم ويل امه ما أشجعه فكأنه
يقول نعم الضجيع هي عند السحر اذا تحادرت النجوم للمغيب كما قال ذو الرمة

وأيدي الثريا جنّح في المغارب

ومثل قول الآخر

نعم شعار الفتى اذا برد الليل سحيرا وقفقف الصرد

وانما يعني أنها في ذلك الوقت الذي تتغير فيه الأفواه طيبة الريق
عذبته وأنشد أبو العباس المبرد لام الهيثم

وعارض كجانب العراق أبنت برّاقا من البرّاق

وذلك صح

خ المراق

خ البراق

يذاق مثل العسل المراق خ قولين

قال أبو العباس في هذا قولان أحدهما أنه وصف ثغرا وعارضاه
جانباه والعراق ما يثنى تخرز كعراق القربة فأخبر أنه ليس
فيه اعوجاج ولا تراكب ولا نقص وقولها أنبت براقا من البراق
يعني الثغر نفسه أي له بريق من صفائه ورقته وشبهت الريق
بالعسل لعذوبته والقول الثاني قال بعضهم العارض هاهنا
الغيم وقولها كجانب العراق يعني هذه البلاد أي هو ضخم متكاثف
قد سد الأفق وقولها أنبت براقا من البراق أي مما تنبته الأرض إذا
أبو العباس صح مطرت من النور قال المبرد والقول الأول عندنا أصح لذكرها العسل
وأنشد أحمد بن يحيى لتأبط شرا

وشعب كشل الثوب شكس طريقه مجامع صوحيه نطاف مخاصر
تعسفته بالليل لم يهدني له دليل ولم يحسن له النعت خابر

قال يعني بالشعب فم جارية كشل الثوب يعني كف الثوب إذا خاطه
الخياط والشكس الضيق يصفها بصغر الفم وحسنه ورقة
الشفتين وصوحاه جانباه وصوح الوادي جانبه ويعني
بالنطاف الريق والمخاصر الباردة من الخصر وقوله لم يهدني له
دليل أي لم يصل إليه غيري كما قال جرير

ألا رب يوم قد شربت بمشرب شفا العيم لم يشرب به أحد قبلي

العيم والعين العطش وإنما يعني ريق جارية قال المبرد وقال
آخرون بل يعني شعبا من الشعاب مخوفا ضيقا سلكه وحده
قال أبو العباس إنما عبر بالشعب عن فم جارية ثم أخذ في وصف
الشعب ليكون الأمر أشد التباسا قال سيدنا رضي
الله عنه والأشبه أن يكون أراد شعبا حقيقيا لأن تأبط شرا
كان لصا وصافا للأهوال التي يمضي بها ويعانيها في تلصصه
وكان كثيرا ما يصف تدليه من الجبال وتخلصه من المضايق
وقطعه المفاوز وأشباه ذلك والقطعة التي فيها البيتان كلها

تشهد بأن الوصف للشعب لا للفم جارية لأنه يقول بعد قوله

وشعب كشل الثوب

لدن مطلع الشعرى قليل أنيسه كأن القطا في جانبيه معاجر

به من نجاء الدلو بيض أقرها اخبار الصم الصخر فيه قراقر

وقد ذرن حتى كن للماء منتهى وغادرهن السيل فيما يغادر

به نطف زرق قليل ترابها جلا الماء عن أرجائها فهو حاير

وهذه الأوصاف كلها لا تليق إلا بالشعب دون غيره وتأويل ذلك

على الفم تعسف بعيد ولقد أحسن كثير في قوله يصف الثغر

ويوم الخيل قد سفرت وكفت رداء العصب عن رتل براد

وعن نجلاء تدمع في بياض إذا نظرت وتنظر في سواد — خ إذا دمعت

وعن متكاوس في العقص جثل أثيث النبت ذي غدر جعاد

وقال أبو تمام في هذا المعنى

وعلى العيس خرد يتبسمن عن الأشنب الشتيت البراد

كأن شوك السيال حسنا فأضحى دونه للفراق شوك القتاد

وقال البحتري

وأرتنا خدا يراح له الورد ويشتمه جنا التفاح

وشتيتا يعض من لؤلؤ النظم ويزري على شتيت الأقاحي

فأضاءت تحت الدجنة للشرب وكادت تضيء للإصباح

وقال أيضا

سفرت كما سفر الربيع الطلق عن ورد ترقرقه الضحى مصقول

وتبسمت عن لؤلؤ في وصفه برد يزيد حشاشة المتبول

وقد جمع بين كل ما يوصف به الثغر في قوله

كأنما تضحك عن لؤلؤ منظم أو برد أو أقاح — بلغ المعارضة بالأصل

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد

الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل ﻫ فقال ما أنكرتم
أن تكون هذه الآية دالة على أنه تعالى جعل الكافر كافرا لأنه أخبر
بأنه جعل منهم من عبد الطاغوت كما جعل منهم القردة والخنازير
وليس يجعله كافرا إلا بأن يخلق كفره ﻫ

الجواب

يقال له قبل أن نتكلم في تأويل الآية وما تحتمله من المعاني كيف يجوز أن
يخبرنا بأنه جعلهم كفارا وخلق كفرهم والكلام خرج مخرج الذم لهم
والتوبيخ على كفرهم والمبالغة في الإزراء عليهم وأي مدخل لكونه
خالقا لكفرهم في باب ذمهم وأي نسبة بينه وبين ذلك بل لا شيء
أبلغ في عذرهم وبراءتهم من أن يكون خالقا لما ذمهم من أجله وهذا يقتضي
أن يكون الكلام متناقضا مستحيل المعنى ونحن نعلم أن أحدنا إذا
أراد ذم غيره وتوبيخه وتهجينه بمثل هذا الضرب من الكلام إنما يقول
ألا أخبركم بشر الناس وأحقهم بالذم واللوم من فعل كذا وصنع كذا
وكان على كذا وكذا فيعدد من الأفعال والأحوال قبائحها ولا يجوز أن يدخل

في جملتها ما ليس بقبيح ولا ما هو من فعل الذام من جهته حتى يقول في
جملة ذلك ومن يشتغل بالصناعة الفلانية التي هو أسلمه إليها وحمله عليها
وإن عقلا يقبل هذه الشبهة لعقل ضعيف سخيف ﻫ فإن قيل
أليس قد ذمهم في الكلام بأن جعل منهم القردة والخنازير ولا صنع لهم
في ذلك فكذلك يجوز أن يذمهم بجعلهم عابدين للطاغوت وإن كان من
فعله ﻫ قيل إنما جعلهم قردة وخنازير عقوبة لهم على أفعالهم
وباستحقاقهم فجرى ذلك مجرى أفعالهم كما ذمهم بأن لعنهم وغضب
عليهم من حيث استحقوا ذلك منه بأفعالهم وعبادتهم للطاغوت
فإن كان هو خلقها فلا وجه لذمهم بها لأن ذلك مما لا يستحق بفعل
متقدم كاللعن والمسخ ﻫ ثم نعود إلى تأويل الآية فنقول لا ظاهر
للآية يقتضي ما ظنوه وأكثر ما تضمنته الإخبار بأنه خلق وجعل
من يعبد الطاغوت كما جعل منهم القردة والخنازير ولا شبهة في
أنه تعالى هو خلق الكافر وأنه لا خالق له سواه غير أن ذلك لا يوجب

انه خلق كفره وجعله كافرا وليس لهم ان يقولوا كما نستفيد من قوله جعل
منهم القردة والخنازير انه جعل ما به كانوا كذلك هكذا نستفيد من
قوله جعل منهم من عبد الطاغوت انه خلق ما به كان عابدا للطاغوت
وذلك انا انما استفدنا ما ذكروه من الاول لان الدليل قد دل على ان
ما به يكون القرد قردا والخنزير خنزيرا لا يكون الا من فعله وليس ما به
يكون الكافر كافرا مقصورا على فعله تعالى بل قد دل الدليل على انه
تعالى عن فعل ذلك وخلقه فافترق الامران ٤ وفي الاية وجه اخر
وهو انه لا يكون قوله تعالى وعبد الطاغوت معطوفا على القردة والخنازير
بل معطوفا على من لعنه الله وغضب عليه وتقدير الكلام من لعنه الله
ومن غضب عليه ومن عبد الطاغوت ومن جعل الله منهم القردة
والخنازير وهذا هو الواجب لان عبد فعل والفعل لا يعطف على الاسم
فلو عطفناه على القردة والخنازير لكنا قد عطفنا فعلا على اسم والاولى فعلا صح
عطفه على ما تقدم من الافعال ٤ وقال قوم يجوز ان يكون عبد الطاغوت

[illegible]

معطوفا على الهاء والميم في منهم فكانه جعل منهم وممن عبد الطاغوت
القردة والخنازير وقد تحذف من في الكلام قال الشاعر

امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

اراد ومن يمدحه وينصره ٤ فان قيل فهبوا هذا التاويل سائغ في
قراءة من قرا وعبد الطاغوت بالفتح اين انتم عن قراءة من قرا وعبد
بفتح العين وضم الباء وكسر التاء من الطاغوت ومن قرا عبد
بضم العين والباء ومن قرا عبد الطاغوت بالضم والتشديد ومن قرا
عباد الطاغوت قلنا المختار من هذه القراءات عند اهل العربية كلهم
القراءة بالفتح وعليها جميع القراء السبعة الا حمزة فانه قرا عبد
بفتح العين وضم الباء وباقي القراءات شاذة غير ماخوذ بها ٤
قال ابو اسحق الزجاج في كتابه في معاني القران عبد الطاغوت
نسق على من لعنه الله قال وقد قريت وعبد الطاغوت وعبد
الطاغوت والذي اختاره وعبد الطاغوت وروي عن ابن مسعود

وعبدوا الطاغوت فهذا يقوي وعبد الطاغوت ومن قال وعبد
الطاغوت بفتح الباء وخفض الطاغوت فانه عند بعض اهل
العربية ليس بالوجه من جهتين احدهما ان عبدا على فعل
وليس هذا من امثلة الجمع لانهم فسروه خدم الطاغوت والثاني
ان يكون محمولا على وجعل منهم عبد الطاغوت ثم خرج لمن
قرأ وعبد وجها فقال ان الاسم بني على فعل كما تقول رجل حذر
اي مبالغ في الحذر فتاويل عبد انه بلغ الغاية في طاعة الشيطان
هذا كلام الزجاج وقال ابو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي
محتجا لقراءة حمزة ليس عبد لفظ جمع الا ترى انه ليس في ابنية
الجموع شيء على هذا البناء ولكنه واحد يراد به الكثرة الا ترى ان
في الاسماء المفردة المضافة الى المعارف ما لفظه لفظ الافراد ومعناه
الجمع كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكذلك قوله عبد
الطاغوت جاء على فعل لان هذا البناء يراد به الكثرة والمبالغة وذلك

[illegible]

نحو يقظ وندس فهذا كان تقديره انه قد ذهب في عبادة الشيطان
والتذلل له كل مذهب قال وجاء على هذا لان عبدا في الاصل صفة
وان كان قد استعمل استعمال الاسماء واستعمالهم اياه استعمالها
لا يزيل عنه كونه صفة الا ترى ان الابرق والابطح وان كانا قد
استعملا استعمال الاسماء حتى كسرا تكسيرها هذا التكسير عندهم
في قولهم ابارق واباطح فلم يزل عنه حكم الصفة يدلك على ذلك
تركهم صرفه كتركهم صرف احمر ولم يجعلوا ذلك كافكل واربع
وكذلك عبد وان كان قد استعمل استعمال الاسماء لم يخرجه ذلك
عن ان يكون صفة واذا لم يخرج عن ان يكون صفة لم يمتنع ان
يبنى بناء الصفات على فعل وهذا كلام مفيد في الاحتجاج لحمزة
فاذا صحت قراءة حمزة وعادلت قراءة الباقين المختارة وصح انتصا
سائر ما روي من القراءات التي حكاها السائل كان الوجه الاول
الذي ذكرناه في الآية يزيل الشبهة فيها ويمكن في الآية وجه

[illegible]

آخر على جميع القراآت المختلفة في عبد الطاغوت وهو أن يكون
المراد بجعل منهم عبد الطاغوت أي نسبه إليهم وشهد عليه
بكونه من جملتهم والجعل مواضع قد تكون بمعنى الخلق والفعل
كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وكقوله وجعل لكم من الجبال
أكنانا وهي هاهنا تتعدى إلى مفعول واحد وقد تكون أيضا
بمعنى التسمية والشهادة كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين
هم عباد الرحمن إناثا وكقول القائل جعلت البصرة بغداذ وجعلتني
كافرا وجعلت حسني قبيحا وما أشبه ذلك فهي هاهنا تتعدى
إلى مفعولين والجعل مواضع أخر لا حاجة بنا إلى ذكرها فكأنه
تعالى قال ونسب عبد الطاغوت إليهم وشهد أنهم من جملتهم
فإن قيل لو كانت جعل هاهنا على ما ذكرتم لوجب أن تكون متعدية
إلى مفعولين لأنها إذا لم تتعد إلا إلى مفعول واحد فلا معنى لها إلا
الخلق قلنا هذا غلط من متوهمه لأن جعل هاهنا متعدية إلى مفعولين

وقوله تعالى منهم يقوم مقام المفعول الثاني عند جميع أهل العربية
لأن كل جملة تقع في خبر المبتدإ فهي تحسن أن تقع في موضع المفعول
الثاني لجعلت وظننت وما أشبههما ، وقد قال الشاعر
أبالأراجيز يا ابن اللوم توعدني وفي الأراجيز خلت اللوم والخور
وقد فسر هذا على وجهين أحدهما على إلغاء خلت من حيث توسطت
الكلام فيكون في الأراجيز على هذا في موضع رفع بأنه خبر المبتدإ
والوجه الثاني على إعمال خلت فيكون في الأراجيز في موضع نصب
من حيث وقع موقع المفعول الثاني وهذا بين لمن تأمله وتدبره ،
قال سيدنا أدام الله علوه رضي الله عنه أنشد ثعلب عن ابن الأعرابي ،
أما وأبي للصبر في كل خلة أقر لعيني من غنى زهد له
وإني لأختار الظما في مواطن على بارد عذب وأغنى بعلة
وأشتم ذنب الدهر حتى كأنه صديق ولا أغنى به عند زلة
ولست كمن كان ابن أمي مقترا فلما أفاد المال عاد ابن علة

يريد ... [illegible] ... والخور [illegible]

فدابرته حتى انقضى الود بيننا ولم أتطوق من نداه ببلة
وكنت له عند الملمات عدة أشد بمالي دونه كل خلة

قال السيد رضي الله عنه الأولى في هذه القطعة اطلاقهما
الخلة الحاجة والخلة أيضا الخصلة والخلة بالضم المودة والخلة
بالضم أيضا ما كان حلوا من المرعى والخلة بالكسر ما يخرج من الأسنان
بالخلال والخليل الحبيب من المودة والمحبة والخليل أيضا الفقير وكلا
الوجهين قد ذكر في قوله تعالى واتخذ الله ابرهيم خليلا ومنه حديث
ابن مسعود تعلموا القرآن فإنه لا يدري أحدكم متى يختل إليه
قال أبو العباس ثعلب يكون من شيئين أحدهما من الخلة التي هي
الحاجة أي متى يحتاج إليه ويكون من الخلة وهي النبات الحلو ويكون
معناه متى يشتهي ما عنده مشبه بالإبل لأنها ترعى الخلة فإذا
ملتها عدلوا بها إلى الحمض فإذا ملت الحمض اشتهت الخلة ومن أمثالهم
جاءوا مخلين فلاقوا حمضا أي جاءوا مشتهين لقتالنا فلاقوا ما كرهوا

والخلة أيضا بنت المخاض والذكر الخل ويقال جسم خل إذا كان
مهزولا قال الشاعر

فاسقنيها يا سواد بن عمرو إن جسمي بعد خالي لخل

ويقال أيضا فصيل مخلول إذا شد لسانه حتى لا يرضع ويقال خللته
فهو خليل ومخلول ومثله أجررته قال الشاعر

فلو أن قومي أنطقتني رماحهم نطقت ولكن الرماح أجرت

خ فأفتخر

أي لم يعملوا في الحرب شيئا فكنت أفتخر بهم وقوله أقر لعيني من غنى
رهن ذلة يقول اختيار الصيانة مع الفقر أحب إلي من الغنى
مع الذل ومثله

إذا كان باب الذل من جانب الغنى سموت إلى العلياء من جانب الفقر
صبرت وكان الصبر مني سجية وحسبك أن الله أثنى على الصبر

وقوله واستر ذنب الدهر حتى كأنه صديق أراد أني لا أشكو ما
يبتليني به الدهر من خصاصة بل أستر ذلك وأظهر التجمل حتى لا أسوء الصديق

وأسر العدو وهذا المعنى أراد بقوله ولا أغنا به عند ذلة

وقوله فلما أفاد المال عاد ابن علة فالعرب تقول هم بنو أعيان

إذا كان أبوهم واحدا وأمهم واحدة فإذا كان أبوهم واحدا وأمهاتهم

شتى قيل أولاد علات ومنه الحديث المأثور عن النبي صلى الله

عليه وآله أنه قال النبيون أولاد علات أي أمهاتهم شتى وأبوهم

واحد وكنى الشاعر بذلك عن التباعد والتقالي والتقاطع لأن

الأكثر في العلات ما ذكرناه وقوله ذا برته أي قاطعه وقوله لم

أنطق من نداه ببلة فالتنطق يكون بالشفتين والتلمظ باللسان وكنى

بذلك أنه لم يصب من خيره شيئا وصان نفسه عنه

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل فقال

ما تأويل قوله تعالى الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من

السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم

تعلمون وما الذي أثبت لهم العلم به وكيف يطابق وصفهم ها هنا بالعلم

لوصفهم بالجهل في قوله تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون

الجواب

قلنا هذه الآية معناها متعلق بما

قبلها لأنه تعالى أمرهم بعبادته والاعتراف بنعمته ثم عدد عليهم

صنوف النعم التي ليست إلا من جهته ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته

فإن العبادة إنما تجب لأجل النعم المخصوصة فقال جل من قائل يا أيها

الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون

الذي جعل لكم الأرض فراشا إلى آخر الآية ونبه في آخرها على

وجوب توحيده والإخلاص له وأن لا يشرك به شيء بقوله فلا تجعلوا

لله أندادا وأنتم تعلمون ومعنى قوله جعل لكم الأرض فراشا

أي يمكن أن تستقروا عليها وتفترشوها وتتصرفوا فيها وذلك

لا يمكن إلا بأن تكون مبسوطة ساكنة دائمة السكون

وقد استدل أبو علي بذلك وبقوله تعالى جعل لكم الأرض بساطا

على بطلان ما يقوله المنجمون من أن الأرض كرية الشكل وهذا

القدر لا يدل لأنه لا يكفي في النعمة علينا أن يكون فيها بسابط
ومواضع مبسوطة مسطوحة يمكن التصرف عليها وليس يجب أن
يكون جميعها كذلك ومعلوم ضرورة أن جميع الأرض ليس مسطوحا
مبسوطا وإن كان مواضع التصرف منها بهذه الصفة والمنجمون لا
يدفعون أن يكون في الأرض بسابط وسطوح يتصرف عليها ويستقر
فيها وإنما يذهبون إلى أن جملتها شكل الكرة وليس له أن يقول قوله
جعل لكم الأرض فراشا يقتضي الإشارة إلى جميع الأرض وجملتها
لا إلى مواضع منها لأن ذلك تدفعه الضرورة من حيث نعلم
بالمشاهدة أن فيها ما ليس ببساط ولا فراش ولا شبهة في أن
جعله السماء على ما هي عليه من الصفة مما له تعلق بمنافعنا ومصالحنا
وكذلك إنزاله منها الماء الذي هو المطر الذي تظهر به الثمرات
فينتفع بنيلها والاغتذاء بها فأما قوله تعالى فلا تجعلوا لله أندادا
فإن الند هو المثل والعدل قال حسان بن ثابت

أتهجوه ولست له بند فشركما لخيركما الفداء
فأما قوله تعالى وأنتم تعلمون فيحتمل وجوها أولها أن يريد أنكم
تعلمون أن الأنداد التي هي الأصنام وما جرى مجراها التي تعبدونها
من دون الله لم تنعم عليكم بهذه النعم التي عددها ولا بأمثالها
وأنها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر ومعلوم أن المشركين الذين
كانوا يعبدون الأصنام ما كانوا يدعون ولا يعتقدون أن الأصنام
خلقت السماء والأرض من دون الله ولا معه تعالى فالوصف لهم هاهنا
بالعلم إنما هو لتأكيد الحجة عليهم وتصح لزومها لهم لأنهم مع العلم
بما ذكرناه يكونون أضيق عذرا والوجه الثاني أن يكون المراد
بقوله وأنتم تعلمون أي تعقلون وتميزون وتعلمون ما تقولون وتفعلون
وتأتون وتذرون لأن من كان بهذه الصفة فقد استوفى شروط
التكليف ولزمته الحجة وضاق عذره في التخلف عن النظر وإصابة
الحق ونظير ذلك قوله تعالى إنما يتذكر أولو الألباب وإنما يخشى

الله من عباده العلماء والوجه الثالث ما قاله بعض المفسرين
كمجاهد وغيره أن المراد بذلك أهل الكتابين التوراة والإنجيل
خاصة ومعنى وأنتم تعلمون أي أنكم تعلمون أنه إله واحد
في التوراة والإنجيل فعلى الوجهين الأولين لا تنافي بين هذه
الآية وبين قوله تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها
الجاهلون لأن علمهم تعلق بشيء وجهلهم بغيره وعلى الوجه
الآخر إذا جعل الآية التي سئلنا عنها مختصة بأهل الكتاب
أمكن أن تجعل الآية التي وصفوا فيها بالجهل تتناول غيرهم
ولا ممن لم يكن ذا كتاب تجلى فيه بيان التوحيد وكل هذا
واضح بحمد الله قال سيدنا رضي الله عنه ومما يفسر من الشعر
تفاسير مختلفة والقول يحتمل للكل قول امرئ القيس

وقد أغتدي ومعي القانصان … فكل بمرباة مقتفر
فيدركنا فغم داجن … سميع بصير طلوب نكر

ألص الضروس حني الضلوع … تبوع أريب نشيط أشر
فأنشب أظفاره في النسا … فقلت هبلت ألا تنتصر
فكر إليه بمبراته … كما خل ظهر اللسان المجر
فظل يرنح في غيطل … كما يستدير الحمار النعر

قال ابن السكيت القانصان الصائدان والمرباة الموضع المرتفع يربأ فيه
والمقتفر الذي يقتفر آثار الوحش ويتبعها وقال غيره القانصان
البازي والصقر والفغم الكلب الحريص على الصيد يقال ما أشد فغمه
أي ما أشد حرصه قال الأعشى

تؤم ديار بني عامر … وأنت بآل عقيل فغم

أي مولع والداجن الذي يألف الصيد والسميع الذي إذا سمع حسا
لم يفته والبصير الذي إذا رأى شيئا من بعد لم يكذبه بصره
والتبوع الذي إذا تبع الصيد أدركه ولم يعجز عن لحوقه والنكر
المنكر الحاذق بالصيد ويروى نكر بالضم وقال ابن السكيت

يتبجح بما ليس [illegible] عليه [illegible] إذا استدل [illegible]

وغيره في قوله فأنشب أظفاره في النسا أي فأنشب الكلب أظفاره
في نسا الثور والنسا عرق في الفخذ معروف فقلت هبلت
ألا تنتصر من الكلب قالوا وهذا تهكم منه بالثور واستهزاء به
والأصل في التهكم الوقوع على الشيء يقال تهكم البئر إذا
وقع بعضه على بعض ومعنى فكر إليه بمدراته أي بقرنه
قال ابن السكيت وغيره معناه فكر الثور بمدراته أي بقرنه
ومعنى كما خل ظهر اللسان المجر أي طعنه به كما يجر الرجل لسان
الفصيل وهو أن يقطع طرف لسانه أو يشقه حتى لا يقدر على
الشرب من خلف أمه وذلك إذا كبر واستغنى عن الشرب
ومعنى فظل يرنح في غيطل أي ظل الكلب يرنح أي يميد ويتمايل
كالسكران والغيطل الشجر الملتف ويكون أيضا الجلبة والصياح
وقوله كما يستدير الحمار النعر فالنعر الذي يدخل في رأسه ذباب
أزرق أو أخضر فيطمح برأسه وينزو فشبه الكلب في اضطرابه

ونزوه بالحمار النعر قال ابن مقبل

ترى النعرات الزرق تحت لبانه أحاد ومثنى أصعقتها صواهله

وقال أحمد بن عبيد القانصان الفرس وصاحبه والحجة لأن
الفرس يسمى قانصا قول عدي بن زيد

تقنص بك الخيل وتصطاد لك الطير ولا تنلع لهو القنيص

أي لا تمنع به قال وقوله فأنشب أظفاره في النسا معناه
فأنشب الكلب أظفاره في نسا الثور فقلت لصاحب الفرس أو
غلامي الممسك للفرس هبلت ألا تدنوا إلى الثور فتطعنه فقد
أمسكه عليك الكلب قال ومحال أن يكون امرؤ القيس أغرى الثور
بقتل كلبه لأن امرأ القيس يفخر بالصيد ويصف في أكثر شعره
أنه مرزوق منه مظفر فيه كقوله

إذا ما خرجنا قال ولدان أهلنا تعالوا إلى أن يأتي الصيد نحطب

وكقوله مطعم للصيد ليس له غيره كسب على كبره

يعني الصائد

فمحال على هذا أن يجري الثور بقتل كلبه قال وتأويل ألا تنتصر
ألا تدنوا من الثور والدليل على أن تنتصر بمعنى تدنو قول الراعي

وأفرغن في وادي جلاميد بعدما علا البيد سار في القطا المتناصر

أي دان منه ومعنى ألص الضروس أي بعض أسنانه ملتصق ببعض
وحني الضلوع أي مشرف الضلوع عالي الهام ويروى جني الضلوع
بالنون أي منحنيها ويقال إن الضلوع إذا تقوست كان أوسع
لجوفه وأقوى له ويروى أيضا خفي الضلوع أي ضلوعه خفية
داخلة في جنبيه ومعنى فظل يرنح أي ظل الثور يرنح في غيطل
لما طعنه صاحب الفرس وقد يجوز أن يكون رنح الثور لظفر
الكلب به ولأنه أنشب أظفاره فيه وكل ذلك محتمل ومما
يحمل أيضا على وجوه مختلفة قول امرئ القيس

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

قال قوم معناه لم يدرس رسمها لنسج هاتين الريحين فقط بل درس

لتتابع الرياح والأمطار وقال آخرون معنى لم يعف أي لم (رسمها)
يدرس فالرسم على هذا القول هو باق غير دارس ومعنى قوله في
البيت الآخر فهل عند رسم دارس من معول أي فهل عند رسم
سيدرس في المستقبل وإن كان الساعة موجودا غير دارس
وقال آخرون في معنى قوله لم يعف مثل الوجه الثاني أنه لم يدرس
أثرها لما نسجتها بل هي بواق ثوابت فنحن نحزن لها ونجزع عند
رؤيتها ولو عفت وامّحت لاسترحنا وهذا مثل قول ابن أحمر

ألا ليت المنازل قد بلينا فلا يبكين ذا شجن حزينا

ومثل قول الآخر

ليت الديار التي تبقى لتحزننا (خ تخبرنا) كانت تبين إذا ما أهلها بانوا

وليس قوله فهل عند رسم دارس من معول نقضا لهذا إنما
هو كقولك درس ثيابك أي ذهب بعضه وبقي بعضه وقال
أبو بكر العبدي معناه لم يعف رسمها من قبلي وهو دارس من

والدليل على هذا قوله في البيت الآخر فهل عند رسم دارس من معول

الموضع فلم يتناول قوله لم يعف ما تناوله قوله فهل عند رسم
دارس من جميع وجوهه فتناقض الكلام وقال آخرون
اراد بقوله لم يعف لم يدرس ثم اكذب نفسه بقوله فهل عند رسمها ثم
رسم دارس من معول وكما قال زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الارواح والديم

وكما قال الآخر

فلا يبعدن يا خير عمرو بن مالك بلى ان من زار القبور ليبعدا

اراد ليبعدن فابدل الالف من النون الخفيفة وهذا وجه ضعيف
وبيت زهير ليس يجب فيه ما توهم من المناقضة والتكذيب لانه
يمكن ان يحمل على ما ذكرناه في احد الوجوه المتقدمة من انه اراد ان
رسمها لم يعف ولم يبطل كله وان كان قد غير القدم والارواح بعضه خ غيرته الديم
واثرت في بعض فاما البيت الثاني فلا حجة فيه لانه لم يتضمن اثباتا
ونفيا وانما دعا له ان لا يبعد ثم رجع الى قوله بلى انه ليبعد

من زار القبور وما يدعى به غير واجب ولا ثابت فكيف ينافي
الاثبات الثاني ويمكن في البيت وجه آخر وهو ان يكون معنى
لم يعف رسمها اي لم يزد ويكثر فيظهر حتى يعرفه المترسم ويتبينه
المتأمل بل هو خاف غير لائح ولا ظاهر ثم قال من بعد فهل
عند رسم دارس فلم يناقض الاول لانه قد اثبت الدروس له في
كلي الموضعين ولا شبهة في ان عفا من حروف الاضداد التي
تستعمل تارة في الدروس واخرى في الزيادة والكثرة قال
الله تعالى حتى عفوا اي كثروا ويقال قد عفا الشعر اذا
كثر قال الشاعر

ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات اللحم كوم

اراد كثيرات اللحم ويقال قد عفا وبر البعير اذا زاد ويقال اعفيت
الشعر وعفوته اذا كثرته وزدت فيه وامر رسول الله صلى
الله عليه وآله بان تحفى الشوارب وان تعفى اللحى اي توفر وهذا

الوجه أشبه عندي بما تقدم. **مجلس آخر** (بلغت المعارضة بالأصل)
تأويل آية. إن سأل سائل عن قوله تعالى يا أخت هرون
ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فأشارت إليه
قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا. فقال من هرون الذي
نسبت مريم إلى أنها أخته ومعلوم أنها لم تكن أخت هرون
أخي موسى (عليهما السلم ح) وما معنى من كان في المهد صبيا ولفظة كان
تدل على ما مضى وعيسى عليه السلم في حال قولهم ذلك كان (أما ح)
في المهد. **الجواب** قلنا هرون هذا الذي
نسبت إليه مريم فقد قيل فيه أقوال منها أن هرون المذكور في
الآية كان رجلا فاسقا مشهورا بالعهر والشر وفساد الطر(يقه)
فلما أنكروا ما جاءت به من الولد وظنوا بها ما هي عليها السلم
مبرأة منه من الشر نسبوها إلى هذا الرجل تشبيها وتمثيلا وكان
تقدير الكلام يا شبيهة هرون في فسقه وقبيح فعله وهذا القول
خ وقبح

رابعة وعشرون

يروى عن سعيد بن جبير. ومنها أن هرون هذا كان أخاها
لأبيها دون أمها وقيل إنه كان أخاها لأبيها وأمها وكان رجلا
معروفا بالصلاح وحسن الطريقة والعبادة والتأله ح
وقيل إنه لم يكن أخاها على الحقيقة بل كان رجلا صالحا من
قومها وإنه لما مات شيع جنازته أربعون ألفا كلهم يسمى هرون
من بني إسرائيل فلما أنكروا ما ظهر من أمرها قالوا يا أخت
هرون أي يا شبيهته في الصلاح والسداد معروفا منك
ولا كان والذل ممن يفعل القبيح وتتطرق عليه الريب وعلى
قول من قال إنه كان أخاها يكون معنى قولهم إنك من أهل بيت
الصلاح والسداد لأن أباك لم يكن امرأ سوء ولا كانت أمك بغيا
وأنت مع ذلك أخت هرون المعروف بالصلاح والعفة فكيف
أتيت بما لا يشبه نسبك ولا يعرف من مثلك ويقوي هذا
القول ما رواه المغيرة بن شعبة قال لما أرسلني رسول الله صلى

الله عليه وآله إلى أهل نجران قال لي أهلها ألستم تزعمون أن
هرون أخو موسى وقد علم الله ما كان بين عيسى وموسى من السنين
فلم أدر ما أرد عليهم حتى رجعت إلى النبي صلى الله عليه وآله فذكرت له
ذلك فقال لي فهلا قلت إنهم كانوا يدعون بأنبيائهم والصالحين من
قبلهم ۝ ومنها أن يكون معنى قوله يا أخت هرون يا من هي من
نسل هرون أخي موسى عليه السلام كما يقال للرجل يا أخا بني تميم ويا أخا بني فلان
وذكر مقاتل بن سليمن في قوله تعالى يا أخت هرون قال روي
عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال هرون هذا الذي ذكروه هو هرون
أخو موسى عليه السلام قال مقاتل وتأويل يا أخت هرون يا من هي
من نسل هرون كما قال تعالى وإلى عاد أخاهم هودا وإلى ثمود
أخاهم صالحا يعني بأخيهم أنه من نسلهم وجنسهم وكل قول من هذه
الأقوال فقد اختاره قوم من المفسرين ۝ فأما قوله تعالى من كان
في المهد صبيا فهو كلام مبني على الشرط والجزاء مقصود به الإبهام ۝

والمعنى من يكون (خ يكن) في المهد صبيا فكيف نكلمه ووضع في ظاهر اللفظ
الماضي موضع المستقبل لأن الشارط لا يشترط إلا فيما يستقبل فيقول
القائل إن زرتني زرتك يريد إن تزرني أزرك قال الله تعالى إن شاء
جعل لك خيرا من ذلك يعني إن يشأ الله يجعل ۝ وقال قطرب معنى
كان ها هنا معنى صار فكأن المعنى كيف نكلم من صار في المهد
صبيا ويستشهد بذلك قول زهير

أجزت إليه حرة أرحبية ۝ وقد كان لون الليل مثل الأرندج

وقال غيره كان ها هنا بمعنى خلق ووجد كما قالت العرب كان
الحر وكان البرد بمعنى وجد وحدث ۝ وقال قوم لفظة كان
وإن أريد بها الماضي فقد يراد بها الحال والاستقبال كقوله
تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس أي أنتم كذلك ۝ وقوله
عز وجل هل كنت إلا بشرا رسولا وقوله تعالى وكان الله عليما
حكيما ۝ وإن كان قد قيل في هذه الآية الأخيرة غير ذلك

قيل إن القوم شاهدوا من آثار علمه تعالى وحكمته ما شاهدوا
فلخبرهم أنه لم يزل عليماً حكيماً أي فلا تظنوا أنه استفاد
علماً وحكمة لم يكن عليهما ومما يقوي مذهب من وضع لفظة
الماضي موضع الحال والاستقبال قوله تعالى وإذ قال الله يا
عيسى بن مريم وقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار
وقولهم في الدعاء غفر الله لك وأطال بقاك ومعنى الكل
يفعل الله ذلك بك إلا أنه لما أمن من اللبس وضع لفظ الماضي
في موضع المستقبل وقال الشاعر

فأدركت من قد كان قبلي ولم أدع ... لمن كان بعدي في القصائد مصعداً

أراد لمن يكون بعدي ومما جعلوا فيه المستقبل في موضع الماضي
قول الصلتان العبدي يرثي المغيرة بن المهلب

قل للقوافل والغزاة إذا غزوا ... والباكرين وللمجد الرائح

إن الشجاعة والسماحة ضمنا ... قبراً بمرو على الطريق الواضح
فإذا مررت بقبره فاعقر به ... كوم الجلاد وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها ... فلقد يكون أخا دم وذبائح

معناه فلقد كان كذلك

تأويل خبر

إن سأل سائل فقال كيف يطابق
ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لا عدوى ولا
هامة ولا طيرة وأنه قيل له إن النقبة تقع بمشفر البعير
فتجرب لذلك الإبل فقال عليه السلم فما أعدى الأول لما روي
عنه عليه السلم من قوله لا يوردن ذو عاهة على مصح
وقوله فر من المجذوم فرارك من الأسد وأن رجلاً مجذوماً
أتاه ليبايعه بيعة الإسلام فأرسل إليه بالبيعة وأمره بالانصراف
ولم يأذن له عليه السلم وروي عنه عليه السلم أنه قال الشوم
في المرأة والدار والدابة وظواهر هذه الأخبار متنافية
متناقضة فبينوا وجه الجمع بينهما

الجواب

قلنا ان ابن قتيبة سأل نفسه عن اختلاف هذه الاخبار
واجاب عن ذلك بما انا ذاكره على وجهه ونذكر ما عندنا فيه
فانه خلط واتى بما ليس بمرضي قال ان لكل من هذه الاخبار
معنى وموضعا فاذا وضع موضعه زال الاختلاف قال
والعدوى جنسان احدهما عدوى الجذام فان المجذوم
تشتد رائحته حتى تسقم من اطال مجالسته ومواكلته وكذلك
المرأة تكون تحت المجذوم فتضاجعه في شعار واحد فيوصل
اليها الاذى وربما جذمت وكذلك ولده ينزعون في الكبر
اليه وكذلك من كان به سل ودق والاطباء تأمر بان لا يجالس
المسلول والمجذوم ولا يريدون بذلك معنى العدوى وانما يريدون
بذلك تغير الرائحة وانها قد تسقم من اطال اشتمامها والاطباء
ابعد الناس من الايمان بيمن او شوم وكذلك النقبة تكون بالبعير
وهو جرب رطب فاذا خالط الابل وحاكها او اوصل اليها بالماء الذي

يسيل منه نحو ما به فهذا هو المعنى الذي قال فيه رسول الله صلى
الله عليه وآله لا يوردن ذو عاهة على مصح قال وقد ذهب
قوم الى انه اراد بذلك ان لا يظن الذي نال ابله من ذوات العاهة
فيأثم ثم قال وليس لها عندي وجه لانا نجد الذي خبرتك به عيانا ما صح
قال واما الجنس الآخر من العدوى فهو الطاعون ينزل ببلد
فيخرج منه خوفا من الطاعون وحكي عن الاصمعي عن أهله صح
بعض البصريين انه هرب من الطاعون فركب حمارا ومضى باهله نحو
سفوان فسمع حاديا يحدو خلفه وهو يقول

لن يسبق الله على حمار ... ولا على ذي منعة مطار
او يأتي الحتف على مقدار ... قد يصبح الله امام الساري

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا كان بالبلد الذي انتم به
فلا تخرجوا منه وقال ايضا اذا كان ببلد فلا تدخلوه يريد
بقوله لا تخرجوا من البلد اذا كان فيه كأنكم تظنون ان الفرار من

فلد الله تعالى ينجيكم ويريد بقوله اذا كان ببلد فلا تدخلوه
أن مقامكم بالبلد الذي لا طاعون فيه أسكن لأنفسكم وأطيب
لعيشكم ه قال ومن ذلك المرأة تعرف بالشؤم والدار فينال الرجل
مكروه أو جائحة فيقول أعدتني بشؤمها قال فهذا هو العدوى
الذي قال النبي عليه السلام لا عدوى ه فأما الحديث الذي رواه
أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال الشؤم في المرأة
والدار والدابة فإن هذا يتوهم فيه الغلط على أبي هريرة وأنه
سمع فيه شيئا من الرسول صلى الله عليه وآله فلم يعه ه وروى
ابن قتيبة خبرا رفعه إلى أبي حسان الأعرج أن رجلين دخلا
على عائشة فقالا إن أبا هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وآله
أنه قال الطيرة في المرأة والدار والدابة فطارت شققا ثم قالت
كذب والذي أنزل الفرقان على أبي القسم من حدث بهذا عن رسول
الله صلى الله عليه وآله وإنما قال رسول الله كان أهل الجاهلية

يقولون الطيرة في المرأة والدار والدابة ثم قرأت ما أصاب من
مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها ه
وروى خبرا رفعه إلى أنس بن مالك قال جاء رجل إلى النبي صلى الله
عليه وآله فقال يا رسول الله إنا نزلنا دارا فكثر فيها عددنا وكثرت
فيها أموالنا ثم تحولنا منها إلى أخرى فقلت فيها أموالنا وقل عددنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ذروها وهي ذميمة ه قال ابن
قتيبة ليس هذا ينقض الحديث الأول وإنما أمرهم بالتحول منها
لأنهم كانوا مقيمين فيها على استثقال ظلها واستيحاش لما نالهم
فيها فأمرهم بالتحول وقد جعل الله في غرائز الناس وتركيبهم
استثقال ما نالهم السوء فيه وإن كان لهم في ذلك وحب من جرى
على يديه الخير لهم وإن لم يردهم به وبغض من جرى على يده الشر
لهم وإن لم يردهم به ه قال سيدنا رضي الله عنه ما وجدنا
ابن قتيبة عمل شيئا أكثر من أنه لما أعجزه تأويل الأخبار التي سأل

نفسه عنها والمطابقة بينها وبين قوله عليه السلم لا عدوى
ولا طيرة ادعى الخصوص فيما ظاهره العموم وخص العدوى
بشيء دون آخر وكلاهما سوا وأورد تأويلا يدفعه نص قول
النبي صلى الله عليه وآله لأنه عليه السلم لما سئل عن النقبة تقع
بمشفر البعير فتجرب لذلك الإبل قال فما أعدى الأول تكذيبا
بالعدوى في هذه النقبة وتأثيرها فاطرح ابن قتيبة ذلك وزعم
أن الجرب يعدي ويؤثر في المخالط والمواكل وعول في ذلك على
قول الأطباء وترك قول الرسول صلى الله عليه وآله ومن طريف
أمره أنه قال إن الأطباء ينهون عن مجالسة المسلول والمجذوم
ولا يريدون بذلك معنى العدوى وإنما يريدون تغير الرائحة
وأنها تسقم من أدمن اشتمامها وهذا غلط منه لأن الأطباء
إنما تنهى عن ذلك تخوفا من العدوى وسبب العدوى عندهم
هو اشتمام الرائحة وانفصال أجزاء من السقيم إلى الصحيح ولئن

كان غيره هذا عدوى عند قوم ما يوجب ألا يكون هذا أيضا من
العدوى ولما حكى عن غيره تأويلا صحيحا في قوله لا يوردن
ذو عاهة على مصح ادعى أن العيان يدفعه وأي عيان معه
ونحن نجد كثيرا ممن يخالط الجربى فلا يجرب ونجد إبلا
صحاحا تخالط ذوات العاهات فلا يصيبها شيء من أدوائها
وكأنه إنما يدعي أن العيان يدفع قول النبي صلى الله عليه وآله
فما أعدى الأول والوجه عندنا في قوله عليه السلم لا يوردن
ذو عاهة على مصح أنه عليه السلم إنما نهى عن ذلك وإن لم يكن
مؤثرا على الحقيقة لأن فاعله كالمدخل الضرر على غيره لأن
من اعتقد أن ذلك يعدي ويؤثر فأورد على إبله فلا بد من أن
يلحقه لما اعتقده ومن اعتقاده ضرر وغم ولا بد من أن يذم من
عامله بذلك فكأنه عليه السلم نهى عن أذى الناس والتعرض
للذم وقد يجوز أيضا فيه ما حكاه ابن قتيبة عن غيره ثم لم يرضه

من أنّهم متى ظنّوا ذلك أثموا فنهى عليه السلام في الطاعون إذا
كان ببلد فلا تدخلوه وأمره لمن شكا إليه ملحفه في الدار بالتحوّل
عنها المكان قد أصاب لأنّه حمل ذلك على أنّ تجنّب البلد أسكن للنفس
وأطيب للعيش وكذلك الدار وهذا يمكن في قوله لا يوردنّ ذو
عاهة على مصحّ بعينه ۞ فأمّا قوله فرّ من المجذوم فرارك من الأسد
فليس فيه أنّ ذلك لأجل العدوى وقد يمكن أن يكون لأجل نتن
ريحه واستقذاره ونفور النفس عنه ولأنّ ذلك ربّما دعا
إلى تعييره والإزراء عليه وامتناعه عليه السلام من إدخال المجذوم
عليه لمبايعته يجوز أن يكون الغرض فيه غير العدوى بل بعض الأسباب
المانعة التي ذكرنا بعضها وأمّا ما حدث للطاعون فالقول فيه
على ما قاله وقد كان سبيله لما عوّل في عدوى الجذام والجرب
على قول الأطبّاء أن يرجع أيضاً إلى قولهم في الطاعون لأنّهم يقولون
إنّ الطاعون الذي يعرض من تغيّر الأهوية وما جرى مجراها

عن النبي [illegible] عليه السلام

يعدي كعدوى الجرب والجذام والعيان الذي ادّعاه ليس هو
أكثر من وجوده من جرب أو جذم من المخالطة من كان بهذه الصفة
وهذا العيان موجود في الطاعون فإنّا نرى عمومه لمن يسكن البلد
الذي يكون فيه ويطرأ إليه ۞ فأمّا الخبر الذي يتضمّن أنّ الشوم في
المرأة والدار والدابّة فالذي ذكره من الرواية في معناه يزيل الشبهة
فيه على أنّه لم تكن هاهنا رواية في تأويله جاز أن يحمل على أنّ الذي
يتطيّر به المتطيّرون ويدّعون أنّ الشوم فيه هو المرأة والدار
والدابّة ولا يكون ذلك إثباتاً للطيرة والشوم في هذه الأشياء بل
على طريق الإخبار بأنّ الطيرة الثابتة إنّما هي فيها لقوّة أمرها
عند أصحاب الطيرة وما ذكره بعد ذلك في الدار وأمره عليه
السلام بالانتقال عنها تأويل قريب وكان يجب أن يهتدي إليه
فيما تقدّم وما التوفيق للأمر إلّا عند الله تعالى ۞ مجلس
آخر تأويل آية ۞ إن سأل سائل فقال ما

لو هي

بلغت المعارضة بالأصل

بلغ

تأويل قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب
أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم أوليس ظاهر
هذا الكلام يقتضي جواز الحجاب عليه وأنتم تمتنعون من ذلك

الجواب قلنا ليس في الآية أكثر من ذكر الحجاب وليس
فيها أنه حجاب له تعالى أو لمحل كلامه أو لمن يكلمه وإذا لم يكن في الظاهر
شيء من ذلك جاز صرف الحجاب إلى غيره عز وجل مما يجوز أن يكون
محجوبا وقد يجوز أن يريد بقوله أو من وراء حجاب أنه يفعل كلاما
في جسم محتجب عن المكلم غير معلوم له على سبيل التفصيل فيسمع
المخاطب الكلام ولا يعرف محله على سبيل التفصيل فيقال على هذا
هو مكلم من وراء حجاب وروي عن مجاهد في قوله تعالى وما كان
لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا قال هو داود عليه السلام أوحي في صدره
فزبر الزبور أو من وراء حجاب وهو موسى أو يرسل رسولا وهو جبريل
أرسل إلى محمد صلى الله عليه وآله فأما الجبائي فإنه ذكر أن المراد

بالآية وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا بمثل ما يكلم به عباده من الأمر
بطاعته والنهي لهم عن معاصيه وتنبيهه إياهم على ذلك من جهة
الخاطر أو المنام وما أشبه ذلك على سبيل الوحي قال وإنما سمى الله تعالى
(لهم صح) ذلك وحيا لأنه خاطر وتنبيه وليس هو كلاما على سبيل الإفصاح
كما يفصح الرجل منا لصاحبه إذا خاطبه والوحي في اللغة إنما هو ما جرى
(هو صح) مجرى الإيماء والتنبيه على شيء من غير أن يفصح به فهذا معنى ما ذكره
الله تعالى في الآية قال وعنى بقوله أو من وراء حجاب أن يحجب ذلك
الكلام عن جميع خلقه إلا من يريد أن يكلمه به نحو كلامه تعالى
لموسى عليه السلام لأنه حجب ذلك عن جميع الخلق إلا موسى عليه السلام
(له صح) وحده في كلامه إياه أولا وأما كلامه في المرة الثانية فإنه إنما
(أو صح) أسمع ذلك موسى والسبعين الذين كانوا معه وحجب عن جميع الخلق
سواهم فهذا معنى قوله من وراء حجاب لأن الكلام هو الذي كان
محجوبا عن الناس وقد يقال إنه حجب عنهم موضع الكلام الذي أقام

الكلام فيه فلم يكونوا يدرون من أين يسمعونه لأن الكلام عرض
لا يقوم إلا في جسم ولا يجوز أن يكون أراد بقوله أو من وراء حجاب
أن الله تعالى كان من وراء حجاب يكلم عباده لأن الحجاب لا يجوز
إلا على الأجسام المحدودة قال وعنى بقوله أو يرسل رسولا فيوحي
بإذنه ما يشاء إرساله ملائكته بكتبه وكلامه إلى أنبيائه عليهم
السلام ليبلغوا ذلك عنه عباده على سبيل إنزاله القرآن على
محمد صلى الله عليه وآله وإنزاله سائر الكتب على أنبيائه فهذا أيضا
ضرب من الكلام الذي يكلم الله تعالى به عباده ويأمرهم فيه
بطاعته وينهاهم عن معاصيه من غير أن يكلمهم على سبيل
ما كلم به موسى وهذا الكلام هو خلاف الوحي الذي ذكر في أول
الآية لأنه قد أفصح لهم في هذا الكلام بما أمرهم به ونهاهم عنه
والوحي الذي ذكره في أول هذه الآية إنما هو تنبيه وخاطر وليس
فيه إفصاح وهذا الكلام الذي ذكره أبو علي أيضا سديد والكلام

محتمل لما ذكره ويمكن في الآية وجه آخر وهو أن يكون المراد
بالحجاب البعد والخفاء ونفي الظهور وقد تستعمل العرب لفظة
الحجاب فيما ذكرناه يقول أحدهم لغيره إذا استبعد فهمه واستبطأ
فطنته بيني وبينك حجاب ويقول في الأمر الذي يستبعده ويستبعد
طريقه بيني وبين هذا الأمر حجب وموانع وسواتر وما جرى مجرى
ذلك فيكون معنى الآية أنه لا يكلم البشر إلا وحيا بأن يخطر في قلوبهم
أو بأن ينصب لهم أدلة تدلهم على ما يريده أو يكرهه منهم فيكون من
حيث نصبها للدلالة على ذلك والإرشاد إليه مخاطبا ومكلما للعباد
بما يدل عليه وجعل هذا الخطاب من وراء حجاب من حيث لم يكن
مسموعا كما يسمع الخاطر وقول الرسول ولا ظاهرا معلوما لكل من
أدركه كما أن أقوال الرسل المؤدين عنه تعالى من الملائكة بهذه الصفة
فصار الحجاب هاهنا كناية عن الخفاء وعبارة عما تدل عليه الدلالة
وليس لأحد أن يقول إن الذي تدل عليه الأجسام من صفاته تعالى

وأحواله ومراده ولا يقال انه تعالى مكلم لنا به وذلك انه غير
ممتنع على سبيل التجوز ان يقال فيما يدل عليه الدليل الذي نصبه
ليدل على مراده ويرشد اليه انه مكلم لنا ومخاطب به ولهذا لا يمتنع
المسلمون ان يقولوا انه تعالى خاطبنا بما دلت عليه الادلة العقلية
وأمرنا بعبادته واجتناب ما كرهه منا وفعل ما اراده وهكذا
يقولون فيمن فعل فعلا يدل على أمر من الامور قد خاطبنا فلان
بما فعل من كذا وكذا او قال لنا وأمرنا وزجرنا وما اشبه ذلك من
الالفاظ التي تجرونها على الكلام الحقيقي وهذا الاستعمال اكثر
واظهر من ان نورد امثلته ونظايره قال سيدنا رضي الله
عنه ومن مستحسن ما قيل في الشيب قول اسماء بن خارجة بن حصن
الفزاري

ولقد ألم بنا لنقربه ... بادي التشفا مجارف الكسب
يدعو الغني ان نال علقته ... من مطعم غبا الى غب
وطوى ثميلته والحقها ... بالصلب بعد لدونة الصلب
يا اصل شعبك ما صنعت بما ... جمعت من شب الى دب
لو كنت ذا لب تعيش به ... لفعلت فعل المرء ذي اللب
وجمعت صالح ما احترفت وما ... جمعت من نهب الى نهب
واظنه شعبا تدل به ... فلقد منيت بغاية الشعب
اذ كان غير مناصل تعصى بها ... مشحوذة وركايب الركب
فاعمد الى اهل الوقير فما ... تخشاك غير مقرمص الزرب
احسبتنا ممن تطيف به ... فاخترتنا للامن والخصب
وبغير معرفة ولا سبب ... اني وشعبك ليس من شعبي
لما رآها ليس نافعه ... جد تهاون صادق الارب
والح الحاحا بحاجته ... شكوى الضرير ومزجر الكلب
بادي التكلح يشتكي سغبا ... وانا ابن قاتل شدة السغب
فرأيت ان قد نلته باذى ... من عذم مثلبة ومن سب
ورأيت حقا ان اضيفه ... اذ ام سلمي واتقى حربي

العذم العض

فوقفت معتنا ما ازاولها بمهند ذي رونق عضب

فعرضته في ساق اسمنها فاجتاز بين الحاذ والكعب (الاصمعي فاختار)

فتركته لعياله جزرا عمدا وعلق رحلها صحبي

ذكر ذئبا طرقه ليلا وقوله مجارف الكسب مثل ضربه أي لا يبقى
له نشب الا شيء يكتسبه وقوله يدعو الغنى ان نال علقته
أي وجد ما يتعلق من مطعم غبا أي بين يوم ويوم فذلك عنده الغنى (انه صح)
والثميلة ما يبقى في البطن من طعام أو علف ومعنى طوى ثميلته
ذهب بها وأراد أنه لم يبق في بطنه ما يمسكه واللدونة اللين
واللدن اللين فأراد أنه لحق بقية طعامه بصلبه بعد أن لان
ما صلب منها ثم أقبل على الذئب كالعاذل له فقال ما صنعت
بما جمعت من شب الى دب وهذان اسمان للشباب في الهرم لا
يفردان ولا يلفظ بهما الا هكذا والمعنى فيهما هو منذ كنت شابا
حتى دببت على العصا ثم قال لو كنت ذا لب لجمعت ما تصيبه ومعنى

(خ اجترمت)

اجترفت اكتسبت ومعنى من نهب الى نهب أي من عدوتك
على الغنم الى العدوة الأخرى ثم قال ان كان تعرضك لنا شغبا
علينا فقد منيت بغاية الشغب أي هو بنا فتك وتقاتلك ولبس
ها هنا ما تغير عليه وانما معنا مناصل أي سيوف مشحوذة
وركابنا التي نمتطيها فاعمد الى أهل الوقير والوقير القطيع من
الغنم فانما تختال الراعي والمفحوص الذي يتخذ القرموصة
وأصله المكان الضيق وهو ها هنا حفرة يحتفرها الراعي في الرمل
في شدة الحر للشاة الكريمة الصفية حتى اذا بركت كان ضرعها
في القرموصة ومعنى شعبك ليس من شعبي أي لست من جنسي
ولا شكلي والأرب الخديعة عند الحاجة وشكوى الضرير الذي
قد مسه الضر ومزجر الكلب اذا خسأته والسغب الجوع وأراد
بقوله وأنا ابن قاتل شدة السغب أي أنا ابن من كان يقري ويطعم
ثم رجع الى كرمه فقال رأيت بعد أن سببته وعضضته بالأذى

والعدم أن أضيفه وأقربه لأنه ضيف وإن كان ذئبا فوقفت
أنظر في كتابي وأختار أسمنها والأعجبيا من الأخبار وأن أولها
الإبسها والحاذ أن أحد الفخذين اللذان يليان الذنب وخبر أن
رجل المطية التي عقرها علقه بعض أصحابه على مطية أخرى

وقال النجاشي يذكر ذئبا

وماء كلون الغسل قد عاد آجنا قليل به الأصوات في بلد محل
وجدت عليه الذئب يعوي كأنه خليع خلا من كل مال ومن أهل
فقلت له يا ذئب هل لك في فتى يواسي بلا من عليك ولا بخل
فقال هداك الله للرشد إنما دعوت لما لم يأته سبع قبلي
فلست بآتيه ولا أستطيعه ولاك اسقني إن كان ماؤك ذا فضل
فقلت عليك الحوض إني تركته وفي صغوه فضل القلوص من السجل
فطرب يستعوي ذئابا كثيرة وعديت كل من هواه على شغل

وروي أن الفرزدق نزل بالغريين فعراه بأعلى داره ذئب فأبصره

مقعيا يبصبص ومع الفرزدق مسلوخة فرمى إليه بيد فأكلها
فرمى إليه بما بقي فأكله فلما شبع ولى عنه فقال

وليلة بتنا بالغريين ضافنا على الزاد موشي الذراعين أطلس
تلمسنا حتى أتانا ولم يزل لدن فطمته أمه يتلمس
فلو أنه إذ جاءنا كان دانيا لألبسته لو أنه كان يلبس
ولكن تنحى خيبة بعد ما دنا فكان كقاب القوس أو هو أنفس
فقاسمته نصفين بيني وبينه بقية زادي والركائب نعس
وكان ابن ليلى إذ قرى الذئب زاده على طارق الظلماء لا يتعبس

ولابن عنقاء الفزاري واسمه قيس بن بجرة وقيل بجرة بالضم
الأبيات المشهورة في الذئب وهي

وأعوج من آل الصريخ كأنه بذي الشث سيد آبه الليل جائع
بغى كسبه أطراف ليل كأنه وليس به ظلع من الخمص ظالع
فلما أتاه الرزق من كل وجهة جنوب الملا وابتسه المطامع

خ لو أنه يتلمس — *أي أبعد فقد نفس* — *خ نجوة* — *خ آخر الليل* — *خ وأتا سنه*

خ الجرير　خ حوى　خ وهو

طوى نفسه طيّ الجرير كأنه حوى حيّة في ربوة فهو هاجع

فلما أصابت متنه الشمس حلّه بأعصل في أنيابه السمّ ناقع

وفكّك حبيه فلما تعاديا باصاي ثم افعى والبلاد بلاقع

وهمّ بأمر ثم أزمع غيره وإن ضاق رزق مرة فهو واسع

وعارض أطراف الصبا وكأنه رجاع غدير هزّه الريح رابع

ولآخر في الذئب

فقلت تعلّم أنني غير آيب إلى مستقل بالخيانة أنيبا

بعيد المطاف لا يفيد على الغنى ولا يأتلي ما استطاع أن يكسبا

معنى أنيبا أي غليظ الناب لا أنام إليه أي لا أثق به من ذلك استنمت إلى فلان أي اطمأننت إليه ومعنى لا يفيد على الغنى أي لا يلتمس مطعما وهو شبعان

ولحميد بن ثور في الذئب

فظلّ يراعي الجيش حتى تغيّبت حناش وحالت دونه الأجارع

إذا ما غدا يوما رأيت غيابة من الطير ينظرن الذي هو صانع

غداة

خفيف المعا إلا مصيرا يبلّه دم الجوف أو سؤر من الحوض ناقع

هو البعل الداني من الناس كالذي له صحبة وهو العدوّ المنازع

ينام بإحدى مقلتيه ويتّقي بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

خ المنايا بأخرى

وصف ذئبا يتبع الجيش طمعا في أن يتخلّف رجل يثب عليه لأنه من بين السباع لا يرغب في القتلى ولا يكاد يأكل إلا ما فرسه وحناش اسم هضبة وقال بعضهم وليس بمعروف إن حناش اسم من أسماء الشمس وأخبر أن الطير تتبعه لتصيب مما يقتل والمصير المعا والبعل الدهش ه

بلغ المعارضة بالأصل

بلغ

مجلس آخر

تأويل آية ه إن سأل سائل عن قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلّمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه فسوف تراني فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكّا وخرّ موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ه فقال ما تنكرون أن تكون هذه الآية

دالة على جواز الرؤية عليه عز وجل لأنها لو لم تجز أن
يسألها موسى عليه السلم كما لا يجوز أن يسأله اتخاذ الصاحبة
والولد ولو كانت أيضا الرؤية مستحيلة لم يعلقها أيضا بأمر
يصح أن يقع وهو استقرار الجبل فإذا علمنا صحة استقرار
الجبل في موضعه فيجب أن تكون الرؤية أيضا صحيحة وفي حكم
ما علقت به وقوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل يقتضي جواز
الحجاب عليه لأن التجلي والظهور لا يكونان إلا بعد احتجاب
واستتار ع

الجواب

قلنا أول ما نقوله
أنه ليس مسألة الشيء دلالة على صحة وقوعه ولا جوازه لأن السائل في صح
يسأل عن الصحيح والمحال مع العلم وفقد العلم لأغراض مختلفة
فلا دلالة في ظاهر مسألة الرؤية على جوازها ولأصحابنا عن
هذه الآية أجوبة أولها وهو الأولى والأقوى أن يكون موسى
عليه السلم لم يسأل الرؤية لنفسه وإنما سأل لقومه فقد روي

أنهم طلبوا ذلك منه والتمسوه وأجابهم بأنه لا يجوز عليه تبارك
وتعالى فلم يقنعوا بجوابه وآثروا أن يرد الجواب من قبل ربه
تعالى فوعدهم بذلك وغلب في ظنه أن الجواب إذا ورد
من جهته عز وجل كان أحسم للشبهة وأبلغ في رفعها عنهم فاختار
السبعين الذين حضروا الميقات ليكون سؤاله بمحضر منهم فيعرفوا
ما يرد من الجواب فسأل وأجيب بما يدل على أن الرؤية لا تجوز
عليه تعالى ع ويقوي هذا الجواب أشياء منها قوله تعالى يسألك
أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر
من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ع
ومنها قوله تعالى وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ع ومنها
قوله تعالى فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم
من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا لأن إضافة

ذلك إلى السفهاء يدل على أنه كان بسببهم ومن أجلهم وإنما
سألوا ما لا يجوز عليه تعالى ومنها ذكر الجهرة في الرؤية
وهي لا تليق إلا برؤية البصر دون العلم وهذا يقوي أن الطلب
لم يكن للعلم الضروري على ما سنذكره في الجواب الثاني
ومنها قوله أنظر إليك لأنا إذا حملنا الآية على طلب الرؤية
لقومه أمكن أن نحمل قوله أنظر إليك على حقيقته وإذا حملت
الآية على طلب العلم الضروري احتيج إلى حذف في الكلام ويصير
تقديره أرني أنظر إلى الآيات التي عندها أعرفك ضرورة
ويمكن في هذا الوجه الأخير خاصة أن يقال إذا كان المذهب
الصحيح عندكم هو أن النظر في الحقيقة غير الرؤية فكيف
يكون قوله أنظر إليك على حقيقته في جواب من حمل الآية على
طلب الرؤية لقومه فإن قلتم لا يمتنع أن يكونوا التمسوا
الرؤية التي معها يكون النظر والتحديق إلى الجهة فسأل على حسب

ما التمسوه قيل لكم هذا ينقض فرقكم في هذا الجواب بين
سؤال الرؤية وبين سؤال الجميع ما يستحيل عليه من الصاحبة
والولد وما يقتضي الجسمية بأن تقولوا الشك في الرؤية لا يمنع من
صحة معرفة السمع والشك في جميع ما ذكرتم يمنع من ذلك لأن الشك
الذي لا يمنع من معرفة السمع إنما هو في الرؤية التي لا يكون معها
نظر ولا تقتضي التشبيه فإن قلتم نحمل ذكر النظر على أن المراد
به نفس الرؤية على سبيل المجاز لأن من عادة العرب أن يسموا الشيء
باسم الطريق إليه وما قاربه وداناه قلنا فكأنكم عدلتم من
مجاز إلى مجاز فلا قوة في هذا الوجه والوجوه التي ذكرناها في
تقوية هذا الجواب المتقدمة أولى وليس لأحد أن يقول لو كان
عليه السلم إنما سأله الرؤية لقومه لم يضف السؤال إلى نفسه
فيقول أرني أنظر إليك ولا كان الجواب مختصا به وهو قوله تعالى
لن تراني وذلك أنه غير ممتنع وقوع الإضافة على هذا الوجه

مع ان المسئلة كانت من اجل الغير اذا كانت هناك دلالة تومن
خ لاجل
من اللبس وتزيل الشبهة فلهذا يقول احدنا اذا شفع في حاجة
غيره للمشفوع اليه اسألك ان تفعل بي كذا وتجيبني الى كذا
ويحسن ان يقول المشفوع اليه قد اجبتك وشفعتك وما جرى
مجرى ذلك وانما احسن هذا لان للسائل في المسئلة غرضا وان
رجعت الى الغير فتحققه بها وتكلفه كتكلفه اذا اختصه
ولم يتعده فان قيل كيف يجوز منه عليه السلم مع علمه
باستحالة الروية عليه تعالى ان يسئل فيها لقومه ولئن جاز
ذلك ليجوزن ان يسال لقومه ساير ما يستحيل عليه من كونه
جسما وما اشبهه متى شكوا فيه قلنا انما صح ما ذكرناه في
الروية ولم يصح فيما سالت عنه لان مع الشك في جواز الروية التي
لا تقتضي كونه جسما يمكن معرفة السمع وانه حكيم صادق في
اخباره فيصح ان يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة

ما شكوا في صحته وجوازه ومع الشك في كونه جسما لا يصح معرفة
السمع فلا ينفع بجوابه انتفاع ولا علم وقد قال بعض من تكلم
في هذه الاية قد كان جايزا ان يسال موسى عليه السلم لقومه
ما يعلم استحالته وان كانت دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته
متى كان المعلوم ان في ذلك صلاحا للمكلفين في الدين وان ورود
الجواب يكون لطفا لهم في النظر في الادلة واصابة الحق منها
غير ان من اجاب بذلك شرط ان يبين النبي عليه السلم في مسئلته
علمه باستحالة ما سال عنه وان غرضه في السؤال ورود
الجواب ليكون لطفا والجواب الثاني في الاية ان يكون
موسى عليه السلم انما سال ربه ان يعلمه نفسه ضرورة باظهار
بعض اعلام الاخرة التي تضطر الى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك
والشبهات ويستغني عن الاستدلال فتخف المحنة عليه بذلك كما
سال ابرهيم عليه السلم ربه تعالى ان يريه كيف يحيي الموتى طلبا

لتخفيف المحنة وان كان قد عرف ذلك قبل ان يراه والسؤال وان
وقع بلفظ الرؤية فان الرؤية تفيد العلم كما تفيد الادراك بالبصر
وذلك اظهر من ان يدل عليه او يستشهد عليه فقال له عز وجل
لن تراني اي لن تعلمني على هذا الوجه الذي التمسته مني ثم اكد
ذلك بان اظهر في الجبل من اياته وعجايبه ما دل به على ان اظهار
ما تقع به المعرفة الضرورية في الدنيا مع التكليف وثباته لا تخلو موسى
عليه السلم من ان يكون شاكا في ان المعرفة الضرورية لا يصح حصولها
في الدنيا او عالما بذلك فان كان شاكا فهذا مما لا يجوز على النبي عليه
السلم لان الشك فيما يرجع الى اصول الديانات وقواعد التكليف لا
يجوز عليهم لا سيما ان يعلم الله ذلك على حقيقته بعض امتهم فيزيد
عليهم في المعرفة وهذا ابلغ في التنفير عنهم من كل شي يمنع منه
فيهم وان كان عالما فلا وجه لسؤاله الا ان يقال انه سال
لقومه فيعود الى معنى الجواب الاول ؞ والجواب الثالث في الاية

ما حكي عن بعض من تكلم في هذه الاية من اهل التوحيد وهو
ان قال يجوز ان يكون موسى عليه السلم في وقت مسئلته ذلك
كان شاكا في جواز الرؤية على الله تعالى فسال عن ذلك ليعلم
هل يجوز عليه ام لا قال وليس شكه في ذلك بمانع من ان يعرف
الله تعالى بصفاته بل يجري مجرى شكه في جواز مجرى الرؤية
على بعض ما لا يرى من الاعراض في انه غير مخل بما يحتاج اليه
في معرفته تعالى فلا يمتنع ان يكون غلطه في ذلك ذنبا صغيرا
وتكون التوبة الواقعة منه لاجل ذلك ؞ وهذا الجواب يبعد من
قبل ان الشك في جواز الرؤية التي لا تقتضي تشبيها وان كان لا يمنع
من معرفته تعالى بصفاته فان الشك في ذلك لا يجوز على الانبياء
من حيث يجوز من بعض من بعثوا اليه ان يعرف ذلك على حقيقته
فيكون النبي شاكا فيه وغيره عارفا به مع رجوعه الى المعرفة
بالله تعالى وما يجوز علينا فلا يجوز عليهم وهذا اقوى في التنفير

خ اقوى
خ وما يجوز عليه فلا يجوز على الانبياء عليهم السلم

وزايد على كل ما يوجب أن تجنبه الأنبياء عليهم السلم فإن قيل
فمن أي شيء كانت توبة موسى على الجوابين المتقدمين قلنا أما
من ذهب إلى أن المسألة كانت لقومه فإنه يقول إنما تاب لأنه
أقدم على أن سأل على لسان قومه ما لم يؤذن له فيه وليس للأنبياء
ذلك لأنه لا يؤمن أن يكون الصلاح في المنع منه فيكون ترك
إجابتهم إليه منفرا عنهم ومن ذهب إلى أنه سأل المعرفة
الضرورية يقول إنه تاب من حيث سأل معرفة لا يقتضيها
التكليف وعلى جميع الأحوال تكون التوبة من ذنب صغير لا يستحق
عليه العقاب ولا الذم والأولى أن يقال في توبته عليه السلم
إنه ليس في الآية ما يقتضي أن تكون التوبة وقعت من المسألة من
أمر يرجع إليها وقد يجوز أن يكون سأل ذلك إما الذنب صغير
تقدم تلك الحال أو تقدم النبوة فلا يرجع إلى المسألة وقد
يجوز أن يكون ما أظهر من التوبة على سبيل الرجوع إلى الله تعالى

خ وأزيد — خ وجب — تجنبه — أوضح

وإظهار الانقطاع إليه والتقرب منه وإن لم يكن هناك ذنب
معروف وقد يجوز أن يكون الغرض في ذلك مضافا إلى ما
قلناه تعليمنا وتوقيفنا على ما نستعمله وندعو به عند الشدائد
ونزول الأهوال وتنبيه القوم المخطئين خاصة على التوبة مما
التمسوه من الرؤية المستحيلة عليه تعالى فإن الأنبياء وإن لم
يقع منهم القبيح عندنا فقد يقع من غيرهم ويحتاج من وقع
ذلك منه إلى التوبة والاستقالة فأما قوله تعالى فلما تجلى ربه
للجبل فالتجلي هاهنا التعريف والإظهار لما يقتضي المعرفة كقولهم
هذا كلام جلي أي واضح وكقول الشاعر
تجلى لنا بالمشرفية والقنا وقد كان عن وقع الأسنة نائيا
أراد أن تدبيره دل عليه حتى علم أنه المدبر له وإن كان نائيا
عن وقع الأسنة فأقام ما ظهر من دلالة فعله مقام مشاهدته
وعبر عنه بأنه تجلى منه وفي قوله للجبل وجهان أحدهما أن يكون

خ تعليمنا — جعله دكا — والإعلام

لأهل الجبل ومن كان عند الجبل فحذف كما قال تعالى واسأل القرية
وقوله فما بكت عليهم السماء والأرض وقد علمنا أنه بما أظهره من
الآيات أنه إنما دل من كان عند الجبل على أن رؤيته غير
جائزة والوجه الآخر أن يكون معنى للجبل أي بالجبل فأقام اللام
مقام الباء كما قال تعالى آمنتم له قبل أن آذن لكم أي به ولما
كانت الآية الدالة على منع ما سأل فيه إنما حلت الجبل وظهرت
فيه جاز أن يضاف التجلي إليه وقد استدل بهذه الآية كثير من
علماء الموحدين (التوحيد) على أنه تعالى لا يرى بالأبصار من حيث نفى
الرؤية نفياً عاماً بقوله لن تراني ثم أكد ذلك بأن علق الرؤية
باستقرار الجبل الذي علمنا أنه لم يستقر وهذه طريقة للعرب
في تبعيد الشيء لأنهم يعلقونه بما يعلم أنه لا يكون كقولهم لا كلمتك (خ لا أكلمك)
ما أضاء الفجر وطلعت الشمس وكقول الشاعر

إذا شاب الغراب أتيت أهلي وصار القار كاللبن الحليب

ومما يجري هذا المجرى قوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل
في سم الخياط وليس لأحد أن يقول إذا علق الرؤية باستقرار
الجبل وكان ذلك في مقدوره فيجب أن تكون الرؤية المعلقة به
أيضاً في مقدوره لأنه لو كان الغرض بذلك التبعيد لعلقه بأمر
يستحيل كما علق دخولهم الجنة بأمر مستحيل من ولوج الجمل في سم
الخياط وذلك أن تشبيه الشيء بغيره لا يجب أن يكون من جميع
الوجوه وإنما علق وقوع الرؤية باستقرار الجبل وقد علم أنه لا
يستقر على نفي الرؤية وما عدا ذلك من كون الرؤية مستحيلة وغير (خ خارج)
مقدورة واستقرار الجبل بخلافهما يخرج عما هو الغرض في التشبيه
على أنه إنما علق جواز الرؤية باستقرار الجبل في تلك الحال التي
جعله فيها دكاً وذلك محال لما فيه من اجتماع الضدين فجرى (الله)
مجرى جواز الرؤية في الاستحالة وليس يجب في كل ما علق بغيره أن
يجري مجراه في سائر وجوهه حتى إذا كان أحدهما مع انتفائه

مستحيلا كان الآخر مثله لأن تعلق دخول الكفار الجنة إنما علق
بولوج الجمل في سم الخياط مستحيلا ومعلوم أن الأول في المقدور
وإن كان لا يحسن والثاني ليس في المقدور وهذه جملة كافية في تأويل
هذه الآية وبيان ما فيها والحمد لله ه قال سيدنا رضي الله عنه
وإني لأستجيد قول أبي العيص حزام (خ حارثة) بن عبد الله بن قتادة بن جابر بن　خ حرام
ربيعة بن كابية المازني

وكم من صاحب قد بان عني رميت بفقده وهو الحبيب
فلم أبد الذي تحنو ضلوعي عليه وإنني لأنا الكئيب
مخافة أن يراني مستكينا عدو أو يساء به قريب
فيشمت كاشح ويظن أني جزوع عند نائبة تنوب
فبعدك شدت الأعداء طرفا إلي ورابني دهر يريب

معنى شدت الأعداء طرفا أي نظرت إلي نظرا شديدا وأظهر
الغضب في عيونها ه

الهرير صوت الكلب

وأنكرت الزمان وكل أهلي وهرتني لغيبتك الكليب

يقال كلب وكليب مثل عبد وعبيد　[illegible]

وكنت تقطع الأبصار دوني وإن وغرت من الغيظ القلوب
وتمنعني من الأعداء أني وإن رغموا المخشي المهيب
فلم أر مثل يومك كان يوما بدت فيه النجوم فما تغيب
وليل ما أنام به طويل كأني للنجوم به رقيب
وما يك جائيا لا بد منه إليك فسوف تجلبه الجلوب

بلغ

مجلس آخر تأويل آية ه إن سأل سائل عن
قوله تعالى وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم
تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم
آياته لعلكم تعقلون ه فقال كيف ذكر هذا بعد ذكره البقرة
والأمر بذبحها وقد كان ينبغي أن تتقدمه لأنه أمر بذبح البقرة　إنما صح
ليتكشف أمر القاتل فكيف أخر ذكر السبب عن المسبب وبني الكلام

بنا يقتضي أنه كان بعده ولم قال وإذ قتلتم نفسا والرواية وردت
بأن القاتل كان واحدا فكيف يجوز أن يخاطب الجماعة بالقتل والقاتل
من بينها واحد وإلى أي شيء وقعت الإشارة بقوله تعالى كذلك يحيي
الله الموتى ؏ **الجواب** قيل له أما قوله تعالى
وإذ قتلتم نفسا فيه وجهان أولهما أن تكون هذه الآية وإن تأخرت
فهي مقدمة في المعنى على الآية التي ذكرت فيها البقرة ويكون
التأويل وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فسألتم موسى فقال لكم
إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فأخر المقدم وقدم المؤخر ومثل
هذا في القرآن وكلام العرب كثير ومثله الحمد لله الذي أنزل على
عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما ؏ وقال الشاعر

إن الفرزدق صخرة ملمومة طالت فليس تنالها الأوعالا

أراد طالت الأوعال فليس تنالها ومثله

طاف الخيال وأين منك لماما فارجع لزورك بالسلام سلاما

سادسة وعشرون

أراد طاف الخيال لماما وأين هو منك ؏ والوجه الثاني أن يكون
وجه تأخيره قوله وإذ قتلتم نفسا أنه علق بما هو متأخر في الحقيقة
وواقع بعد ذبح البقرة وهو قوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها
كذلك يحيي الله الموتى لأن الأمر بضرب المقتول ببعض البقرة إنما
هو بعد الذبح فكأنه قال فذبحوها وما كادوا يفعلون ولأنكم
قتلتم نفسا فادارأتم فيها أمرناكم أن تضربوه ببعضها لينكشف
أمره ؏ فأما إخراج الخطاب مخرج ما يتوجه إلى الجميع مع أن
القاتل واحد فعلى عادة العرب في خطاب الأبناء بخطاب الآباء
والأجداد وخطاب العشيرة بما يكون من أحدها فيقول لحاضرهم
فعلت بنو تميم كذا وقتل بنو فلان فلانا وإن كان الفاعل أو القاتل
واحدا من بين الجماعة ومنه قراءة من قرأ يقاتلون في سبيل الله
فيُقتلون ويَقتلون بتقديم المفعولين على الفاعلين وهو اختيار
الكسائي وأبي العباس ثعلب والمعنى فيقتل بعضهم ويقتلون وهو

أبلغ في وصفهم وأمدح لهم لأنهم اذا قاتلوا وقتلوا بعد أن قتل
بعضهم كان ذلك أدل على شجاعتهم وقلة جزعهم وحسن صبرهم
وقد قيل انه كان القاتلان اثنين قتلا ابن عم لهما وان الخطاب
جرى عليهما بلفظ الجمع كما قال تعالى وكنا لحكمهم شاهدين
يريد داود وسليمن عليهما السلم والوجه الأول أقوى وأولى
بشهادة الاستعمال الظاهر له ولأن أكثر أهل العلم على أن
القاتل كان واحدا ومعنى فادارأتم فتدارأتم أي تدافعتم
وألقى بعضكم القتل على بعض يقال درأت فلانا اذا دافعته
ودارأته اذا لاينته ودريته اذا ختلته ويقال ادّارأ القوم
اذا تدافعوا والهاء في ادارأتم فيها تعود الى النفس وقيل انها
تعود على القتلة أي اختلفتم في القتلة لأن قتلتم يدل على المصدر
والقتلة من المصادر التي تدل على الأفعال ورجوع الهاء الى النفس
أولى وأشبه بالظاهر فأما قوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى فالإشارة

وقعت به الى قيام المقتول عند ضربه ببعض أعضاء البقرة لأنه
روي أنه قام حيا وأوداجه تشخب دما فقال قتلني فلان
ونبه الله بهذا الكلام وبذكر هذه القصة على جواز ما أنكره
مشركو قريش واستبعدوه من البعث وقيام الأموات لأنهم
قالوا إذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا فأخبرهم
الله تعالى بأن الذي أنكروه واستبعدوه هين عليه غير متعذر
في اتساع قدرته وكان مما ضرب لهم من الأمثال ونبههم عليه من
الأدلة ذكر المقتول الذي ضرب ببعض البقرة فقام حيا واراد
تعالى أني اذا كنت قد أحييت هذا المقتول بعد خروجه عن الحياة
ويأس قومه من عوده وانطواء خبر كيفية قتله عنهم ورددته
حيا مخاطبا باسم قاتله فكذلك فاعلموا أن احيا جميع الأموات عند
البعث لا يعجزني ولا يتعذر علي وهذا بين لمن تأمله قال
سيدنا رضي الله عنه ومن الشعر المشهور بالجودة في ذم الدنيا

والمذكّين بمصابها ونوائبها قول نهشل بن حَرِّيّ يرثي أخاه مالكًا

ذكرتُ أخي المُخَوَّلَ بعد يأسٍ فهاجَ عليَّ ذكراه اشتياقي
فلا أنسى أخي ما دُمتُ حيًّا وإخواني بأقرنةِ العَنَاقِ
يَجُرّون الفِصالَ إلى الندامى بروضِ الحَزْنِ من كَنَفَي أُبَاقِ
ويُغلون السِّباءَ إذا أتوه بضُمْرِ الخيلِ والشُّوَلِ الحِقاقِ
إذا اتّصلوا وقالوا يالَ عوفٍ وراحوا في المُحَبَّرةِ الرِّقاقِ
أجابكَ كلُّ أروعَ شمَّريٍّ رخِيِّ البالِ مُنطلِقِ الخِناقِ
أُناسٌ صالحون نشأتُ فيهم فأَوْدَوْا بعدَ إلفٍ واتّساقِ
مضوا لسبيلهم ولبِثتُ عنهم ولكن لا مَحالةَ من لَحاقِ
كذي الإلفِ الذي أَدْلَجْنَ عنه فحنَّ ولا يتوقُ إلى مَتاقِ
أرى الدنيا ونحن نعيشُ فيها مُوَلِّيةً تَهَيَّأُ لانطلاقِ
أعاذلَ قد بقيتُ بقاءَ قيسٍ وما حيٌّ على الدنيا بباقِ
كأنّ الشيبَ والأحداثَ تجري إلى نفسِ الفتى فرَسا سِباقِ

فإمّا الشيبُ يُدركهُ وإمّا يُلاقي حتفَهُ فيما يُلاقي
فإن تكُ لِمّتي بالشيبِ أمستْ شميطَ اللونِ واضحةَ المَشاقِ
فقد أغدو بداجيةٍ أراني بها المُتَطَلِّعاتِ من الرِّواقِ

الداجية اللمّة السوداء وأراني أفاعل من المراءاة

إلى كأنّهنّ ظباءُ قفرٍ برهبى أو بناعجتي فتاقِ
يُرامِضْنَ الحبالَ لغيرِ وصلٍ وليس حبالُ وصلي بالرِّماقِ
وعهدُ الغانياتِ كعهدِ قَيْنٍ وَنَتْ عنه الجعائلُ مُستذاقِ

القين الحداد والجعائل جمع جعالة وهي أجرته وأراد أن القين إذا عدم الجعالة رحل ولم يستقر في مكانه

كجلبِ السَّوْءِ يُعجِبُ من رآه ولا يشفي الحوائمَ من لَماقِ

الجلب الغيم الذي لا مطر معه والحوائم العطاش ولماق شيء قليل

فلا يَبعَدْ مَصابي في المَوامي وإشرافي العلايةَ وانصفاقي
وغبراءِ القتامِ جلوتُ عنّي بمُجلي الطرفِ سالمةِ المآقي

وقد طوّفتُ في الآفاقِ حتى سئمتُ النصَّ بالقُلُصِ العِتاقِ
وكم قاسيتُ من سنةٍ جمادٍ تعضُّ اللحمَ ما دونَ العِراقِ
إذا أفنيتُها بدّلتُ أخرى أعدُّ شهورَها عدَّ الأواقي
فأفنتني الشهورُ وليس تفنى وتَعدادُ الأهلّةِ والمِحاقِ
وما تُبقي الحوادثُ ليثَ غابٍ يجرُّ لعِرسِه جُزُرَ الرفاقِ
ولا بطلٌ تفادى الخيلُ منه فرارَ الطيرِ من بَرَدٍ بُعاقِ

خ بَرَدٍ

وأحسن حارثةُ بن بدرٍ الغُداني في قوله

يا كعبُ ما راحَ من قومٍ ولا ابتكروا إلا وللموتِ في آثارِهم حادِ
يا كعبُ ما طلعت شمسٌ ولا غربت إلا تقرّبُ آجالاً لميعادِ

ولأبي العتاهية في هذا المعنى

خ غَناء

إذا انقطعت عني من العيشِ مدّتي فإنّ بكاءَ الباكياتِ قليلُ
سيُعرَضُ عن ذكري وتُنسى مودّتي ويَحدُثُ بعدي للخليلِ خليلُ
أجلّك قومٌ حين صرتَ إلى الغنى وكلُّ غنيٍّ في العيونِ جليلُ

وليس الغنى إلا غنًى زيّنَ الفتى عشيّةَ يَقري أو غداةَ يُنيلُ
ولم يفتقر يوماً وإن كان مُعدِماً جوادٌ ولم يستغنِ قطُّ بخيلُ
إذا مالتِ الدنيا إلى المرءِ رغّبت إليه ومالَ الناسُ حيثُ تميلُ
أرى عِلَلَ الدنيا عليَّ كثيرةً وصاحبُها حتى المماتِ عليلُ
وإني وإن أصبحتُ بالموتِ موقناً فلي أملٌ دونَ اليقينِ طويلُ

وقد أحسن البحتري في قوله في هذا المعنى

أخيَّ متى خاصمتَ نفسَك فاحتشِد لها ومتى حدّثتَ نفسَك فاصدُقِ
أرى عِلَلَ الأشياءِ شتّى ولا أرى التجمّعَ إلا علّةً للتفرّقِ
أرى العيشَ ظلاً توشكُ الشمسُ نقلَه فكن في ابتغاءِ العيشِ كيّساً لأموقِ
أرى الدهرَ غولاً للنفوسِ وإنما يقي اللهُ في بعضِ المواطنِ من يقي
فلا تتبعِ الماضي سؤالَك لِمْ مضى وعرّج على الباقي فسائلْه لِمْ بقي
ولم أرَ كالدنيا حليلةَ صاحبٍ محبٍّ متى تحسُنْ بعينيه تُطلَقِ
تراها عِياناً وهي صنعةُ واحدٍ فتحسبُها صُنعَي لطيفٍ وأخرقِ

خ تَراها
خ فتحسبُها

وقيل ان السبب في خروج البحتري عن بغداذ في آخر ايامه
كان هذه الابيات لان بعض اعدائه شنع عليه بانه ثنوي من حيث
قال فتحسبها صنعي لطيف واخرق وكانت العامة حينئذ غالبة
على البلد فخاف على نفسه فقال لابنه ابي الغوث قم يا بني حتى نطفي
عنا هذه النائرة بخرجة نلم بها ببلدنا ونعود فخرج ولم يعد
واحسن ايضا غاية الاحسان في قوله

اغشى الخطوب فاما جئن مأربتي فيما اسير او احكمن تأديبي
ان تلتمس تمر اخلاف الخطوب وان تلبث مع الدهر تسمع بالاعاجيب

وفي قوله

متى تستزد فضلا من العمر تغترف بسجليك من شهد الخطوب وصابها
تشذ بنا الدنيا باخفض سعيها وغول الافاعي بلة من لعابها
يسر بعمران الديار مضلل وعمرانها مستانف من خرابها
ولم ارتض الدنيا اوان مجيئها فكيف ارتضائيها اوان ذهابها

خ فيها
خ وغول

اقول لمكذوب عن الدهر زاغ عن تخير آراء الحجى وانتخالها
ستيرديك او يثويك انك مخلس الى شقة يبليك بعد ما لها
وهل انت في مرموسة طال اخذها من الارض الا خفة من ارقالها
ووجدت الآمدي يروي في هذا البيت انك مجلس بالباء وتفسير
ذلك ان المعنى انك موقوف الى ان تصير الى هذا من قولك حبست
فرسا في سبيل الله واحبست دارا اي وقفتها والرواية المشهورة
انك مخلس باللام والمعنى انك متهيئ للرحيل ومتخذ حلسا والحلس
هو الكساء الذي يوضع تحت الرحل وهذا اشبه بالمعنى الذي قصده
البحتري واولى بان يختاره مع رقة طبعه وسلامة الفاظه

خ يثويك
خ حثوة
بلغ المعارضة بالاصل

مجلس آخر تأويل آية

ان سأل سائل
عن قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها
زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت
به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكون من

الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركا فيما آتاهما فتعالى
الله عما يشركون ۞ فقال أليس ظاهر هذه الآية يقتضي جواز
الشرك على الأنبياء لأنه لم يتقدم إلا ذكر آدم وحوا عليهما السلم (عليهم السلم)
فيجب أن يكون قوله جعلا له شركا فيما آتاهما يرجع إليهما

الجواب قلنا كما ذكر آدم وحوا فقد تقدم فقد
تقدم ذكر غيرهما في قوله تعالى هو الذي خلقكم ومعلوم أن
المراد بذلك جميع ولد آدم وقد تقدم ذكر ولد آدم في قوله تعالى
فلما آتاهما صالحا والمعنى فلما آتاهما ولدا صالحا والمراد هذا
الجنس دون الواحد وإن كان اللفظ لفظ واحد والمعنى فلما آتاهما
جنسا من الأولاد الصالحين وإذا كان الأمر على ما ذكرناه جاز أن
يرجع قوله جعلا له شركا إلى ولدهما وقد تقدم ذكرهما ۞
فإن قيل لما وجب رده إلى آدم وحوا لأجل التثنية في الكلام
ولم يتقدم ذكر اثنين إلا ذكرهما قلنا إن جعل هذا ترجيحا في رجوعه

إليهما جاز أيضا أن يجعل قوله في آخر الآية فتعالى الله عما يشركون
وجها مقويا بالرجوع الكلام إلى جملة الأولاد ۞ ويجوز أن يكون
أشير في التثنية إلى الذكور والإناث من ولد آدم أو إلى جنسين
منهم فحسنت التثنية لذلك ۞ على أنه إذا تقدم في الكلام أمران
ثم تلاهما حكم من الأحكام علم بالدليل استحالة تعلقه بأحد
الأمرين وجب رده إلى الآخر وإذا علمنا أن آدم عليه السلم لا يجوز
عليه الشرك لم يجز عود الكلام إليه فوجب عوده إلى المذكورين
من ولده ۞ وذكر أبو علي الجبائي ما نحن نورده على وجهه قال إنما
عنى الله تعالى بها أنه خلق بني آدم من نفس واحدة لأن الإضمار في قوله
تعالى خلقكم إنما عنى به بني آدم والنفس الواحدة التي خلقهم منها هي آدم
لأنه خلق حوا من آدم ويقال إنه خلقها من ضلع من أضلاعه فرجعوا
جميعا إلى أنهم خلقوا من آدم وبين ذلك بقوله وخلق منها زوجها
لأنه عنى به أنه خلق من هذه النفس زوجها وزوجها هو حوا وعنى

ويقال انها خلقت من طينة فضلت منه صح

خ ان حملها

بقوله فلما تغشاها حملت حملا خفيفا وحملها هو حبلها منه في ابتداء
الحمل لانه في ذلك الوقت خفيف عليها وعنى بقوله فمرت به ان مرورها
بهذا الحمل وتصرفها به كان عليها سهلا لخفته فلما كبر الولد في بطنها
ثقل ذلك عليها فهو معنى قوله اثقلت وثقل عليها عند ذلك المشي
والحركة وعنى بقوله دعوا الله ربهما ادعوا عند كبر الولد في بطنها انهما ح
فقالا لئن آتيتنا نسلا صالحا لنكونن من الشاكرين لنعمتك علينا لانهما بانه صح
ارادا ان يكون لهما اولاد يونسونهما في الموضع الذي كانا فيه
لانهما كانا فردين مستوحشين فكان اذا غاب احدهما عن الاخر
بقي الاخر مستوحشا بلا مونس فلما آتاهما نسلا صالحا معافى
وهم الاولاد الذين كانوا يولدون لهما لان حوا كانت تلد في
كل بطن ذكرا وانثى فيقال انها ولدت خمس مائة بطن الف ولد وعنى
بقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركا فيما آتاهما من نعمه واضافا
تلك النعم الى الذين اتخذوهم آلهة مع الله عز وجل من الاصنام

والاوثان ولم يعن بقوله جعلا آدم وحوا عليهما السلم لان آدم لا
يجوز عليه الشرك بالله لانه نبي من انبيائه ولو جاز الشرك والكفر على
الانبياء لما جاز ان يثق احدنا بما يوديه الانبيا اليه عن الله عز وجل
لان من جاز عليه الكفر جاز عليه الكذب ومن جاز عليه الكذب لم يوثق
باخباره فصح بهذا ان الاضمار في قوله جعلا انما يعني النسل وانما
ذكر ذلك على سبيل التثنية لانهم كانوا ذكرا وانثى فلما كانوا صنفين
جاز ان يجعل اخباره عنهما كالاخبار عن الاثنين اذا كانا صنفين
وقد دل على صحة تاويلنا هذا قوله تعالى في آخر الآية فتعالى الله
عما يشركون فبين ان الذين جعلوا له شركا هم جماعة فلهذا جعل
اضمارهم اضمار الجماعة فقال يشركون مضى كلام ابي علي ره وقد
قيل في قوله فلما آتاهما صالحا مضافا الى الوجه المتقدم الذي
هو انه اراد بالصلاح الاستواء في الخلقة والاعتدال في الاعضاء
ووجه آخر وهو انه لو اراد الصلاح في الدين لكان الكلام ايضا

مستقيماً لان الصالح في الدين قد يجوز ان يكفر بعد صلاحه فيكون في
حال صالحاً وفي آخر مشركاً وهذا الايتنا في وقد استشهد في جواز
الانتقال من خطاب الى غيره ومن كناية عن مذكور الى مذكور سواه
ليصح ما قلناه من الانتقال من الكناية عن آدم وحوا الى ولدهما بقوله
تعالى انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله
فانصرف عن مخاطبة الرسول عليه السلم الى مخاطبة المرسل اليهم
ثم قال وتعزروه وتوقروه يعني الرسول عليه السلم ثم قال وتسبحوه
وهو يعني مرسل الرسول فالكلام واحد متصل بعضه ببعض والخطاب
منتقل من واحد الى غيره وبقول الهذلي

يالهف نفسي كان جدة خالد وبياض وجهك للتراب الاعفر

ولم يقل بياض وجهه وقال كثير

أسيئي بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت

فخاطب ثم ترك الخطاب وقال آخر

فدى لك ناقتي وجميع اهلي ومالي انه منه اتاني

ولم يقل منك اتاني ووجدت ابا مسلم بن بحر يحمل هذه الاية على
ان الخطاب في جميعها غير متعلق بادم وحوا ويجعل الهاء في تغشاها
والكناية في دعوا الله ربهما وآتاهما صالحاً راجعين الى من اشرك ولم
يتعلق بادم وحوا من الخطاب الا قوله خلقكم من نفس واحدة لان الاشارة
في قوله خلقكم من نفس واحدة الى الخلق عامة وكذلك في قوله تعالى
وجعل منها زوجها ثم خص منها بعضهم كما قال تعالى هو الذي يسيركم
في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة فكذلك هذه
الاية اخبرت جملة امر البشر وانهم مخلوقون من نفس واحدة وزوجها
وهما آدم وحوا عليهما السلم ثم عاد الذكر الى الذي سال الله تعالى ما
سال فلما اعطاه اياه ادعى الشركا في عطيته قال وجايز ان يكون
عنى بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة المشركين خصوصاً اذ كان
كل بني آدم مخلوقاً من نفس واحدة وزوجها ويكون المعنى في قوله

فخاطب الجماعة بالتسيير في البر والبحر ثم خص بالخطاب راكبي البحر بقوله وجرين بهم بريح طيبة

عح صح

الي مع

خلقكم من نفس واحدة خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وهذا يجي
كثيرا في القرآن وفي كلام العرب قال الله تعالى والذين يرمون المحصنات
ثم لم يأتوا بأربعة شهدآء فاجلدوهم ثمانين جلدة أي فاجلدوا كل
واحد منهم ثمانين جلدة وقال عز وجل ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم
أزواجا لتسكنوا إليها فلكل نفس زوج هو منها أي من جنسها فلما تغشاها
أي فلما تغشى كل نفس زوجها حملت حملا خفيفا وهو مآء الفحل فمرت
به أي مارت به والمور التردد والمراد تردد هذا المآ في رحم هذه
الحامل فلما أثقلت أي ثقل حملها بمصير ذلك المآ لحما ودما وعظاما دعوا
الله ربهما أي الرجل والمرأة لما استبان حمل المرأة فقالا لئن آتيتنا
صالحا صح
صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما أي أعطاهما ما سألا من الولد
الصالح نسبا ذلك إلى شركآ معه فتعالى الله عما يشركون وقال قوم
معنى جعلا له شركا أي طلبا من الله أمثالا للولد الصالح فشركا بين
الطلبين ويكون الهاء في قوله له راجعة إلى الصالح لا إلى الله تعالى

ويجري مجرى قول القائل طلبت مني درهما فلما أعطيتك شركته
بآخر أي طلبت آخر مضافا إليه وعلى هذا الوجه لا يمتنع أن يكون
قوله جعلا والخطاب كله متوجها إلى آدم وحوا عليهما السلم ه

مجلس آخر تأويل آية ه إن سأل سائل عن
قوله تعالى قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ه
فقال أليس ظاهر هذا القول يقتضي أنه خالق لأعمال العباد لأن
ما هاهنا بمعنى الذي فكأنه قال خلقكم وخلق أعمالكم **الجواب**
قلنا قد حمل أهل الحق هذه الآية على أن المراد بقوله وما تعملون
أي ما تعملون فيه من الحجارة والخشب وغيرهما مما كانوا يتخذونه أصناما
ويعبدونها قالوا وغير منكر أن يريد بقوله وما تعملون ذلك كما أنه قد
أراد ما ذكرناه بقوله أتعبدون ما تنحتون لأنه لم يرد أنكم تعبدون
نحتكم الذي هو فعل لكم بل أراد ما تفعلون فيه النحت كما قال تعالى في
عصا موسى تلقف ما يأفكون وتلقف ما صنعوا وإنما أراد أن العصا

تلقفت الحبال التي أظهروا سحرهم فيها وهي التي حلتها صنعتهم
وإفكهم فقال ما صنعوا وما يأفكون وأراد ما صنعوا فيه وما يأفكون
ومثله قوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان
وإنما أراد المعمول فيه دون العمل وهذا الاستعمال أيضا شائع لأنهم
يقولون هذا الباب عمل النجار وفي الخلخال هذا من عمل الصائغ وإن
كانت الأجسام التي أشير إليها ليست أعمالا وإنما عملوا فيها فحسن إجراء
هذه العبارة فإن قيل كل الذي ذكرتموه وإن استعمل فعلى وجه
المجاز والاتساع لأن العمل في الحقيقة لا يجري إلا على فعل الواحد
دون ما يفعل فيه وإن استعير في بعض المواضع قلنا ليس نسلم
لكم أن الاستعمال الذي ذكرناه على سبيل المجاز بل نقول هو المفهوم
الذي لا يستفاد سواه لأن القائل إذا قال هذا الثوب عمل فلان
لم يفهم منه إلا أنه عمل فيه وما رأينا أحدا قط يقول في الثوب بدلا
من قوله هذا من عمل فلان هذا مما حله عمل فلان فالأول أولى بأن

شائع — لهم صح — خ الفاعل

يكون حقيقة وليس ينكر أن الأصل في الحقيقة ما ذكروه ثم انتقل بعرف
الاستعمال إلى ما ذكرناه وصار أخص به ومما لا يستفاد من الكلام
سواه كما انتقلت ألفاظ كثيرة على هذا الحد ولا اعتبار في المفهوم من
الألفاظ إلا بما استقر عليه استعمالها دون ما كانت عليه في الأصل
فوجب أن يكون المفهوم والظاهر من الآية ما ذكرناه على أنا لو سلمنا
أن ذلك مجاز وجب المصير إليه من وجوه فيها ما يشهد به ظاهر
الآية ويقتضيه ولا يسوغ سواه وفيها ما تقتضيه الأدلة القاطعة
الخارجة عن الآية فمن ذلك أنه تعالى أخرج الكلام مخرج التهجين لهم
والتوبيخ لأفعالهم والإزراء على مذاهبهم فقال أتعبدون ما تنحتون
والله خلقكم وما تعملون ومتى لم يكن قوله وما تعملون المراد تعملون فيه
ليصير تقدير الكلام أتعبدون الأصنام التي تنحتونها والله خلقكم
وخلق هذه الأصنام التي تفعلون فيها التخطيط والتصوير لم يكن
للكلام معنى فلا مدخل في باب التوبيخ ويصير على ما يذكره المخالف

له صح — خ ولا مدخل في

كأنه قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وخلق عبادتكم
فأي وجه للتقريع وهذا إلى أن يكون عذرًا أقرب من أن يكون
لومًا وتوبيخًا إذا خلق عبادتهم للأصنام فأي وجه للومهم
عليها وتقريعهم بها على أن قوله عز وجل والله خلقكم وما تعملون
بعد قوله أتعبدون ما تنحتون خرج مخرج التعليل للمنع من عبادة
غيره فلا بد من أن يكون متعلقًا بما تقدم من قوله أتعبدون ما
تنحتون ومؤثرًا في المنع من عبادة غير الله فلو أفاد قوله ما تعملون
نفس العمل الذي هو النحت دون المعمول فيه لكان لا فائدة في الكلام
لأن القوم لم يكونوا يعبدون النحت وإنما كانوا يعبدون محل
النحت ولأنه كان لا حظ في الكلام للمنع من عبادة الأصنام وكذلك
إن حمل قوله تعالى ما تعملون على أعمال أخر ليست نحتهم ولا هي مما
عملوا فيه لكان أظهر في باب اللغو والعبث والبعد عن التعلق بما
تقدم فلم يبق إلا أنه أراد أنه خلقكم وما تعملون فيه النحت فكيف

خ منه إلى أن

إنما خ

سابعة وعشرون

تعبدون مخلوقًا مثلكم ح فإن قيل لم زعمتم أنه لو كان الأمر
على ما ذكرناه لم يكن للقول الثاني حظ في باب المنع من عبادة الأصنام
وما تنكرون أن يكون لما ذكرناه وجه في المنع من ذلك كما أن ما ذكرتموه
أيضًا لو أريد لكان وجهًا وهو أن من خلقنا وخلق الأفعال فينا لا
يكون إلا الإله القديم الذي تحق له العبادة وغير القديم تعالى كما
يستحيل أن تخلق فينا الأفعال على الوجه الذي يخلقها القديم عليه
فصار لما ذكرناه تأثير ح قلنا معلوم أن الثاني إذا كان كالتعليل للأول
والمؤثر في المنع من العبادة فلأن يتضمن أنكم مخلوقون وما تعملونه
أولى من أن ينصرف إلى ما ذكرتموه مما لا يقتضي أكثر من خلقهم دون
خلق ما عبدوه وأنه (خ ولأنه) لا شيء أدل على المنع من عبادة الأصنام من
كونها مخلوقة كما أن عابدها مخلوق ويشهد بما ذكرناه قوله تعالى
في موضع آخر أيشركون ما لا يخلق شيئًا وهم يخلقون ولا يستطيعون
لهم نصرًا ولا أنفسهم ينصرون فاحتج تعالى عليهم في المنع من عبادة

الآلهة دونه بأنها مخلوقة لا تخلق شيئا ولا تدفع عن أنفسها ضررا
ولا عنهم وهذا واضح على أنه لو ساوى ما ذكروه ما ذكرناه في
التعلق بالأول لم يسغ حمله على ما ادعوه لأن فيه عذرا لهم في
الفعل الذي عنفوا به وقرعوا من أجله وقبيح أن يوبخهم بما يعذرهم
ويذمهم بما ينزههم على ما تقدم على أنا لا نسلم أن من يفعل أفعال
العباد ويخلقها يستحق العبادة لأن من جملة أفعالهم القبائح ومن
يفعل القبائح لا يكون إلها ولا يحق العبادة له فخرج ما ذكروه
من أن يكون مؤثرا في انفراده بالعبادة ۞ على أن إضافة العمل هذه صح
إليهم بقوله تعملون يبطل تأويلهم الآية لأنه لو كان خالقا له لم يكن
عملا لهم لأن العمل إنما يكون عملا لمن يحدثه ويوجده فكيف يكون
عملا لهم والله خلقه وهذه مناقضة فثبت بهذا أن الظاهر
شاهد لنا أيضا ۞ على أن قوله وما تعملون يقتضي الاستقبال
وكل فعل لم يوجد فهو معدوم ومحال أن يقول تعالى إني خالق

للمعدوم ۞ فإن قالوا اللفظ وإن كان للاستقبال فالمراد به الماضي
فكأنه قال والله خلقكم وما عملتم ۞ قلنا هذا عدول منكم عن
الظاهر الذي ادعيتم أنكم متمسكون به وليس أنتم بأن تعدلوا
عنه بأولى منا بل نحن أحق لأنا نعدل عنه لدلالة وأنتم تعدلون
ايضا صح بغير حجة ۞ فإن قالوا فأنتم تعدلون عن هذا الظاهر بعينه على
تأويلكم وتحملون لفظ الاستقبال على لفظ الماضي ۞ قلنا لا نحتاج
نحن في تأويلنا إلى ذلك لأنا إذا حملنا قوله وما تعملون على الأصنام
المعمول فيها ومعلوم أن الأصنام موجودة قبل عملهم فيها فجاز
أن يقول تعالى إني خلقتها ولا يجوز أن يقول إني خلقت ما سيقع
من العمل في المستقبل ۞ على أنه لو أراد بذلك أعمالهم لا ما عملوا فيه
على ما ادعوه لم يكن في الظاهر حجة على ما يريدون لأن الخلق هو
التقدير والتدبير وليس يمتنع في اللغة أن يكون الخالق خالقا لفعل
غيره إذا قدره ودبره ألا ترى أنهم يقولون خلقت الأديم وإن لم

يكن الآدميّ فعلاً لمن يقال ذلك فيه ويكون معنى خلقه لأفعال العباد
أنّه مقدّر لها ومعبّر قولنا مقادير لها وما به يستحقّ عليها من الجزاء
وليس يمتنع أن يقال إنّه خالق للأعمال على هذا المعنى إذا ارتفع الإيهام
وفُهم المراد وهذا كلّه لما تقتضيه الآية ولو لم يكن في الآية شيء ممّا
ذكرناه ممّا يوجب العدول عن حمل قوله وما تعملون على خلق نفس
الأعمال لوجب أن نعدل بها عن ذلك ونحملها على ما ذكرناه للأدلّة
العقليّة الدالّة على أنّه تعالى لا يجوز أن يكون خالقاً لأعمالنا وأنّ
تصرّفنا محدث بنا ولا فاعل له سوانا وكلّ هذا واضح بيّن ه
قال سيّدنا رضي الله عنه وإنّي لأستحسن لبعض نساء بني أسد قولها

ألم ترنا غبنا ماءنا زماناً فظلنا نكدّ الآبارا ه
فلمّا عدا الماء أوطانه وجفّ الثماد فصارت حرارا ه
وضجّت إلى ربّها في السماء رؤوس العضاة تناجي السرارا
وفتّحت الأرض أفواهها عجيج الجمال وردن الجفارا

لبسنا الدلاعظ ليلةً على الياس أثوابنا والخمارا .
وقلنا أعيروا الندى حقّه وصبر الحفاظ وموتوا حرارا ه
فإنّ الندى لعسى مرّةً يردّ إلى أهله ما استعارا ه
فبينا نوطّن أحشاءنا أضاء لنا عارض فاستطارا ه
وأقبل يزحف زحف الكسير سياق الرعاء البطاء العشارا
تغنّي ونضحك حافاته خلال الغمام وتبكي مرارا
كأنّ تضيء لنا حرّة تشدّ إزاراً وتلقي إزارا
فلمّا خشينا بأن لا نجاء وألّا يكون قرار فرارا
أشار له آمر فوقه هلمّ فأمّ إلى ما أشارا

وأنشد أبو هفّان لولادة المهزميّة

لولا اتّقاء الله قمت بمفخر لا يبلغ الثقلان فيه مقامي
بأبوّة في الجاهليّة سادة بذّوا العلى أمراً وفي الإسلام
جادوا فسادوا ما نعين أذاهم لنداهم بذل الذي الأقوام

قد أنجبوا في السؤددين وأنجبوا بنجابة الأخوال والأعمام
قوم إذا سكتوا تكلم مجدهم عنهم فأخرس دون كل كلام

وقالت امرأة من بني سعد بن بكر

أيا أخوي الملزمي ملامة أعيذكما بالله من مثل ما بيا
سألتكما بالله إلا جعلتما مكان الأذى واللوم أن تأويا ليا
أيا منتاحب الهلالي فإنني شطون النوى يختل عرضا يمانيا
أشم كغصن البان جعد مرجل شغفت به لو كان شيئا مدانيا (خ فشلت)
فإن لم أوسد ساعدي بعد هجعة غلاما هلاليا فشلت بنانيا
ثكلت أبي إن كنت ذقت كريقه كشيء ولا ماء الغمامة غاديا

ولضاحية الهلالية

ألم تكبر لمة ثم شمرت به حلة بطلين برقا فلما أنيا (خ كبيرة)
ألا ليتنا والنفس تسكن للمنى بما نور إن أمسى حبيب يمانيا

ولها

وإني لأهوى القصد ثم يردني عن القصد ميلات الهوى فأميل

وما وجد مسجون بصنعاء موثق بساقيه من حبس الأمير كبول
وما ليل مولى مسلم بجريرة له بعد ما نام العيون عويل (خ راعني)
بأكثر مني لوعة يوم عجلوا فراق حبيب ما إليه سبيل

ولعمرة بنت العجلان أخت عمرو ذي الكلب بن العجلان الكاهلي ترثي أخاها عمرا وكان في بعض غاراته نائما فوثب عليه نمران فأكلاه فوجدت فهم سلاحه فادعت قتله

سألت بعمرو أخي صحبه فأفظعني حين ردوا السؤالا
فقالوا أتيح له نائما أعز السباع عليه أحالا
أتيح له نمرا أجبل فنالا لعمرك منه منالا
فأقسمت يا عمرو لو نبهاك إذن نبها منك داء عضالا (خ أمرا عضالا)
إذا نبها ليث عريسة مفيتا مفيدا نفوسا ومالا
هزبرا فروسا لأعدائه هصورا إذا لقي القرن صالا
هما مع تصرف ريب المنون من الأرض ركنا ثبيتا أمالا

هما يوم حم له يومه وقال أخو فهم بطلا وفالا
معنى قال الخطأ يقال رجل فايل الرأي
وقالا قتلناه في غارة بآية ما إن ورثنا النبالا
كأنهما تهزآن بهم وتكذبانهم أي بعلامة أن ورثتم النبالا [illegible]
فهلا ومن قبل ريب المنون فقد كان رجلا وكنتم رجالا
النفال الغنائم
وقد علمت فهم يوم اللقاء بأنهم لك كانوا نفالا
فيخلوا نصب جواب النفي بالفاء
كأنهم لم يحسوا به فيخلوا النساء له والحجالا
ولم ينزلوا بمحول السنين به فيكونوا عليه عيالا
وقد علم الضيف والمجتدون إذا اغبر أفق وهبت شمالا
وخلت عن أولادها المرضعات ولم تر عين لمزن بلالا
بأنك كنت الربيع المغيث لمن يعتريك وكنت الثمالا
وخرق تجاوزت مجهوله بوجناء حرف تشكي الكلالا خ مجهولة
فكنت النهار به شمسه وكنت دجى الليل فيه الهلالا

أي شيئا قليلا كما تقول فتيلا ونقيرا
وخيل سمت لك فرسانها فولوا ولم يستقلوا قبالا
وكل قبيل وإن لم تكن أردتهم منك باتوا وجالا
بلغت المعارضة بالأصل ٣

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون فقال أليس ظاهر هذه الآية يقتضي أن نصح النبي عليه السلام لم ينفع الكفار الذين أراد الله بهم الكفر والغواية وهذا خلاف مذهبكم **الجواب** قلنا ليس في ظاهر الآية ما يقتضي خلاف مذهبنا لأنه تعالى لم يقل إنه فعل الغواية أو أرادها وإنما أخبر أن نصح النبي صلى الله عليه لا ينفع إن كان الله يريد غوايتهم ووقوع الإرادة لذلك أو جوازه ووقوعها لا دلالة عليه في الظاهر على أن الغواية هاهنا الخيبة وحرمان الثواب ويشهد بصحة ما ذكرناه في هذه اللفظة قول الشاعر

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

فكأنه تعالى قال إن كان الله يريد أن يعاقبكم بسوء عملكم وكفركم
ويحرمكم ثوابه فليس ينفعكم ما دمتم مقيمين على ما أنتم عليه إلا أن
تقلعوا وتتوبوا وقد سمى الله تعالى العقاب غيا فقال فسوف يلقون
غيا وما قبل هذه الآية يشهد لما ذكرناه وأن القوم استعجلوا
عقاب الله تعالى فقالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا
فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ه فقال إنما يأتيكم به الله
إن شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي الآية فأخبر أن نصحه
لا ينفع من يريد الله أن ينزل به العذاب ولا يغني عنه شيئا ه
وقال جعفر بن حرب إن الآية تتعلق بأنه كان في قوم نوح
طائفة تقول بالجبر فنبههم الله تعالى بهذا القول على فساد
مذاهبهم وقال لهم على طريق الإنكار عليهم والتعجب من قولهم
إن كان القول كما تقولون من أن الله يفعل فيكم الكفر والفساد
فما ينفعكم نصحي فلا تطلبوا مني نصحا فأنتم على قولكم لا تنتفعون به

وهذا جيد ع وروي عن الحسن في هذه الآية وجه صالح وهو
أنه قال المعنى فيها إن كان الله يريد أن يعذبكم فليس ينفعكم
نصحي عند نزول العذاب بكم وإن قبلتموه وآمنتم به لأن من حكم
الله تعالى أن لا يقبل الإيمان عند نزول العذاب وكل هذا واضح
في زوال الشبهة في الآية ه قال سيدنا رضي الله عنه من مستحسن
ما قيل في صفة المصلوب قول أبي تمام الطائي في قصيدة يمدح
بها المعتصم ويذكر قتل الأفشين وصلبه وحرقه

ما زال سر الكفر بين ضلوعه ... حتى اصطلى سر الزناد الواري
نارا يساور جسمه من حرها ... لهب كما عصفرت شق إزار
طارت لها شعل يهدم لفحها ... أركانه هدما بغير غبار
فصلن منه كل مجمع مفصل ... وفعلن فاقرة بكل فقار
مشبوبة رفعت لأعظم مشرك ... ما كان يرفع ضوءها للساري (خ لأعظم)
صلى لها حيا وكان وقودها ... ميتا ويدخلها مع الكفار

وكذاك أهل النار في الدنيا هم ... يوم القيامة جلُّ أهل النار

يا مشهدا صدرت بفرحته إلى ... أمصارها القصوى بنو الأمصار

رمقوا أعالي جذعه فكأنما ... رمقوا الهلال عشية الإفطار

واستنشقوا منه قتارا نشره ... من عنبر ذفر ومسك داري

واستنشأوا

وتحدثوا عن هلكه بحديث من ... بالبدو عن متتابع الأمطار

خ كحديث

قد كان بوأه الخليفة جانبا ... من قلبه حرما على الأقدار

فسقاه ماء الخفض غير مصرد ... وأنامه في الأمن غير غرار

ولقد شفى الأحشاء من برحائها ... أن صار بابك جار مازيار

ثانيه في كبد السماء ولم يكن ... لاثنين ثان إذ هما في الغار

وكأنما انتبذا لكيما يطويا ... عن ناطس خبرا من الأخبار

سود اللباس كأنما نسجت لهم ... أيدي السموم مدارعا من قار

بكروا وأسروا في متون ضوامر ... قيدت لهم من مربط النجار

لا يبرحون ومن رآهم خالهم ... أبدا على سفر من الأسفار

كادوا النبوة والهدى فتقطعت ... أعناقهم في ذلك المضمار

وله يذكر صلب بابك

لما قضى رمضان منه قضاءه ... شالت به الأيام في شوال

ما زال مغلول العزيمة سادرا ... حتى غدا في القيد والأغلال

مستسبلا للباس طوقا من دم ... لما استبان فظاظة الخلخال

ملبسا

أهدى لمتن الجذع متنيه كذا ... من عاف متن الأسمر العسال

لا كعب أسفل موضعا من كعبه ... مع أنه عن كل كعب عال

سام كأن العز يجذب ضبعه ... وسموه من ذلة وسفال

متفرغ أبدا وليس بفارغ ... من لا سبيل له إلى الأشغال

قال سيدنا رضي الله عنه ومن عجيب الأمور أن أبا العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار ينشد هذه الأبيات المفرطة في الحسن في جملة مقابح أبي تمام وما خرجه بزعمه من غلطه وسقطه ويقول في عقبها ولم يسمع بشعر وصف فيه مصلوب أغث من هذا

الوصف وأين كان عن مثل قول إبرهيم بن المهدي يصف أمر بابك
في قصيدة يمدح بها المعتصم

ما زال يعنف بالنعمى فغيرها عنه الغموط ووافته المراصيد
حتى علا حيث لا ينحط مجتمعا كما علا أبدا ما أورق العود
بأبقعة ضربت فيها علاوته وعينه وذوت أغصانه الميد
بوركت أرضا وأوطانا مباركة ما عنك في الأرض للتقديس تغريد
لو تقدر الأرض جنتك البلاد فلا تبقى على الأرض إلا الحج جلمود
لم يبك إبليس إلا حين أبصره في زيه وهو فوق الفيل مصفود
كناقة الحجر هي تحت زينتها وحد شفرتها للنحر محدود
ما كان أحسن قول الناس يومئذ أيوم بابك هذا أم هو العيد
صيرن جثته جيد الباسقة جردا والرأس منه ما له جيد
فآض تلعب هوج العاصفات به على الطريق صليبا طرفه عود
كأنه شلو كبش والهوا له تنور شاوية والجذع سفود

وهكذا ينبغي أن يطعن على أبيات أبي تمام من يستجيد هذه الأبيات ويفرط في تقريظها وليت من جهل شيئا عدل عن الخوض فيه والكلام عليه فكان ذلك أولى به وأبيات أبي تمام في نهاية القوة وجودة المعاني والألفاظ وسلامة السبك واطراد النسج وأبيات ابن المهدي مضطربة الألفاظ مختلفة النسج متفاوتة الكلام وما فيها شي يجوز أن توضع عليه اليد إلا قوله

حتى علا حيث لا ينحط مجتمعا كما علا أبدا ما أورق العود

وبعده البيت الأخير وإن كان بارد الألفاظ وقد أحسن مسلم بن الوليد في قوله

ما زال يعنف بالنعمى ويغمطها حتى استقل به عود على عود
نصبته حيث ترتاب الرياح به وتحسد الطير فيه أضبع البيد

وللبحتري في هذا المعنى من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد أولها

لا دمنة بلوى خبت ولا طلل يرد قولا على ذي لوعة يسل

إن عزّ دمعك في آي الرسوم فلم يصب عليها فعندي أدمع ذلل
هل أنت يوماً معيري نظرة فترى في زمل بين عبر أسيرها زمل
حنّوا النوى بحداة ما لها وطن غير النوى وجمال ما لها عقل

يقول فيها

يحمله البرد من أقصى الثغور إلى أدنى العراق فسرّاً عارتها عجل
بشرٌ من آمنكو سا أخاذ به أيدي الشمال فضولا كلها فضل
أمسى يرد حريق الشمس جانبه عن مائك وهي في الباقين تشتعل
نفاً وتوابين مرفوع ومنخفض على مراتب ما قالوا وما فعلوا
رد الهجير لحاهم بعد شعلتها سوداً فعادوا شباباً بعد ما
سما له حابل الآساد في لمة من المنايا فأمسى وهو محتبل
حالي الذراعين والساقين لو صدقت له المنى لتمنى أنها عطل
من تحت مطبق باب الشام في نفر أسرى يودون وداً أنهم قتلوا
غابوا عن الأرض أنأى غيبة وهم فيها فلا وصل إلا الكتب والرسل

وله في هذا المعنى

ما زلت تقرع باب بابك بالقنا وتزوره في غارة شعواء
حتى أخذت بنصل سيفك عنوة منه الذي أعيا على الأمراء
أخليت منه البذّ وهي قراره ونصبته علماً بسامراء
لم يبق فيه خوف بأسك مطعماً للطير في عود ولا إبداء
فتراه مطرداً على أعواده مثل اطراد كواكب الجوزاء
مستشرفاً للشمس منتصباً لها في أخريات الجذع كالحرباء

مجلس آخر تأويل آية إن سأل سائل عن قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه فقال كيف أخبر تعالى بأنه أنزل فيه القرآن وقد أنزله في غيره من الشهور وعلى ما جاءت به الرواية والظاهر يقتضي أنه أنزل الجميع فيه وما المعنى في قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وهل أراد الإقامة

خ ضد
والحضور اللذين هما ضد الغيبة أو أراد المشاهدة والإدراك
الجواب قلنا أما قوله تعالى أنزل فيه القرآن فقد قال
قوم إن المراد به أنه تعالى أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا
في شهر رمضان ثم فرق إنزاله بعد ذلك على نبيه صلى الله عليه وآله
بحسب ما تدعوا إليه الحاجة ، وقال آخرون المراد بقوله أنزل فيه
القرآن أنه أنزل في فرضه وإيجاب صومه على الخلق القرآن فيكون فيه بمعنى
في فرضه كما يقول القائل أنزل الله في الزكوة كذا وكذا يريد في فرضها
وأنزل الله في الخمر كذا وكذا يريد في تحريمها وهذا الجواب إنما هرب
متكلفه من شيء وظن أنه قد اعتصم بجوابه عنه وهو بعد ثابت
على ما كان عليه لأن قوله القرآن إذا كان يقتضي ظاهره إنزال
جميع القرآن فيجب على هذا الجواب أن يكون قد أنزل في فرض الصيام جميع
القرآن ونحن نعلم أن قليلا من القرآن يختص ويتضمن إيجاب صوم شهر
رمضان وأن أكثره خال من ذلك ، فإن قيل المراد بذلك أنه أنزل في

إليه صح

فرضه شيئا من القرآن وبعضا منه قيل فألا اقتصر على هذا وحمل
الكلام على أنه تعالى أنزل شيئا من القرآن في شهر رمضان ولم يحتج
إلى أن يجعل لفظة فيه بمعنى في فرضه وإيجاب صومه ، والجواب
الصحيح أن قوله تعالى القرآن في هذا الموضع لا يفيد العموم
والاستغراق وإنما يفيد الجنس من غير معنى الاستغراق فكأنه
تعالى قال شهر رمضان الذي أنزل فيه هذا الجنس من الكلام
فأي شيء نزل منه في الشهر فقد طابق الظاهر وليس لأحد أن يقول
إن الألف واللام ها هنا لا يكونان إلا للعموم والاستغراق لأنا لو
سلمنا أن الألف واللام صيغة العموم والصورة المقتضية
لاستغراق الجنس لم يجب أن تكون ها هنا بهذه الصفة لأن هذه
اللفظة قد تستعمل في مواضع كثيرة ولا يفاد بها أكثر من الإشارة
إلى الجنس والطبقة من غير استغراق وعموم حتى يكون حمل كلام
المتكلم بها على خصوص أو عموم كالناقض لغرضه والمنافي لمراده

من الكلام صح

ألا ترى أن القائل إذا قال فلان يأكل اللحم ويشرب الخمر وضرب الأمير
اليوم اللصوص وخاطب الجند لم يفهم من كلامه إلا محض الجنس والطبقة
من غير معنى خصوص ولا عموم حتى لو قيل له فلان يأكل جميع اللحم أو
يشرب جميع الخمر أو بعضها لكان جوابه أني لم أرد عموما ولا خصوصا
وإنما أريد أنه يأكل هذا الجنس من الطعام ويشرب هذا الجنس من
الشراب فمن فهم من كلامي العموم أو الخصوص فهو بعيد من فهم مرادي ۝
وأرى كثيرا من الناس يغلطون في هذا الموضع فيظنون أن الإشارة
إلى الجنس من غير إرادة العموم والاستغراق ليست مفهومة حتى
يحملوا قول من قال أردت الجنس في كل موضع على العموم وهذا أبعد
ممن يظنه لأنه كما أن العموم والخصوص مفهومان في بعض المواضع
بهذه الألفاظ فكذلك الإشارة إلى الجنس والطبقة من غير إرادة
عموم ولا خصوص مفهومة متميزة وقد ذكرنا أمثلة ذلك
فأما قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فأكثر المفسرين

ثامنه وعشرون

حملوه على أن المراد بمن شهد من كان مقيما في بلده غير مسافر
وأبو علي حمله على أن المراد به فمن أدرك الشهر وشاهده وبلغ إليه
وهو متكامل الشروط فليصمه ذهب في معنى شهد إلى معنى الإدراك
والمشاهدة وقد طعن قوم على تأويل أبي علي وقالوا ليس يحتمل
الكلام إلا الوجه الأول وليس الأمر على ما ظنوه لأن الكلام يحتمل الوجهين
معا وإن كان للقول الأول ترجيح ومزية على الثاني من حيث يحتاج
في الثاني من الإضمار إلى أكثر مما يحتاج إليه في الأول لأن على القول
القول الأول لا يحتاج إلى إضمار الإقامة وارتفاع السفر لأن
قوله فمن شهد يقتضي الإقامة وإنما يحتاج إلى إضمار باقي الشروط
من الإمكان والبلوغ وغير ذلك وفي القول الثاني يحتاج مع كل ما
خ أضمرناه
أظهرناه في القول الأول إلى إضمار الإقامة ويكون التقدير فمن شاهد
الشهر وهو مقيم مطيق بالغ إلى سائر الشروط فمن هذا الوجه
كان الأول أقوى وليس لأحد أن يقول أن شهد نفسه من غير محذوف

لا يدل على اقامة وذلك ان الظاهر من قولهم في اللغة فلان شاهد
اذا اطلق ولم يضف افادة الاقامة في البلد وهو عندهم ضد الغائب
والمسافر وان كانوا ربما اضافوا فقالوا فلان شاهد لكذا وشهد
فلان كذا ولا يريدون هذا المعنى ففي اطلاق شهد دلالة على
الاقامة من غير تقدير محذوف وهذه جملة كافية ۞ قال
سيدنا رضي الله عنه وجدت ابا العباس بن عمار يعيب على ابي
تمام قوله

اصل الكلام التضييق

لما استحر الوداع المحض وانصرمت اواخر الصبر الا كاظما وجما
رأيت احسن مرئي واقبحه مستجمعين لي التوديع والعنما

قال ابو العباس وهذا قد ذم مثله من شاعر متقدم وهو ان جمع
بين كلمتين احداهما لا تناسب الاخرى وهو قول الكميت ۞

وقد رأينا بها حورا منعمة بيضا تكامل فيها الدل والشنب

فقيل له اخطأت وباعدت يقول الدل والشنب الا قلت كقول ذي الرمة

بيضا في شفتيها حوة لعس وفي اللثات وفي انيابها شنب

قال فقال الطائي مستجمعين لي التوديع والعنما فجعل المنظر
القبيح للتوديع والتوديع لا يستقبح وانما تستقبح عاقبته وهي
الفراق وجعل المنظر الحسن الخضاب وشبهه بالعنم ولم يذكر
الانامل المخضبة وانما سمع قول المجنون

ويبدي الحصا منها اذا قذفت به من البرد اطراف البنان المخضب

قال وهذا هو الاصل ثم استعاره الناس من بعد فقال الشاعر

النشر مسك والوجوه دنانير واطراف الاكف عنم

واغرب ابو نواس في قوله

تبكي فتذري الدر من طرفها وتلطم الورد بعناب

قال فلم يحسن هذا العلج ان يستعير شيئا من محاسن القائلين ۞
قال سيدنا رضي الله عنه وهذا غلط من ابن عمار وسفه
على ابي تمام لان الكميت جمع بين شيئين متباعدين وهما الدل وهو

الشكل والحلاوة وحسن الهيئة والشنب وهو برد الأسنان
ونطرق عليه بذلك بعض العيب وأبو تمام جمع بين شيئين غير
مفترقين لأن التوديع إنما أشار به إلى ما أشارت إليه بإصبعها غضة
بالعنم والعنم نبت أغصانه دقاق تشبه الأصابع وقيل إن
العنم واحدته عنمة وهي العضاية الصغيرة البيضاء وهي أشبه
شيء بالإصبع البيضاء الغضة وهذا حكاه صاحب كتاب العين
وقيل إن العنم نبت له نور أحمر تشبه به الأصابع المخضوبة
فوجه حسن قوله التوديع والعنم أن التوديع كان بالإصبع التي
تشبه العنم فجمع بينهما لذلك ولا حاجة به إلى ذكر الأنامل المخضبة
على ما ظن أبو العباس بل ذكر المشبه به أحسن وأفصح من أن يقول
التوديع والأنامل التي تشبه العنم ه فأما قوله إن التوديع لا
يستقبح وإنما تستقبح عاقبته فخطأ ومطالبة للشاعر بما لا
يطالب بمثله الشعراء لأن التوديع إذا كان منذرا بالفراق وبعد

الدار وغيبة المحبوب فلا محالة أنه مكروه مستقبح وقوله
تستقبح عاقبته صحيح إلا أن ما يعقبه ويثمره لما كان عند حضوره
متيقنا مذكورا عاد الاستكراه والاستقباح إليه ونحن نعلم
أن الناس يكرهون ويستقبحون تناول الأشياء الملذة من الأغذية
وغيرها إذا علموا ما في عواقبها من المكروه فإن من قدم إليه
طعام مسموم وأعلم بذلك يكرهه ويستقبح تناوله لما يتوقعه
من سوء عاقبته وإن كان ملذا في الحال ولم تزل الشعراء تذكر
كراهيتها للوداع وهربها منه لما يتصور فيه من ألم الفرقة وغصص
الوحشة وهذا مشهور معروف وقد قال أبو تمام

آلفة النحيب كم افتراق ... أظل فكان داعية اجتماع
وليست فرحة الأوبات إلا ... لموقوف على ترح الوداع

فجعل للوداع ترحا يقابل فرح الإياب وهذا صحيح فأما قول جرير

أتنسى إذ تودعنا سليمى ... بفرع بشامة سقي البشام

[خ فإنه]
كانه دعا للبشام وهو شجر بالسقيا لأنها ودعته عنده فسر بتوديعهما وقول الشاعر

من يكن يكره الفراق فإني اشتهيه لموضع التسليم
إن فيه اعتناقة لوداع وانتظار اعتناقة لقدوم

فمن شأن الشعراء أن يتصرفوا في المعاني بحسب أغراضهم وقصودهم فإذا أراد أحدهم مدح شيء قصد إلى أحسن أوصافه فذكرها وأشاد بها حتى كأنه لا وصف له غير ذلك الوصف الحسن وإذا أراد ذمه قصد إلى أقبح أحواله فذكره حتى كأنه لا شيء فيه غير ذلك وكل مصيب بحسب قصده ولهذا ترى أحدهم يقصد إلى مدح الشيب فيذكر ما فيه من وقار وخشوع وأن العمر معه أطول وما أشبه ذلك ويقصد إلى ذمه فيصف ما فيه من الإدناء إلى الأجل وأنه آخر الألوان وأن بغضه إلى النساء وما أشبه ذلك وهذا سبيلهم في كل شيء وصفوه فلمدحهم موضعه ولذمهم موضعه

فمن ذم الوداع لما فيه من الإنذار بالفراق وبعد الدار فقد ذهب مذهباً صحيحاً كما أن من مدحه لما فيه من القرب من المحبوب والسرور بالنظر إليه وإن كان يسيراً فقد ذهب أيضاً مذهباً. ومن غلط ابن عمار القبيح قوله بعد أن أنشد شعر المجنون قال وهذا هو الأصل ثم استعاره الناس من بعد فقال الشاعر

النشر مسك والوجوه دنانير وأطراف الأكف عنم

وهذا البيت للمرقش الأكبر وهو والمرقش الأصغر جميعاً كانا على عهد مهلهل بن ربيعة وشهدا حرب بكر بن وائل فكيف يكون قول المرقش الأكبر بعد قول المجنون لولا الغفلة.

[بلغت المعارضة بالأصل]

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى: وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون. فقال كيف يكون ذلك والفرقان هو القرآن ولم يؤت موسى [عليه السلام] القرآن وإنما اختص به محمد صلى الله عليه وآله. **الجواب** قلنا قد ذكر في

ذلك وجوه أولها أن يكون الفرقان يعني الكتاب المتقدم ذكره
وهو التورية ولا يكون هاهنا اسما للقرآن المنزل على محمد صلى
الله عليه وآله ويحسن نسقه على الكتاب لمخالفته للفظه كما قال
تعالى الكتاب والحكمة وإن كانت الحكمة مما تضمنها الكتاب وكتب
الله تعالى كلها فرقان تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام
ويستشهد على هذا الوجه بقول طرفة

فما لي أراني وابن عمي مالكا متى أدن منه ينأ عني ويبعد

فنسق يبعد على ينأى وهو هو بعينه وحسن ذلك اختلاف
اللفظين وقال عدي بن زيد

وقدمت الأديم لراهشيه وألفى قولها كذبا ومينا

والمين الكذب ، وثانيها أن يكون الكتاب عبارة عن التورية و الفرقان
انفراق البحر الذي أوتيه موسى عليه السلم ، وثالثها أن يراد
بالفرقان الفرق بين الحلال والحرام أو الفرق بين موسى وأصحابه

المؤمنين وبين فرعون وأصحابه الكافرين لأن الله تعالى قد فرق بينهم
في أمور كثيرة منها أنه نجى هؤلاء وأغرق أولئك ، ورابعها أن
يكون الفرقان المراد به القرآن المنزل على نبينا صلى الله عليه وآله
والتصديق والإيمان بالفرقان الذي هو القرآن لأن موسى عليه السلم
كان مؤمنا بمحمد صلى الله عليه وآله وبما جاء به ومبشرا ببعثته وسائغ
حذف القبول والإيمان والتصديق وما جرى مجراه وإقامة الفرقان
مقامه كما شاع في قوله تعالى واسأل القرية وهو يريد أهل القرية
وخامسها أن يكون المراد بالفرقان القرآن ويكون تقدير الكلام
وإذ آتينا موسى الكتاب الذي هو التورية وآتينا محمدا الفرقان
فحذف ما حذف مما يقتضيه الكلام كما حذف الشاعر في قوله ،

تراه كأن الله يجدع أنفه وعينيه إن مولاه كان له وفر

أراد ويفقأ عينيه لأن الجدع لا يكون للعين فاكتفى بيجدع من يفقأ
خ بالعينين
وقال الآخر



تسمع للأحشاء منه لغطا ... وللبدين جساة وبددا

أي وترى لليدين لأن الجساة والبدد لا يسمعان وإنما يريان ه

وقال الآخر

علفتها تبنا وماء باردا ... حتى شتت همالة عيناها

أراد وسقيتها ماء باردا فدل علفت على سقيت وقال الآخر

ياليت بعلك قد غدا ... متقلدا سيفا ورمحا

أراد وحاملا رمحا ووجدت أبا بكر بن الأنباري يقول إن الاستشهاد
بهذه الأبيات على الوجه لا يجوز لأن الأبيات اكتفي فيها بذكر فعل هذا صح
عن فعل غيره والآية اكتفي فيها باسم دون اسم ه والأمر وإن ذكر صح
كان على ما قاله في الاسم والفعل فإن موضع الاستشهاد صحيح لأن
الاكتفاء في الأبيات بفعل عن فعل إنما حسن الكلام من حيث دل
الكلام على المحذوف والمضمر واقتضاه فحذف تعويلا على أن المراد
مفهوم غير ملتبس ولا مشتبه وهذا المعنى قائم في الآية وإن كان

المحذوف اسما لأن اللبس قد زال والشبهة قد أمنت في المراد بها
فحسن الحذف لأن الفرقان إذا كان اسما للقرآن وكان من المعلوم
أن القرآن إنما أنزل على نبينا صلى الله عليه وآله دون موسى عليه
السلام استغني عن أن يقال وآتينا محمدا الفرقان كما استغني
الشاعر عن أن يقول ويفقأ عينيه وترى لليدين جساة وبددا
وما شاكل ذلك إلا أنه يمكن أن يقال ما استشهد به في جميع الأبيات
ما لا يمكن أن يقال مثله في الآية وهو أنه يقال لا محذوف فيها ولا
تقدير لفعل مضمر بل الكلام في كل بيت منها محمول على المعنى ومعطوف
عليه لأنه لما قال تراه كأن الله يجدع أنفه وكان معنى الجدع هو
الإفساد للعضو والتشويه به عطف على المعنى فقال وعينيه
فكأنه قال تراه كأن الله يفسد أنفه ويشوهه ثم قال وعينيه
وكذلك لما كان السامع للغط من الأحشاء عالما عطف على المعنى به صح
فقال وللبدين جساة وبددا أي أنه يعلم هذا وذاك معا وكذلك

لما كان في علفت معنى غذيت عطف عليه الماء لأنه مما يغتذى به
وكذلك لما كان المتقلد للسيف حاملا له جاز أن يعطف عليه الرمح
المحمول وهذا أولى من الطعن على الاستشهاد بهذه الأبيات مما
ذكره ابن الأنباري رحمه الله أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال
أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى المنجم قال أخبرنا
أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري عن الهيثم بن عدي قال لما دخل خالد بن
صفوان الأهتمي على هشام بن عبد الملك وذلك بعد عزله خالد بن
عبد الله القسري وألفيته جالسا على كرسي في بركة ماؤها إلى الكعبين
فدعا لي بكرسي فجلست عليه فقال يا خالد رب خالد جلس مجلسك
كان أوطأ بقلبي وأحب إلي منك فقلت يا أمير المؤمنين إن حلمك لا
يضيق عنه فلو صفحت عن جرمه فقال يا خالد إن خالدا أدل
فأمل وأوجف فأعجف ولم يدع لراجع مرجعا ولا للعودة موضعا
ثم قال ألا أخبرك عنه يا ابن صفوان قلت بلى نعم قال إنه ما بدأني

خبر ابن الأهتم

قال صح

بسؤال حاجة منذ قدم العراق حتى أكون أنا الذي أبدأه بها قال خالد
فقلت له ذاك أحرى أن ترجع له فقال متمثلا
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تقبل
ثم قال حاجتك يا ابن صفوان فقلت تزيدني في عطائي عشرة دنانير
فأطرق ثم قال ولم وفيم العبادة أحدثتها فنعينك عليها أم لبلاء
حسن أبليته أمير المؤمنين أم لماذا إذن يكثر السؤال ولا يحتمل ذلك
بيت المال قال فقلت يا أمير المؤمنين وفقك الله وسددك أنت
والله كما قال أخو خزاعة
إذا المال لم يوجب عليك عطاءه قرابة قربى أو صديق توامقه
منعت وبعض المنع حزم وقوة ولم يفتلتك المال إلا حقائقه
فلما قدم خالد البصرة قيل له ما الذي حملك على تزيين الإمساك له قال
أحببت أن يمنع غيري فيكثر من يلومه قال سيدنا رضي
الله عنه وكان خالد مشهورا بالبلاغة وحسن العبارة

وبالإسناد المتقدم عن المدائني قال قال حفص بن معوية بن عمرو
العلائي قلت لخالد يا أبا صفوان إني لأكره أن تموت وأنت من أيسر
أهل البصرة فلا يبكيك إلا الإماء قال وابغني امرأة قلت صفها لي
أطلبها لك قال أريد بكرا كثيب أو ثيبا كبكر لا ضرعا صغيرة ولا
مسنة كبيرة لم تقرأ فتجبن ولم تفت فتمجن قد نشأت في نعمة وأدركتها
خصاصة فأدبها الغنى وأذلها الفقر حسبي من جمالها أن تكون فخمة
من بعيد مليحة من قريب وحسبي من حسبها أن تكون واسطة
في قومها ترضى مني بالسنة إن عشت أكرمتها وإن مت ورثتها
لا ترفع رأسها إلى السماء بطرا ولا تضعه إلى الأرض سقوطا فقلت
يا أبا صفوان إن الناس في طلب هذه منذ زمان طويل فما يقدرون
عليها ه وكان يقول إن المروءة لو خف محملها وقلت مؤونتها ما
ترك اللئام فيها للكرام بيتة ليلة ولكن ثقل محملها وعظمت مؤونتها
فاجتناها الكرام وحاد عنها اللئام ه وكان خالد من أشح الناس

وأبخلهم كان إذا أخذ جائزة أو غيرها قال للدرهم أما والله لطال
ما اغتربت في البلاد وانجرت والله لأطيلن ضجعتك ولأديمن
صرعتك ه وسأله رجل من بني تميم فأعطاه دانقا فقال يا له صح
سبحان الله أتعطي مثلي دانقا فقال إنه لو أعطى كل رجل
من بني تميم مثل ما أعطيتك لرجعت ذا مال عظيم ه وسأله
رجل فأعطاه درهما فاستقله فقال يا أحمق أما علمت أن الدرهم
عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الألف والألف
عشر دية مسلم ه وكان يقول والله ما تطيب نفسي بإنفاق درهم
إلا درهما قرعت به باب الجنة أو درهما اشتريت به موزا ه
وقال لأن يكون لي ابن يحب الخمر أحب إلي من أن يكون لي ابن يحب
اللحم لأنه متى طلب لحما وجده والخمر يشعب أحيانا ه وكان يقول من
كان ماله كفافا فليس بغني ولا فقير لأن النائبة إذا نزلت أجحفت
بكفافه ومن كان ماله دون الكفاف فهو فقير ومن كان ماله فوق

الكاف فهو غني وكان يقول لأن يكون لأحدكم جار يخاف أن تنقب
عليه بيته خير له من أن يكون له جار من التجار لا يشاء أن يعطيه
مالا ويكتب به صكا الأفعل

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون
فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فقال كيف
تخبر عنهم بأنهم لا يكذبون نبيه ومعلوم منهم إظهار التكذيب والعدول
عن الاستجابة والتصديق وكيف ينفي عنهم التكذيب ثم يقول أنهم
بآيات الله يجحدون وهل الجحد بآياته إلا تكذيب نبيه عليه السلم

الجواب قلنا قد ذكر في هذه الآية وجوه أولها
أن يكون إنما نفى تكذيبهم بقلوبهم تدينا واعتقادا وإن كانوا يظهرون
بأفواههم التكذيب لأنا نعلم أنه قد كان في المخالفين له عليه السلم
من يعلم صدقه ولا ينكر بقلبه حقه وهو مع ذلك يعاند فيظهر
خلاف ما يبطن وقد قال تعالى وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون

ومما يشهد لهذا الوجه من طريق الرواية ما رواه سلام بن مسكين عن
أبي يزيد المدني أن رسول الله صلى الله عليه وآله لقي أبا جهل فصافحه
أبو جهل فقيل له أتصافح هذا الصبي فقال والله أعلم أنه نبي ولكن
متى كنا تبعا لبني عبد مناف فأنزل الله تعالى الآية وفي خبر آخر
أن الأخنس بن فلان خلا بأبي جهل فقال له يا أبا الحكم أخبرني
عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس هاهنا من قريش أحد
غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال له أبو جهل ويحك والله إن محمدا
لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء
والحجابة والسقاية والندوة والنبوة ماذا يكون لسائر قريش
والوجه الثاني أن يكون معنى فإنهم لا يكذبونك لا يفعلون ذلك
بحجة ولا يتمكنون من إبطال ما جئت به ببرهان وإنما يقتصرون
على الدعوى الباطلة وهذا في الاستعمال معروف لأن القائل
يقول فلان ما يستطيع أن يكذبني ولا يدفع قولي وإنما يريد أنه لا

يتمكن من إقامة دليل على كذبه وحجة في دفع قوله وإن كان يتمكن
من التكذيب بلسانه وقلبه فيصير ما يقع من التكذيب من غير حجة
ولا برهان غير معتد به وروي عن أمير المؤمنين عليه السلم
أنه كان يقرأ فإنهم لا يكذبونك ويقول إن المراد بها أنهم لا يأتون
بحق هو أحق من حقك وقال محمد بن كعب القرظي معناها لا
ينقضون ما في يديك فكل ذلك يقوي هذا الوجه وسنبين أن
معنى هذه اللفظة مشددة يرجع إلى معناها مخففة
والوجه الثالث أن يكون معنى الآية أنهم لا يصادفونك كاذبا ولا
يلقونك متقولا كما يقولون قاتلته فما أجبنته أي ما وجدته جبانا
وحدثته فما أكذبته أي لم ألفه كاذبا وقال الأعشى
أثوى وقصر ليلة ليزودا فمضى وأخلف من قتيلة موعدا
أراد أنه صادف منها خلفا للوعد ومثله أصممت القوم إذا
صادفتهم صما وأخليت الموضع إذا صادفته خاليا قال الشاعر

أتيت مع الحداث ليلى فلم أبن فأخليت فاستعجمت عند خلائي
أي أصبته مكانا خاليا ومثله لهميان بن أبي قحافة
يبسن أنيابا له لوامجا أو سعن من أشداقه المضارجا
يعني أوسعن أصبن منابت واسعة فيبسن فيها وقال عمرو بن زرافة
لحا الله أقواما على السمن وجروا على الحرب إذ أنا سالم
يقال أسمن بنو فلان إذا رعت إبلهم فصادفوا فيها سمنا وقال أبو النجم
يقلن للرائد أعشبت انزل
قبله مستأسدا ذبابه في غيطل
الغيطل الجلبة والصوت
أي أصبت مكانا معشبا وقال ذو الرمة
تريك بياض لبتها ووجها كقرن الشمس أفتق ثم زالا
أي وجد فتقا من السحاب وليس لأحد أن يجعل هذا الوجه مختصا
بالقراءة بالتخفيف دون التشديد لأن في الوجهين معا يمكن هذا
الجواب لأن أفعلت وفعلت يجوزان في هذا الموضع وأفعلت بالتخفيف
هو الأصل في الفعل ثم شدد تأكيدا وإفادة لمعنى التكرار وهذا مثل

أكرمت وكرمت وأعظمت وعظمت وأوصيت ووصيت
وأبلغت وبلغت وهو كثير قال الله تعالى فمهل الكافرين
أمهلهم رويدا إلا أن التخفيف أشبه بهذا الوجه لأن استعمال
هذه اللفظة مخففة في هذا المعنى أكثر والوجه الرابع
ما حكي عن الكسائي من قوله إن المراد أنهم لا ينسبونك إلى الكذب فيما
أتيت به لأنه كان عندهم أمينا صادقا لم يجربوا عليه كذبا وإنما
كانوا يدفعون ما أتى به ويدعون أنه في نفسه كذب وفي الناس من
يقوي هذا الوجه وأن القوم كانوا يكذبون ما أتى به وإن كانوا
يصدقونه في نفسه بقوله ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
وبقوله وكذب به قومك وهو الحق ولم يقل وكذبك قومك وكان
الكسائي يقرأ فإنهم لا يكذبونك بالتخفيف ونافع من بين سائر
السبعة والباقون على التشديد وابن عمر أن بين أكذبت وكذبت
فرقا وأن معنى أكذبت الرجل أنه جاء بالكذب ومعنى كذبته أنه كذاب

في كل حديثه وهذا أغلاط وليس بين فعلت وأفعلت في هذه الكلمة
فرق من طريق المعنى أكثر مما ذكرناه من أن التشديد يقتضي التكرار
والتأكيد ومع هذا لا يجوز أن يصدقوه في نفسه ويكذبوا بما أتى
به وصدقه وأنه الدين القيم والحق الذي لا يجوز العدول عنه فكيف
يجوز أن يكون صادقا في خبره وإن كان الذي أتى به فاسدا
بل إن كان صادقا فالذي أتى به حق صحيح وإن كان الذي أتى به فاسدا انه صح
فلا بد أن يكون في شيء من ذلك كاذبا وهذا تأويل من لا يتحقق
المعاني والوجه الخامس أن يكون المعنى في قوله فإنهم لا يكذبونك
أن تكذيبك راجع إلي وعائد علي ولست المختص به لأنه رسول الله
فمن كذبه فهو في الحقيقة مكذب لله تعالى وراد عليه وهذا
كما يقول أحدنا لرسوله امض في كذا فمن كذبك فقد كذبني ومن
دفعك فقد دفعني وذلك من الله تعالى على سبيل التسلية لنبيه عليه
السلام والتعظيم والتغليظ لتكذيبه والوجه السادس أن يريد فإنهم

لا يكذبونك في الأمر الذي توافقونه كتبهم وإن كذبوك في غيره
ويمكن في الآية وجه سابع وهو يريد أن جميعهم لا يكذبونك أنمح
وإن كذبك بعضهم وهم الظالمون الذين ذكر في آخر الآية أنهم
يجحدون بآيات الله لأن الله تعالى إنما سلى نبيه عليه السلام بهذا
القول وعزاه فلا ينكر أن يكون عليه السلام لما استوحش من
تكذيبهم له وتلقيهم إياه بالرد وظن أنه لا متبع له منهم ولا
ناصر لدينه فيهم أخبره الله تعالى بأن البعض وإن كذبك فإن
فيهم من يصدقك ويتبعك وينتفع بإرشادك وهدايتك وهذا
واضح والمنة لله قال سيدنا رضي الله عنه ومن جيد الشعر
قول مطرود بن كعب الخزاعي

يا أيها الرجل المحول رحله ... ألا نزلت بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو نزلت عليهم ... ضمنوك من جوع ومن إقراف
الآخذون العهد من آفاقها ... والراحلون لرحلة الإيلاف
والمطعمون إذا الرياح تناوحت ... ورجال مكة مسنتون عجاف أقوى
والمفضلون إذا المحول ترادفت ... والقائلون هلم للأضياف
والخالطون غنيهم بفقيرهم ... حتى يكون فقيرهم كالكافي
كانت قريش بيضة فتفلقت ... فالمح خالصها لعبد مناف (خ خالصه)

أما قوله والراحلون لرحلة الإيلاف فكان هاشم صاحب إيلاف قريش
الرحلتين وأول من سنهما فألفوا الرحلتين في الشتاء إلى اليمن والحبشة
والعراق وفي الصيف إلى الشام وفي ذلك يقول ابن الزبعرى

عمرو العلى هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف
وهو الذي سن الرحيل لقومه ... رحل الشتاء ورحلة الأصياف

فأما المسنتون فهم الذين أصابتهم السنة المجدبة الشديدة وقوله
والخالطون غنيهم بفقيرهم من أحسن الكلام وأخصره وإنما أراد (خ حتى يعود)
أنهم يفضلون على الفقير حتى يكون غنيا ذا ثروة ولأحمد بن يوسف
أبيات على هذا الوزن والروي يمزح بها مع ولد سعيد بن سلم الباهلي (خ مسلم)

وكان لهم صديقا

أبني سعيد إنكم من معشر لا يعرفون كرامة الأضياف

قوم لباهلة بن يعصر إن هم نسبوا وحسبتم لعبد مناف

قرنوا الغداء إلى العشاء وقربوا زادا لعمر أبيك ليس بكاف

وكأنني لما حططت إليهم رحلي نزلت بأبرق العزاف

بينا كذلك إذ أتى كبراؤهم يلحون في التبذير والإسراف

أراد بقوله قرنوا الغداء إلى العشاء من بخلهم واقتصادهم واختصارهم
في المطعم ويقال إن هذا الشعر حفظ وصار أكثر ما يسبون به
ويسب قومهم ولرب مزح جر جدا وعثرة الشعر لا تستقال
والشعر يسير بحسب جودته ولقد أحسن دعبل في قوله

نعوني ولما ينعني غير شامت وغير عدو قد أصيبت مقاتله

يقولون إن ذاق الردى مات شعره وهيهات عمر الشعر طالت طوائله

سأقضي ببيت يحمد الناس أمره ويكثر من أهل الرواية حامله

في أهل

يموت رديّ الشعر من قبل ربه وجيده يبقى وإن (خ: إذا) مات قائله

ولآخر في هذا المعنى

لا تعرضنّ بمزح لامرئ فطن ما راضه قلبه أجراه في الثبت

فرب قافية بالمزح جارية مشؤومة لم يرد إنماءها وهامت

إني إذا قلت بيتا مات قائله ومن يقال له والبيت لم يمت

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون وعن
قوله تعالى ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب
بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون فقال كيف ينفع
من أهل الآخرة نفي الشرك عن أنفسهم والقسم بالله تعالى عليه وهم
كاذبون ومع ذلك أنتم عندكم في تلك الحال لا يقع منهم شيء من القبيح لمعرفتهم

بالله تعالى ضرورة ولأنهم ملجؤون هناك الى ترك جميع القبائح وكيف
قال من بعد ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فشهد
عليهم بالكذب ثم علقه بما لا يصح فيه معنى الكذب وهو التمني
لأنهم تمنوا ولم يخبروا ه **الجواب** قلنا اول
ما نقوله انه ليس في ظاهر الآية ما يقتضي ان قولهم ما كنا مشركين
انما وقع في الآخرة دون الدنيا واذا لم يكن في الظاهر جاز ان يكون ذلك صح
الاخبار تناول لحال الدنيا وسقطت المسألة وليس لأحد ان يتعلق
في وقوع ذلك في الآخرة بقوله تعالى قبل الآية ويوم نحشرهم جميعا
ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ه وانه
عقب ذلك بقوله ثم لم تكن فتنتهم فيجب ان يكون الجميع مختصا بحال
الآخرة لأنه لا يمتنع ان تكون الآية تتناول ما يجري في الآخرة ثم يتلوها
آية تتناول ما جرى في الدنيا لأن مطابقة كل آية لما قبلها في مثل هذا
غير واجب وقوله ثم لم تكن فتنتهم لا يدل ايضا على ان ذلك يكون

واقعا بعد ما خبر عنه في الآية الأولى فكأنه تعالى قال على هذا
الوجه انا نحشرهم في الآخرة ونقول اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون
وما كان فتنتهم وسبب ضلالهم في الدنيا الا قولهم والله ربنا ما
كنا مشركين وقد قيل في الآية على تسليم ان هذا القول يقع منهم
في الآخرة ان المراد به انا ما كنا عند نفوسنا مشركين بل كنا نعتقد
انا على الحق والهدى وقوله تعالى من بعد انظر كيف كذبوا على انفسهم
لم يرد في هذا الخبر الذي وقع منهم في الآخرة بل انهم كذبوا على
انفسهم في دار الدنيا باخبارهم انهم مصيبون محقون غير مشركين
وليس في الظاهر الا انهم كذبوا على انفسهم من غير تخصيص بوقت فلم
يحمل على آخرة دون دنيا ولو كان للآية ظاهر يقتضي وقوع ذلك
في الآخرة لحملناه على الدنيا بدلالة ان اهل الآخرة لا يجوز ان يكذبوا لأنهم
ملجؤون الى ترك القبائح فاما قوله تعالى حاكيا عنهم يا ليتنا نرد وقوله
وانهم لكاذبون فمن الناس من حمل الكلام كله على وجه التمني وصرف

وفي اعتقادنا صح

وإنهم لكاذبون إلى غير الأمر الذي تمنوه لأن التمني لا يصح فيه معنى الصدق
والكذب وإنما يدخلان في الأخبار المحضة لأن قول القائل ليت الله رزقني
ولدا وليت فلانا أعطاني مالا أفعل به كذا وكذا لا يكون كذبا ولا صدقا
وقع ما تمناه أو لم يقع فيجوز على هذا أن يكون قوله تعالى وإنهم لكاذبون
مصروفا إلى حال الدنيا كأنه قال وهم كاذبون فيما يخبرون به عن
أنفسهم في الدنيا من الإصابة واعتقاد الحق أو يريد أنهم كاذبون إن
خبروا عن أنفسهم بأنهم متى ردوا آمنوا ولم يكذبوا وإن كان ما حكي
عنهم من التمني ليس بخبر وقد يجوز أيضا أن يحمل قوله تعالى وإنهم لكاذبون
على غير الكذب الحقيقي بل يكون المراد والمعنى أنهم تمنوا ما لا سبيل أنهم صح
إليه فكذب أملهم وتمنيهم وهذا مشهور في الكلام يقولون لمن تمنى ما لم
يدرك كذب أملك وأكدى رجاؤك وما جرى مجرى ذلك قال الشاعر

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها مراغمة ما دام للسيف قائم

وقال الآخر
كذبتم وبيت الله لا تنكحونها بني شاب قرناها تصر وتحلب
خ تصر وتحلب

تصر وتحلب حال من الضمير في تنكحونها

ولم يرد الكذب في الأقوال بل في التمني والأمل ه وليس لأحد أن يقول
كيف يجوز من أهل الآخرة مع معارفهم الضرورية وأنهم عالمون بأن أن صح
الرجوع إلى الدنيا لا سبيل إليه أن يتمنوه وذلك أنه غير ممتنع أن
يتمنى المتمني ما يعلم أنه لا يحصل ولا يقع ولهذا يتعلق التمني بالشيء بأن لا
يكون ما قد كان ولقوة اختصاص التمني بما يعلم أنه لا يكون غلط قوم
فجعلوا إرادة ما علم المريد أنه لا يكون تمنيا فهذا الذي ذكرناه وجه
في تأويل الآية ه وفي الناس من يجعل بعض الكلام تمنيا وبعضه إخبارا
وعلق تكذيبهم بالخبر دون التمني فكأن تقدير الآية يا ليتنا نرد وهذا
هو التمني ثم قال من بعد فإنا لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين
فأخبروا بما علم الله تعالى أنهم فيه كاذبون وإن لم يعلموا من أنفسهم
مثل ذلك فلهذا كذبهم وكل هذا واضح ه أخبرنا أبو عبد الله محمد بن
عمران المرزباني قال أخبرنا أحمد بن عبد الله وعبد الله بن يحيى العسكريان
قالا أخبرنا الحسن بن عليل العنزي قال أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله العبدي

قال أخبرنا أبو مسعر رجل منا من بني غنم بن عبد القيس قال ورد منصور
ابن سلمة النمري على البرامكة وهو شيخ كبير وكان مروان بن أبي حفصة
صديقا لي على أني كنت أبغضه وأمقته في الله فشكا إلي وقال دخل
اليوم علينا رجل أظنه شاميا وقد تقدمته البرامكة في الذكر عند
الرشيد فأذن له فدخل فسلم فأجاد فأذن له الرشيد فجلس قال فأوجست
منه خوفا فقلت يا نفس أنا حجازي نجدي شافهت العرب وشافهتني
وهذا شامي أفتراه أشعر مني قال فجعلت أرفق نفسي إلى أن استنشده
هرون فإذا هو والله من أفصح الناس فدخلني له حسد قال فأنشده قصيدة
تمنيت أنها لي وأن علي غرما قال فقلت له ما هي فقال أحفظ منها
أبياتا وهي

أمير المؤمنين إليك خضنا غمار الموت من بلد شطير
بخوص كالأهلة جانفات تميل على السرى وعلى الهجير
حملن إليك آمالا عظاما ومثل الصخر والدر النثير

خ وقد
فقد وقف المديح بمنتهاه وغايته وصار إلى المصير
إلى من لا تشير إلى سواه إذا ذكر الندى كف المشير

قال مروان فوددت أنه أخذ جائزتي وسكت وعجبت من تخلصه
إلى ذلك القول في تم ذكر ولد أمير المؤمنين علي عليه السلم فأحسن
التخلص ورأيت هرون يعجب بذلك فقال

بذلك في رقاب بني علي ومن ليس بالمن اليسير
فإن شكروا فقد أنعمت فيهم وإلا فالندامة للكفور
مننت على ابن عبد الله يحيى وكان من الحتوف على شفير
وقد سخطت لسخطتك المنايا عليه فهي حائمة النسور
ولو كافأت ما اجترحت يداه دلفت له بقاصمة الظهور (خ اجترمت)
ولكن جل حلمك واجتباه على الهفوات عفو من قدير
فعاد كأنما لم يجن ذنبا وكان فراجتنى حسك الصدور (خ كأنه)
وإنك حين تبلغهم أذاه وإن ظلموا لمحترق الضمير

[illegible]

وان الرشيد قال لما سمع هذا البيت منه هذا والله معنى كان في نفسي
وادخله بيت المال فحكمه (وفيه) عدنا الى الخبر قال مروان وكان
هرون يبتسم ويضحك للطف ما سمع ثم اومأ الي ان انشده فانشدته (ويكاد دمه)
قصيدتي التي اقول فيها

خلوا الطريق لمعشر عاداتهم حطم المناكب كل يوم زحام

حتى اتيت على آخرها فوالله ما عاج ذلك الرجل بشعري ولا حفل
به قال وانشده منصور يومئذ

ان لهرون امام الهدى كنزين من اجر ومن بر
يريش ما تبري الليالي ولا تريش أيديهن ما يبري
كانما البدر على رحله ترميك منه مقلتا صقر

قال وانشده ايضا

ولمن اضاع لقد وجدتك حافظا لوصية العباس بالاخوال

قال مروان واخلق به ان يغلبني وان يعلوا علي عنده فاني ما رأيت

احسن من تخلصه اذ ذكر الطالبيين اخبرنا المرزباني قال
حدثني ابو عبد الله الحكيمي قال حدثني يموت بن المزرع قال حدثني
ابو عثمان الجاحظ قال كان منصور النمري ينافق الرشيد ويذكر
هرون في شعره ويريه انه من وجوه شيعته وباطنه ومراده
بذلك امير المؤمنين علي عليه السلام لقول النبي صلى الله عليه وآله
انت مني بمنزلة هرون من موسى الى ان وشى به عنده بعض
اعدائه وهو العتابي فقال يا امير المؤمنين هو الذي يقول (والله صح)

متى يشفيك دمعك من همول ويبرد ما بقلبك من غليل

وانشده ايضا

شاء من الناس راتع هامل يعللون النفوس بالباطل

ومنصور يصرح في هذه القصيدة بالعجائب فوجه الرشيد برجل من
قواده وامره ان يضرب عنق منصور حيث تقع عينه عليه فقدم
الرجل رأس عين بعد موت منصور بايام قلايل قال المرزباني

ويصدق قول الجاحظ أن النمري كان يذكر هرون في شعره ويعني به

أمير المؤمنين عليا عليه السلم ما أنشدنا محمد بن الحسن بن دريد للنمري

آل الرسول خيار الناس كلهم وخير آل رسول الله هرون

رضيت حكمك لا أبغي به بدلا لأن حكمك بالتوفيق مقرون

وروي أن أبا عصمة الشيعي لما أوقع بأهل ديار ربيعة أوفدت

ربيعة وفدا إلى الرشيد فيهم منصور النمري فلما صار بباب الرشيد

أمرهم باختيار من يدخل عليه فاختاروا عددا بعد عدد إلى أن

اختاروا رجلين النمري أحدهما ليدخلا ويسألا حوائجهما وكان

النمري مؤذنا لم يسمع منه شعر قط قبل ذلك ولا عرف به فلما

مثل هو وصاحبه بين يدي الرشيد قال لهما قولا ما تريدان

فاندفع النمري فأنشده ما تنقضي حسرة مني ولا جزع

فقال له الرشيد قل حاجتك وعد عن هذا فقال

إذا ذكرت شبابا ليس يرتجع وأنشده القصيدة حتى أتى إلى قوله

خ النمر

ركب من النمر عاذوا بابن عمهم من هاشم إذ ألح الأزلم الجذع

متوا إليك بقربى منك تعرفها لهم بها في سنام المجد مطلع

إن المكارم والمعروف أودية أحلك الله منها حيث تجتمع خ يتبع

إذا رفعت امرأ فالله رافعه ومن وضعت من الأقوام متضع

نفسي فداؤك والأبطال معلمة يوم الوغا والمنايا بينهم قرع

حتى أتى على آخرها فقال ويحك قل حاجتك فقال يا أمير المؤمنين

أخربت الديار وأخذت الأموال وهتك الحرم فقال اكتبوا له

بكل ما يريد وأمر له بثلاثين ألف درهم واحتبسه عنده وشخص

أصحابه بالكتب ولم يزل عنده يقول الشعر فيه حتى استأذنه في

الانصراف فأذن له ثم اتصل بالرشيد قوله فانصرف صح

شاء من الناس راتع هامل يعللون النفوس بالباطل

تقتل ذرية النبي ويرجون خلود الجنان للقاتل

ما الشك عندي في كفر قاتله لكنني قد أشك في الخاذل

فامتعض الرشيد وأنفذ من يقتله فوجده في بعض الروايات ميتا وفي الأخرى عليلا لما به فسئل الرسول أن لا يأثم فيه وأن ينتظر موته ففعل ولم يبرح حتى توفي وعاد بخبر موته إلى هرون

وللنمري

لو كنت أخشى معادي حق خشيته لم تسم عيني إلى الدنيا ولم تنم

لكنني عن طلاب الدين مختبل والعلم مثل الغني والجهل كالعدم

يحاولون دخولي في سوادهم لقد أطافوا بصدع غير ملتئم

ما يغلبون النصارى واليهود على حب القلوب ولا العباد للصنم

(خ قد توفي — خ تغلبون — خ حب — بلغ المعارضة بالأصل)

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت فقال كيف يصح أن يسأل من لا ذنب له ولا عقل له وأي فائدة في سؤالها عن ذلك وما وجه الحكمة فيه وما الموءودة ومن أي شيء اشتقاق هذه اللفظة

الجواب قلنا أما معنى سئلت ففيه وجهان أحدهما أن يكون المراد أن قاتلها

طولب بالحجة في قتلها وسئل عن قتله لها وبأي ذنب كان على سبيل التوبيخ والتعنيف وإقامة الحجة فالقتلة هاهنا هم المسئولون على الحقيقة لا المقتولة وإنما المقتولة مسئول عنها ويجري هذا مجرى قولهم سألت حقي أي طالبت به ومثله قوله تعالى وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا أي مطالبا به ومسئولا عنه والوجه الآخر أن يكون السؤال توجه إليها على الحقيقة على سبيل التوبيخ لقاتلها والتقريع له والتنبيه على أنه لا حجة له في قتلها ويجري هذا مجرى قوله تعالى لعيسى عليه السلم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله على طريق التوبيخ لقومه وإقامة الحجة عليهم فإن قيل على هذا الوجه كيف يخاطب من لا عقل له ولا فهم والجواب أن في الناس من زعم أن الغرض بهذا القول إذا كان تبكيت الفاعل وتهجينه وإدخال الغم عليه في ذلك الموقف على طريق العقاب لم يمتنع أن يقع وإن لم

(خ إياها — خ تعالى — ويسأل)

يكن من الموءودة فهم له لأن الخطاب وإن علق عليها وتوجه إليها فالواضح
فالغرض في الحقيقة غيرها وهذا يجري مجرى من ضرب ظالم طفلا
من ولده فيقول لم ضربت وما ذنبك وبأي شيء استحل هذا منك
وغرضه تبكيت الظالم لا خطاب الطفل فالأولى أن يقال في هذا
إن الأطفال وإن كان من جهة العقول لا يجب في وصولهم إلى
الأعواض المستحقة أن يكونوا كاملي العقول كما يجب مثل ذلك في الوصول
إلى الثواب فإن الخبر متظاهر والأمة متفقة على أنهم في الآخرة
وعند دخولهم الجنان يكونون على أكمل الهيآت وأفضل الأحوال وأن
عقولهم تكون كاملة فعلى هذا يحسن توجه الخطاب إلى الموءودة
لأنها تكون في تلك الحال ممن يفهم الخطاب ويعقله وإن كان الغرض
فيه التبكيت للقاتل وإقامة الحجة عليه ه وقد روي عن أمير المؤمنين
علي عليه السلام وابن عباس ويحيى بن يعمر ومجاهد ومسلم بن صبيح
وأبي الضحى ومروان وصالح وجابر بن زيد أنهم قرؤوا سألت بفتح السين
خ وأبي صالح

والهمزة وإسكان التاء بأي ذنب قتلت بإسكان اللام وضم التاء
الثانية على أن الموءودة موصوفة بالسؤال وبالقول بأي ذنب قتلت
وروى القطعي عن سليمن الأعمش وعن حفص عن عاصم قتلت بضم
التاء الثانية وفي سئلت مثل قراءة الجمهور بضم السين ه وروي
عن أبي جعفر المدني قتلت بالتشديد وإسكان التاء الثانية ه
وروي عن بعضهم وإذا المودة بفتح الميم والواو فأما من قرأ سألت
بفتح السين فيمكن فيه الوجهان اللذان ذكرناهما من أن الله تعالى
أكملها في تلك الحال وأقدرها على النطق ه والوجه الآخر أن يكون
معنى سألت أي سئل لها وطولب بحقها وانتصف لها من ظالمها
فكأنها هي السائلة تجوزا واتساعا ومن قرأ بفتح السين من سألت وبضم
التاء الثانية من قتلت فعلى أنها هي المخاطبة بذلك ويجوز على هذا
الوجه أيضا قتلت بإسكان التاء الأخيرة كقراءة الجماعة لأنه
إخبار عنها كما يقال سأل زيد بأي ذنب ضرب وبأي ذنب ضربت

ويقوي هذه القراءة في سألت ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله
من قوله يجيء المقتول ظلما يوم القيمة واوداجه تشخب دما اللون
لون الدم والريح ريح المسك متعلقا بقاتله يقول يا رب سل هذا
فيم قتلني . واما القراءة المأثورة عن حفص عن عاصم في ضم التاء
الأخيرة من قتلت مع ضم السين من سئلت فمعناها واذا الموودة
سئلت ما تبغي فقالت بأي ذنب قتلت فاضمر قولها والعرب قد
تضمر مثل هذا لدلالة الخطاب عليه وارتفاع الاشكال عنه مثل
قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل
منا اي ويقولان ذلك ونظايره في القرآن كثيرة جدا . فاما قراءة هاهنا تم
من قرأ قتلت بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل والموودة وان
كان لفظها لفظ واحدة فالمراد بها الجنس وارادة التكرار جايزة فاما
من قرأ المودة بفتح الميم والواو فعلى ان يكون المراد الرحم والقرابة
وانه يسئل قاطعها عن سبب قطعها وتضييعها قال الله تعالى

فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا ارحامكم
فاما الموودة فهي المقتولة صغيرة وكانت العرب في الجاهلية
تئد البنات بان يدفنوهن احياء وهو قوله تعالى ايمسكه على هون
ام يدسه في التراب وقوله تعالى قد خسر الذين قتلوا اولادهم
سفها بغير علم . ويقال انهم كانوا يفعلون ذلك لأمرين احدهما
انهم كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فألحقوا البنات بالله
فهو أحق بالبنات . والأمر الآخر انهم كانوا يقتلونهن خشية
الاملاق قال الله تعالى ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن
نرزقكم واياهم . قال سيدنا رضي الله عنه ووجدت الجبائي
ابا علي وغيره يقول انما قيل لها موودة لأنها ثقلت بالتراب الذي
طرح عليها حتى ماتت وفي هذا بعض النظر لانهم يقولون من
الموودة وأدت أئد وأدا والفاعل وائد والفاعلة وائدة
ومن الثقل آدني الشيء يؤودني اذا أثقلني أودا . وروي عن

النبي صلى الله عليه وآله انه سئل عن العزل فقال ذاك الواد الخفي
وقد روي عن جماعة من الصحابة كراهية ذلك وقال قوم في الخبر
الذي ذكرناه انه منسوخ بما روي عنه عليه السلم انه قيل له ان
اليهود يقولون في العزل هي الموؤدة الصغرى فقال كذبت يهود
لو اراد الله تعالى ان يخلقه لم يستطع احد ان يصرفه وقد يجوز
ان يكون قوله عليه السلم ذاك الواد الخفي على طريق تاكيد الترغيب
في طلب النسل وكراهية العزل لا على انه محظور محرم وصعصعة
ابن ناجية بن عقال جد الفرزدق بن غالب ممن فدى الموؤدات في
الجاهلية ونهى عن قتلهن ويقال انه احيا الف موؤدة وقيل دون
ذلك وقد افتخر الفرزدق بهذا في قوله

ومنا الذي منع الوائدات واحيا الوئيد فلم توأد
وفي قوله
ومنا الذي احيا الوئيد وغالب وعمرو ومنا حاجب والاقارع
وفي ذلك يقول ايضا

انا ابن عقال وابن ليلى وغالب وفكاك اغلال الاسير المكفر
ليلى ام غالب وعقال هو محمد بن سفين بن مجاشع وفكاك الاغلال ناجية
ابن عقال والمكفر الذي كفر وكبل بالحديد

وكان لنا شيخان ذو القبر منهما وشيخ اجار الناس من كل مقبر
ذو القبر غالب وكان يستجار بقبره والذي اجار الناس من
القبر واحيا الوئيد صعصعة بن ناجية بن عقال

على حين لا تحيى البنات واذهم عكوف على الاصنام حول المدور
انا ابن الذي رد المنية فضله وما حسب دافعت عنه بمعور
ابي احد العينين صعصعة الذي متى تخلف الجوزاء والنجم يمطر
اجار بنات الوائدين ومن يجر على القبر يعلم انه غير مخفر
وفارق ليل من نساء اتت به تعالج ريحا ليلها غير مقمر

فارق يعني امراة ماخضا شبهها بالفارق من الابل وهي الناقة التي
يضربها المخاض فتفارق الابل وتمضي على وجهها حتى تضع

المدور صنم يدورون حوله

الغيثين

انما تفعل ذلك لما يصيبها من الجهد

فقالت أجرني بما ولدت فإنني أتيتك من هزلى الحمولة مقتر
رأى الأرض منها راحة فرمى به إلى خدد منها وفي شر محفر
فقال لها أمي إني بذمتي لبنتك جار من أبيها القنور

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال
حدثنا محمد بن زكريا الغلابي عن العباس بن بكار الهذلي قال
الصولي وحدثنا القسم بن إسمعيل عن أبي عثمان المازني عن أبي
عبيدة بطرف منه قال وفد صعصعة بن ناجية جد الفرزدق
على رسول الله صلى الله عليه وآله في وفد بني تميم وكان صعصعة منع
الوئيد في الجاهلية فلم يدع تميماً تئد وهو يقدر على ذلك فجاء الإسلام
وقد فدى في بعض الرواية أربعمائة جارية وفي الرواية الأخرى
ثلثمائة فقال للنبي صلى الله عليه وآله بأبي أنت وأمي أوصني فقال
أوصيك بأبيك وأمك وأختك وأخيك وأدانيك أدانيك فقال
زدني يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله احفظ ما بين

لحييك ورجليك ثم قال صلى الله عليه وآله ما شيء بلغني عنك فعلته
فقال يا رسول الله رأيت الناس يموجون على غير وجه ولم أدر أين
الصواب غير أني علمت أنهم ليسوا عليه فرأيتهم يئدون بناتهم فعرفت
أن ربهم عز وجل لم يأمرهم بذلك فلم أتركهم يئدون وفديت
ما قدرت وفي رواية أخرى أن صعصعة لما وفد على رسول
الله صلى الله عليه وآله سمع فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل ١
مثقال ذرة شراً يره قال حسبي ما أبالي أن لا أسمع من القرآن
غير هذا ويقال إنه اجتمع جرير والفرزدق يوماً عند
سليمن بن عبد الملك فافتخرا فقال الفرزدق أنا ابن محيي الموتى
فقال له سليمن أنت ابن محيي الموتى فقال إن جدي أحيا الموءودة
وقد قال الله عز وجل ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً
وقد أحيا جدي اثنين وتسعين موءودة فتبسم سليمن وقال إنك
مع شعرك لفقيه

تأويل خبر إن سائلاً

سائل عن معنى الخبر الذي يروى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه نهى أن يصلي الرجل وهو زناء

الجواب قلنا الزناء هو الحاقن الذي قد ضاق ذرعاً ببوله يقال أزنأ الرجل ببوله فهو يزنئه إزناء وزنأ ببوله يزنأ زناءً قال الأخطل

وإذا دفعت إلى زناء قعرها غبراء مظلمة من الأحفار

يعني ضيق القبر ويقال لا تأت فلاناً فإن منزله زناء فيجوز أن يكون ضيقاً ويجوز أن يكون عسر المرتقى وكلاهما يؤول إلى المعنى ويقال موضع زناء إذا كان ضيقاً صعباً من ذلك قول أبي زبيد يصف أسداً

أبن عريسة عنابها أشب ودون غابته مستورد شرع

شأس الهبوط زناء الحاميين متى يشبع بواردة يحدث لها فزع

يعني بزناء الحاميين أنه ضيق جانبي الوادي وقوله متى يشبع بواردة أي يضيق بجماعة ممن يرده وإنما يحدث لها فزع من الأسد

تصحيف إنما أنشد ابن دريد الشبع تضايق الحلق بطعام خشن ويقال يشبع الوادي يشبع شبعاً إذا تضايق بالماء

ويشبع بهذا الأمر ضقت به ذرعاً

والشأس الغليظ يقال مكان شأس إذا كان غليظاً ومن ذلك قولهم زنأ فلان في الجبل إذا كابد الصعود وهو يزنأ في الجبل زناً وروى أبو زيد أن قيس بن عاصم المنقري أخذ صبياً له يرقصه وأم ذلك الصبي منفوسة وهي بنت زيد الفوارس بن حصين الضبي فجعل قيس يقول له

أشبه أبا أمك أو أشبه عمل ولا تكونن كهلوف وكل

يريد عملي والوكل الجبان والهلوف الهرم المسن وهو أيضاً الكبير اللحية وإنما أراد به هاهنا الجبان

وارق إلى الخيرات زناً في الجبل

فأخذته أمه فجعلت ترقصه وتقول أشبه أخي أو أشبهن أباكا

أما أبي فلن تنال ذاكا تقصر عن مناله يداكا

مجلس آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا

بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة
عليهم نار موصدة ۝ فقال ما تأويل هذه الآيات وما معنى ما تضمنته

الجواب أما ابتداء الآية فتذكير بنعم الله تعالى عليهم
وما أزاح به عللهم في تكاليفهم وما تفضل عليهم من الآلات التي يتوصلون بها صح
بها إلى منافعهم ويستدفعون بها المضار عنهم لأن الحاجة ماسة
في أكثر المنافع الدينية والدنياوية إلى العينين للرؤية واللسان للنطق
وإلى الشفتين لحبس الطعام والشراب ومسكهما في الفم وللنطق أيضا
فأما النجد في لغة العرب فهو الموضع المرتفع من الأرض والغور
الهابط منها وإنما سمي الموضع من أرض العرب نجدا لارتفاعه ۝
واختلف أهل التأويل في المراد بالنجدين فذهب قوم إلى أن المراد بهما
طريقا الخير والشر وهذا الوجه يروى عن أمير المؤمنين عليه السلم
وابن مسعود وعن صح الحسن وجماعة من المفسرين ۝ وروي أنه قيل لأمير المؤمنين
عليه السلم إن ناسا يقولون في قوله وهديناه النجدين إنهما الثديان

بل صح
فقال عليه السلم لا هما الخير والشر ۝ وروي عن الحسن أنه قال
بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال أيها الناس إنما هما نجدان
نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير ۝
وروي عن قوم آخرين أن المراد بالنجدين ثديا الأم ۝ فإن قيل
كيف يكون طريق الشر مرتفعا كطريق الخير ومعلوم أنه لا شرف
ولا رفعة في الشر قلنا يجوز أن يكون إنما سماه نجدا لظهوره
وبروزه لمن كلف اجتنابه ومعلوم أن الطريقين جميعا باديان
ظاهران للمكلفين ويجوز أيضا أن يكون سمي طريق الشر نجدا من حيث
يحصل في اجتناب سلوكه والعدول عنه الشرف والرفعة كما
يحصل مثل ذلك في سلوك طريق الخير لأن الثواب الحاصل في اجتناب
طريق الشر كالثواب في سلوك طريق الخير ۝ وقال قوم إنما أراد
بالنجدين أنا بصرناه وعرفناه ما له وعليه وهديناه إلى طريق استحقاق
الثواب وثنى النجدين على عادة العرب في تثنية الأمرين إذا اتفقا في

بعض الوجوه وأجري لفظ أحدهما على الآخر كما قيل في الشمس والقمر القمران. قال الفرزدق

لنا قمراها والنجوم الطوالع

ولذلك نظائر كثيرة. فأما قوله تعالى فلا اقتحم العقبة ففيه وجهان أحدهما أن يكون فلا بمعنى الجحد وبمنزلة لم أي فلم يقتحم العقبة وأكثر ما يستعمل هذا الوجه بتكرير لفظ لا كما قال تعالى فلا صدق ولا صلى أي لم يصدق ولم يصل وكما قال الحطيئة

وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها ... وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا

لا صح

وقل ما يستعملون هذا المعنى من غير تكرير لفظ لا لأنهم لا يقولون لا جئتني ولا زرتني ويريدون ما جئتني فإن قالوا لا جئتني ولا زرتني صلح. إلا أن في الآية ما ينوب مناب التكرار ويغني عنه وهو قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا فكأنه تعالى قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن فمعنى التكرار حاصل. والوجه الآخر أن تكون لا جارية مجرى الدعاء كقولك لا نجا ولا سلم ونحو ذلك. وقال قوم فلا اقتحم

العقبة أي فهلا اقتحم العقبة أو أفلا اقتحم العقبة قالوا ويدل على ذلك قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر ولو كان أراد النفي لم يتصل الكلام وهذا الوجه ضعيف جدا لأن قوله فلا خال من لفظ الاستفهام وقبيح حذف حرف الاستفهام في مثل هذا الموضع وقد عيب على عمر بن أبي ربيعة قوله

ح الرمل

ثم قالوا تحبها قلت بهرا ... عدد القطر والحصى والتراب

فأما الترجيح بأن الكلام لو أريد به النفي لم يتصل فقد بينا أنه متصل مع أن المراد به النفي لأن قوله ثم كان من الذين آمنوا معطوف على قوله فلا اقتحم العقبة أي فلا اقتحم العقبة ثم كان من الذين آمنوا والمعنى أنه ما اقتحم ولا آمن على ما بيناه. فأما المراد بالعقبة فاختلف فيه فقال قوم هي عقبة ملساء في جهنم واقتحامها فك رقبة وروي عن النبي صلى الله أنه قال صح
عليه وآله إن أمامكم عقبة كؤودا لا يجوزها المثقلون وأنا أريد أن أخفف لتلك العقبة. وروي عن ابن عباس أنه قال هي عقبة كؤود في جهنم.

وروي أيضا أنه قال العقبة هي النار نفسها فعلى هذا الوجه يكون التفسير
للعقبة بقوله فك رقبة على معنى ما يؤدي إلى اقتحام هذه العقبة
ويكون سبب الجواز بها والنجاة منها لأن فك رقبة وما أتى بعد ذلك
ليس هو النار نفسها ولا موضعا منها ه‍ وقال آخرون بل العقبة ما ورد
مفسرا لها من فك الرقبة والإطعام في يوم المسغبة وإنما سمي ذلك عقبة
لصعوبته على النفوس ومشقته عليها وليس يليق هذا الوجه بالجواب الذي
ذكرناه في معنى قوله فلا اقتحم العقبة وأنه على وجه الدعاء لا يحسن إلا
بالمستحق ولا يجوز أن يدعى على أحد بأن لا يقع منه ما كلف وقوعه وفك
الرقبة والإطعام المذكور من الطاعات فكيف يدعى على أحد بأن لا
يقع منه فهذا الوجه يطابق أن تكون العقبة هي النار نفسها أو تكون
عقبة فيها ه‍ وقد اختلف الناس في قراءة فك رقبة فقرأ أمير المؤمنين
علي عليه السلام ومجاهد وأهل مكة والحسن وأبو رجاء العطاردي وأبو
عمرو بن العلاء صح والكسائي فك رقبة بفتح الكاف ونصب الرقبة وقرؤوا أو أطعم

على الفعل دون الاسم وقرأ أهل المدينة وأهل الشام وعاصم وحمزة رقبة صح
ويحيى وثاب ويعقوب الحضرمي فك بضم الكاف وخفض رقبة أو
إطعام على المصدر وتنوين الميم وضمها فمن قرأ على الاسم ذهب إلى أن
جواب الاسم بالاسم أكثر في كلام العرب وأحسن من جوابه بالفعل لأن
المعنى ما أدراك ما اقتحام العقبة هو فك رقبة أو إطعام وذلك هو
أحسن من أن يقال هو فك رقبة أو أطعم ومال الفراء إلى القراءة بلفظ
الفعل ورجحها بقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا لأنه فعل والأولى
أن يتبع فعلا وليس يمتنع أن يفسر اقتحام العقبة وإن كان اسما بفعل
يدل على الاسم وهذا مثل قول القائل ما أدراك ما زيد ثم يقول مفسرا
إنه يصنع الخير ويفعل المعروف وما أشبه ذلك فيأتي بالأفعال
والسغب الجوع وإنما أراد أنه يطعم في يوم مجاعة لأن الإطعام فيه
أفضل وأكرم فأما مقربة فمعناه يتيما ذا قربى من قرابة النسب
والرحم وهذا حض على تقديم ذوي القربى المحتاجين على الأجانب

الفضال

في والمسكين الفقير الشديد الفقر والمتربة مفعلة من التراب أي هو
لاصق بالأرض من ضره وحاجته وتجري هذا الاشتقاق مجرى قولهم
في الفقير مدقع وهو مأخوذ من الدقعاء وهي الأرض التي لا شيء فيها
وقال قوم ذا متربة أي ذا عيال والمرحمة مفعلة من الرحمة وقيل
إنه من الرحم وقد يمكن في مقربة أن يكون غير مأخوذ من القرابة و القربى
بل هو من القرب الذي هو الخاصرة فكأن المعنى أنه يطعم من انطوت
خاصرته ولصقت من شدة الجوع والضر وهذا أعم من المعنى الأول
وأشبه بقوله ذا متربة لأن كل ذلك مبالغة في وصفه بالضر وليس من
المبالغة في الوصف بالضر أن يكون قريب النسب والله أعلم بمراده
قال سيدنا رضي الله عنه ومن طريف المدح ومليحه قول الشاعر

وكأنه من وفده عند القرى لولا مقام المادح المتكلم
وكأنه أحد النزيل ببابه لولا مقالته أطب للموفد

ويقارب ذلك في المعنى قول محمد بن خارجة

خ الفناء

سهل القباب إذا حللت ببابه طلق اليدين مؤدب الخدام
وإذا رأيت صديقه وشقيقه لم تدر أيهما أخو الأرحام

خ ذوو

ومثله لأبي الهندي

نزلت على آل المهلب شاتيا غريبا عن الأوطان في زمن محل
فما زال بي إكرامهم واقتفاؤهم وإلطافهم حتى حسبتهم أهلي

خ إنعامهم

ولأثال بن الفدع يمدح عقبة بن سنان الحارثي

ألم ترني شكرت أبا سعيد بنعماه وقد كفر الموالي
ولم أكفر سحائبه اللواتي مطرن علي واهبة الغوالي
فمن يك كافرا نعماه يوما فإني شاكر أخرى الليالي
فتى لم تطلع الشعرى من أفق ولم تعرض ليمن أو شمال

خ بأفق

على نديه إن عد مجد ومكرمة وإتلاف لمال
وأصبر في الحوادث إن ألمت وأسعى للمحامد والمعالي
فتى عم البرية بالعطايا فقد صاروا له أدنى العيال



خ وأما قول الآخر

قال وآخر

لم أقض من صحبة زيد أربي   فتى إذا أغضبته لم يغضب

موكل النفس بحفظ الغيب   أقصى الرفيقين له كالأقرب

في المودة صح

فإنه لم يرد أن الضعيف السبب كالقوي السبب وإنما أراد أنه يرعى من غيب الرفيق البعيد الغائب وحفظه ما يرعاه من حق الشاهد الحاضر وأنه يستوي عنده لكرمه وحسن حفاظه من بعدت داره وقربت معًا بخلاف ما عليه أكثر الناس من مراعاة أمر الحاضر القريب وإهمال حق البعيد ● هذا آخر مجلس أملاه سيدنا رضي الله عنه ثم تشاغل بأمور الحج ● الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين

بلغ المعارضة بالأصل المعول عليه هذه النسخة

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلم

بلغ المعارضة بنسخة أخرى صحيحة والله الحمد والمنة والصلاة على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين

الى حلفت يمينا غير كاذبة   ان لا اعير كتابي قط انسانا

الا برهن وايمان موكدة   كيلا يضيع كتابي اين ما كانا

والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب